# كتاب

## هداية الحيارى

## من اليهود والنصارى

تأليف

الامام الحجة الحافظ المتقن المحدث المفسر
سيف الله على اعناق المبتدعين
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
أيوب الزراعي المعروف بابن القيم
الجوزية الحنبلي المتوفي
سنة ٧٥١ رحمه الله
آمين

طبع على نفقة ملتزمه

بصاحبه في النار اسس على عبادة النيران وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان أو دين أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان وأن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن انثى وأقام هنالك مدة من الزمان بين دم الطمث في ظلمات الاحشاء تحت ملتقى الاعكان ثم خرج صبياً رضيعاً يشب شيئاً فشيئاً ويبكي ويأكل ويشرب ويبول وينام وينقلب مع الصبيان ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ماينبغي للانسان هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان ثم جعل اليهود يطاردونه ويشردونه من مكان الى مكان ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان ثم ساقوه الى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقا في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الايمان ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الابدان ثم شدت بالحبال يداه والرجلان ثم خالطها تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق الابدان وهو يستغيث ياقوم ارحموني فلا يرحمه منهم انسان هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي الذي يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن، ثم مات ودفن في التراب تحت صم الجنادل والصوان ثم قام من القبر وصعد الى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان فما ظنك بفروع هذا أصلها الذي قام عليه البنيان أو دين أسس بنيانه على عبادة الاله المنحوت بالايدي بعد نحت الافكار من سائر الاجناس على اختلاف الانواع والاصناف والالوان والخضوع له والتذلل والخرور سجوداً على الاذقان لايؤمن من يدين به بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه يوم يجزى المسيء باساءته والمحسن بالاحسان او دين الامة الغضبية الذين انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها وباؤا بالغضب والخزى والهوان وفارقوا احكام التوراة ونبذوها وراء ظهورهم واشتروا بها القليل من الاثمان فترحل عنهم التوفيق وقارنهم الخذلان واستبدلوا بولاية الله وملائكته ورسله واوليائه ولاية الشيطان او دين اسس بنيانه على ان العالمين اله وجود مطلق في الاذهان لا حقيقة له فى الاعيان ليس بداخل فى العالم ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا متمايز عنه ولا مباين له لا يسمع ولايرى ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا يفعل ما يشاء لاحياة له ولاقدرة ولا ارادة ولا اختيار ولم تخلق السموات والارض في ستة أيام بل لم تزل السموات والارض معه وجودها مقارن لوجوده لم يحدثها بعد عدمها ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها ما أنزل على بشر كتاباً ولا أرسل الى الناس رسولا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي لنا الاسلام ديناً * ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً * وأوضح السبيل الى معرفته واعتقاده حقاً يقيناً * ووعد من قام باحكامه وحفظ حدوده أجراً جسيماً * وذخر لمن وافاه به ثواباً جزيلاً وفوزاً عظيماً * وفرض علينا الانقياد له ولاحكامه * والتمسك بدعائمه وأركانه * والاعتصام بعراه وأسبابه * فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه ولانبيائه ورسله وملائكة قدسه فيه اهتدي المهتدون واليه دعا الانبياء والمرسلون * أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون * فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الاولين والآخرين * ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * شهد بأنه دينه قبل شهادة الأنام واشاد به ورفع ذكره وسمى به أهله وما اشتملت عليه الارحام فقال تعالى * شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام * وجعل أهله هم الشهداء على الناس يوم يقوم الاشهاد لما فضلهم به من الاصابة في القول والعمل والهدى والنية والاعتقاد اذ كانوا أحق بذلك وأهله في سابق التقدير فقال * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * وحكم سبحانه بانه أحسن الاديان ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلاً فقال * ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً * وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع اليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن والعمل بما يحبه ويرضاه الاخلاص في السر والاعلان ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل والاحسان مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار

ويحيهم بالتأويل ويوبخ العالم على الخطيئة ويخلصهم من يد الشيطان ويستمر شريعته وسلطانه الى آخر الدهر وصرح فى أذانه باسمه ونعته وصفته وسيرته حتى كأنهم ينظرون إليـه عياناً ثم قال حى على الصلاة خلف إمام المرسلين وسيد ولد آدم اجمعين حي على الفلاح باتباع مَن السعادة في اتباعه والفلاح في الدخول في زمرة أشياعه فأذن وأقام وتولي وقال لست أدعكم كالايتام وساعود وأصلى وراء هذا الامام هذا عهدي إليكم ان حفظتموه دام لـكم الملك الى آخر الايام فصلى الله عليه من ناصح بشر برسالة أخيه عليهما أفضل الصلاة والسلام وصدق به أخوه ونزهه عما قال فيه وفى أمه أعداؤه المغضوب عليهم من الافك والباطل وزور الـكلام كما نزه ربه وخالقه ومرسله عما قال فيه المثلثة عباد الصليب ونسبوه اليه من النقص والعيب والذم* ( أما بعـد ) * فان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالي جده ولا إله غيره جعل الاسـلام عصمة لمن لجأ اليه وجنة لمن استمسك به وعض بالنواجذ عليه فهو حرمه الذى من دخله كان من الآمنين وحصنه الذى من لجأ إليه كان من الفائزين ومن انقطع دونه كان من الهالكين وأبي أن يقبل من أحد ديناً سواه ولو بذل في المسير اليه جهده واستفرغ قواه فأظهره على الدين كله حتى طبق مشارق الارض ومغاربها وسار مسير الشمس في الاقطار وبلغ الى حيث انتهى الليل والنهار وعلت الدعوة الاسلامية وارتفعت غاية الارتفاع والاعتلاء بحيث صار أصلها ثابت وفرعها في السماء فتضاءلت لهـا جميع الاديان وجرت تحتها الامم منقادة بالخضوع والذل والاذعان ونادى المنـادى بشعارها في جو السماء بين الخافقين أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صارخا بالشهادتين حتى بطلت دعوة الشيطان وتلاشت عبادة الاوثان واضمحلت عبادة النيران وذل المثلثة عباد الصلبان وتقطعت الامة الغضبية في الارض كتقطع السراب في القيعان وصارت كلمة الاسـلام العليا وصار له في قلوب الخلائق المثل الاعلى وقامت براهينه وحججه على سائر الامم في الآخرة والاولي وبلغت منزلته في العلو والرفعة الغاية القصوى وأقام له وليه ومصطفيه أعواناً وأنصارا نشروا ألويته وأعلامه وحفظوا من التغيير والتبديل حدوده واحكامه وبلغوا الى نظرائهم كما بلغ اليهم من قبلهم حـلاله وحرامه ، فعظموا شعائره وعلموا شرائعه وجاهدوا اعدائه بالحجة والبيان حتى استغلظ واستوى على سوقه يعجب الزراع ويغيظ الـكفار وعلا بنيانه المؤسس علي تقوى من الله ورضوان اذ كان بناء غيره مؤسساً على شفا جرف هار فتبارك الذى رفع منزلته واعلى كلمته وفخم شأنه وشاد بنيانه وأذل مخالفيه ومعانديه

فلا شرع يتبع ولا رسول يطاع ولادار بعد هذه الدار ولا مبدأ للعالم ولا معاد ولا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ان هي الا تسعة افلاك وعشرة عقول وأربعة أركان وأفلاك تدور ونجوم تسير وأرحام تدفع وأرض تبلع *وماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون* وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ندّ له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا كفأ إله تعالى عن إفك المبطلين وخوض الكاذبين وتقدس عن شرك المشركين وأباطيل الملحدين كذب العادلون به سواه وضلوا ضلالا بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً *ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده إبتعثه بخير ملة وأحسن شرعة وأظهر دلالة وأوضح حجة وأبين برهان الى جميع العالمين انسهم وجنهم عربهم وعجمهم حاضرهم وباديهم الذى بشرت به الكتب السالفة وأخبرت به الرسل الماضية وجرى ذكره في الاعصار في القرى والامصار والامم الخالية ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبي البشر الى عهد المسيح ابن البشر كلما قام رسول أخذ عليه الميثاق بالايمان به والبشارة بنبوته حتي انتهت النبوة الى كليم الرحمن موسى بن عمران فأذّن بنبوته على رؤس الاشهاد بين بنى اسرائيل معلناً بالاذان جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران الى أن ظهر المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم فأذن بنبوته أذاناً لم يؤذنه أحد مثله قبله فقام في بني اسرائيل مقام الصادق الناصح وكانوا لايحبون الناصحين فقال *أني رسول الله مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا ان هذا الا سحر مبين* تالله لقد اذن المسيح أذاناً سمعه البادى والحاضر فاجابه المؤمن المصدق وقامت حجة الله على ألجاحد الكافر الله أكبر الله أكبر عما يقول فيه المبطلون ويصفه به الكاذبون وينسبه اليه المفترون والجاحدون ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا كفأ له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا والد له بل هو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثم رفع صوته بالشهادة لاخيه وآذن الناس به بانه عبد الله ورسوله وانه أركون العالم وانه روح الحق الذى لايتكلم من قبل نفسه انما يقول مايقال له وانه يحيي الناس بكل ما أعد الله لهم ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالغيوب

الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون *

( فصل ) ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان اهل الأرض صنفين اهل الكتاب وزنادقة لا كتاب لهم وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين وهم نوعان مغضوب عليهم وضالون فالامة الغضبية هم اليهود أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الانبياء وأكلة السحت وهو الربا والرشا أخبث الامم طوية واردأهم سجية وابعدهم من الرحمة واقربهم من النقمة عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب والحيل لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الانبياء حرمة ولا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة بل أخبثهم اعقلهم وأحذقهم أغشهم وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودى على الحقيقه أضيق الخلق صدوراً وأظلمهم بيوتاً وأنتنهم أفنية وأوحشهم سجية تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة شعارهم الغضب ودثارهم المقت

( فصل ) والصنف الثانى المثلثة أمة الضلال وعباد الصليب الذين سبوا الله الخالق مسبة ماسبه إياها أحد من البشر ولم يقروا بانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولم يجعلوه أكبر من كل شئ بل قالوا فيه ماتكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فقل ماشئت في طائفة أصل عقيدتها ان الله ثالث ثلاثة وان مريم صاحبته وان المسيح ابنه وانه نزل عن كرسى عظمته والتحم ببطن الصاحبة وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ودفن فدينها عبادة الصلبان ودعاء الصور المنقوشة بالاحمر والاصفر في الحيطان يقولون في دعائهم ياوالدة الاله أرزقينا واغفرى لنا وارحمينا فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل الى البعوضة والحلال ماحلله القس والحرام ماحرمه والدين ماشرعه وهو الذى يغفر لهم الذنوب وينجيهم من عذاب السعير

( فصل ) فهذا حال من له كتاب وأما من لا كتاب له فهو بين عابد أوثان وعابد نيران وعابد شيطان وصابئ حيران يجمعهم الشرك وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وانكار المعاد وحشر الاجساد لا يدينون للخالق بدين ولا يعبدونه مع العابدين ولا يوحدونه مع الموحدين وأمة المجوس منهم تستفرش الامهات والبنات والاخوات مع العمات والخالات دينهم الزمر وطعامهم الميتة وشرابهم الخمر ومعبودهم النار ووليهم

وكبت من يبغضه ويعاديه ووسمهم بأنهم شر الدواب وأعد لهم إذا قدموا عليه اليم العقاب وحكم لهم بأنهم أضل سبيلا من الانعام إذ استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى والكفر بالاسلام وحكم سبحانه لعلماء الكفر وعباده حكماً يشهد ذووا العقول بصحته ويرونه شيئاً حسناً فقال تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً *

( فصل ) فاين يذهب من تولى عن توحيد ربه وطاعته ولم يرفع رأساً بأمره ودعوته وكذب رسوله وأعرض عن متابعته وحاد عن شريعته ورغب عن ملته واتبع غير سنته ولم يستمسك بعهده ومكن الجهل من نفسه والهوى والعناد من قلبه والجحود والكفر من صدره والعصيان والمخالفة من جوارحه فقد قابل خبر الله بالتكذيب وأمره بالعصيان ونهيه بالارتكاب يغضب الرب وهو راض ويرضى وهو غضبان يحب ما يبغض ويبغض ما يحب ويوالى من يعاديه ويعادى من يواليه يدعو الى خلاف ما يرضى وينهى عبداً اذا صلى قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم فأصمه وأبكمه وأعماه فهو ميت الدارين فاقد السعادتين قد رضى بخزى الدنيا وعذاب الآخرة وباع التجارة الرابحة بالصفقة الخاسرة فقلبه عن ربه مصدود وسبيل الوصول الى جنته ورضاه وقربه عنه مسدود فهو ولى الشيطان وعدو الرحمن وحليف الكفر والفسوق والعصيان رضى المسلمون بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ورضى المخذول بالصليب والوثن إلهاً وبالتثليث والكفر ديناً وبسبيل الضلال والغضب سبيلا أعصى الناس للخالق الذى لا سعادة له إلا في طاعته وأطوعهم للمخلوق الذي ذهاب دنياه وأخراه في طاعته فاذا سئل في قبره من ربك وما دينك ومن نبيك قال آه آه لا أدري فيقال لا دريت ولا تليت وعلى ذلك حييت وعليه مت وعليه تبعث انشاء الله ثم يضرم عليه قبره ناراً ويضيق عليه كالزج في الرمح الى قيام الساعة * واذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور * وقام الناس لرب العالمين ونادى المنادى * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ثم رفع لكل عابد ما كان يعبده ويهواه وقال الرب تعالى وقد أنصت له الخلائق أليس عدلا مني أن أولى كل انسان منكم ما كان في الدنيا يتولاه فهناك يعلم المشرك حقيقة ما كان عليه ويتبين له سوء منقلبه وما صار اليه ويعلم الكفار انهم لم يكونوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون * وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون

ويستوعب كل طاعتنا هذا لو خلصت من الشوائب وكانت خالصة لوجهه واقعة على وفق امره وما هو والله الا التعلق باذيال عفوه وحسن الظن به والالتجأ منه اليه والاستعاذة به منه والاستكانة والتذلل بين يديه ومدّيد الفاقة والمسكنة اليه بالسؤال والافتقار اليه في جميع الاحوال فمن أصابته نفحة من نفحات رحمته أو وقعت عليه نظرة من نظرات رأفته انتعش من بين الاموات وأناخت بفنائه وفود الخيرات وترحلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات

واذا نظرتَ الي نظرة راحمٍ * في الدهر يوماً انني لسعيد

( فصل ) ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان وكان انتهى الينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده مايشفيه ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه وظن المسلم انه يضربه بدوائه فسطا به ضرباً وقال هذا هو الجواب فقال الكافر صدق أصحابنا في قولهم أن دين الاسلام انما قام بالسيف لا بالكتاب فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب فشمّر المجيب ساعد العزم ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض اليه متكل عليه في موافقة مرضاته ولم يقل مقالة العجزة الجهال ان الكفار انما يعاملون بالجلاد دون الجدال وهذا فرار من الزحف واخلاد الى العجز والضعف فجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعذر ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة والسيف انما جاء منفذاً للحجة مقوماً للمعاند وحداً للجاحد قال تعالى * لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز * فدين الاسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الناصر شعر

فما هو الا الوحي أو حد مرهف * يقيم ضُباهُ أخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل * وهذا دواء الداء من كل جاهل

والى الله الرغبة في التوفيق * فانه الفاتح من الخير أبوابه والميسر له أسبابه وسميته ﴿هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى﴾ وقسمته قسمين القسم الاول في أجوبة المسائل القسم الثاني في تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الدلائل فجاء بحمد الله ومنه وتوفيقه كتاباً ممتعاً معجباً لا يسأم قاريه ولا يمل الناظر

الشيطان فهم أخبث بني آدم نحلة واردأهم مذهباً وأسوأهم اعتقاداً ( وأما ) زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه ولا يؤمنون بمبدء ولا معاد وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء عالم بكل شيء آمر ناهٍ مرسل الرسل ومنزل الكتاب ومثيب المحسن ومعاقب المسيء وليس عند نظارهم الا تسعة أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان وسلسلة ترتبت فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين أشبه منها بمجوزات العقول وبالجملة فدين الحنيفية الذي لا دين لله غيره بين هذه الاديان الباطلة التي لا دين في الارض غيرها أخفى من السها تحت السحاب وقد نظر الله الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فاطلع الله شمس الرسالة في حناديس تلك الظلم سراجاً منيراً وأنعم بها على أهل الارض نعمة لا يستطيعون لها شكورا واشرقت الارض بنورها أكمل الاشراق وفاض ذلك حتى عم النواحي والآفاق واتسق قمر الهدى اتم الاتساق وقام دين الله الحنيف على ساق فلله الحمد الذي انقذنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من تلك الظلمات وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق الى يوم الميقات وأرانا في نوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبطون وفي سكرتهم يعمهون وفي جهالتهم يتقلبون وفي ريبهم يترددون يؤمنون ويعدلون ولكن بربهم يعدلون ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ويسجدون ولكن للصليب والوثن وللشمس يسجدون ويمكرون وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون * لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون * والحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة وتتضمن الامر بالعدل والاحسان والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الامم واليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة وان يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة فأحب الوسائل الى المحسن التوسل اليه باحسانه والاعتراف له بان الامر كله محض فضله وامتنانه فله علينا النعمة السابقة كما له علينا الحجة البالغة نبوء له بنعمه علينا ونبوء بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا واسرافنا في أمرنا فهذه بضاعتنا التي لدينا لم تبق لنا نعمه وحقوقها وذنوبنا حسنة يزكو لها الفوز بالثواب والتخلص من اليم العقاب بل بعض ذلك يستنفذ جميع حسناتنا

أحـد قط على الدين وانما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالا لامر ربه سبحانه حيث يقول * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي * وهذا نفي فى معنى النهى أي لاتكرهوا أحداً على الدين نزلت هذه الاية فى رجال من الصحابة كان لهـم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الاسـلام فلما جاء الاسلام أسلم الآباء وأرادوا اكراه الاولاد على الدين فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتي يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الاسلام والصحيح ان الآية على عمومها فى حق كل كافر وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الـكفار فلا يكرهون على الدخول فى الدين بل اما ان يدخلوا فى الدين وأما ان يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة وان استثنى هؤلاء بعض عبدة الاوثان ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين له انه لم يكره أحداً على دينه قط وانه انمـا قاتل من قاتله وأما من هادنه فلم يقاتله مادام مقيما على هدنته لم ينقض عهده بل أمر الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له كما قال تعالى * فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم * ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤه بالقتال قاتلهم فمن على بعضهم وأجلى بعضهم وقتل بعضهم وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتي بدأوا هم بقتاله ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم فى ديارهم وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخـندق ويوم بدر ايضاً هم جاؤا لقتاله ولو انصرفوا عنـه لم يقاتلهم والمقصود انه صلى الله عليه وسلم لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة وانما دخل الناس فى دينه اختياراً وطوعا فاكثر أهل الارض دخلوا فى دعوته لما تبين لهم الهدى وانه رسول الله حقاً فهؤلاء اهل اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم كما قال النبي صـلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن انك ستأتي قوما اهل كتاب فليكن اول ماتدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وذكر الحديث ثم دخلوا فى الاسلام من غير رغبة ولا رهبة وكذلك من اسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير عبـد الله مذكورون فى كتب السير والمغازى لم يسلموا رغبة فى الدنيا ولا رهبـة من السيف بل اسلمو في حال حاجة المسلمين وكثرة اعدائهم ومحاربة اهل الارض لهم من غـير سوط ولا نوط بل تحملوا معاداة اقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات ايديهم فكان احدهم يعادي اباه وامه واهل بيته وعشيرته ويخرج من الدنيا رغبة في الاسلام لا لرياسـة ولا مال بل يخلع من الرياسـة والمال ويتحمل أذى الكفار من ضربهـم

فيه فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة ولزيادة الايمان ولذة الانسان يعطيك ماشئت من اعلام النبوة وبراهين الرسالة وبشارات الانبياء بخاتمهم واستخراج اسمه الصريح من كتبهم وذكر نعته وصفته وسيرته من كتبهم والتمييز بين صحيح الاديان وفاسدها وكيفية فسادها بعد استقامتها وجملة من فضائح أهل الكتابين وما هم عليه وانهم أعظم الناس براءة من أنبيائهم وان نصوص انبيائهم تشهد بكفرهم وضلالهم وغير ذلك من نكت بديعة لا توجد في سواه والله المستعان وعليه التكلان فهو حسبنا ونعم الوكيل (أما المسئلة الاولى) وهي قول السائل قد اشتهر عندكم بان أهل الكتابين مامنعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير فكلام جاهل بما عند المسلمين وبما عند الكفار اما المسلمون فلم يقولوا انه لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير وان قال هذا بعض عوامهم فلا يلزم جماعتهم والممتنعون من الدخول في الاسلام من أهل الكتابين وغيرهم جزء يسير جداً بالاضافة الى الداخلين فيه منهم بل أكثر الامم دخلوا في الاسلام طوعا ورغبة واختياراً لا كرهاً ولا اضطرارا فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل الارض وهم خمسة أصناف قد طبقوا الارض يهود ونصارى ومجوس وصابئة ومشركون وهذه الاصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها الى مغاربها (فاما) اليهود فاكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها وكانوا بأطراف الشام مستذلين مع النصارى وكان منهم بأرض العرب فرقة وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر وكان الله سبحانه قد قطعهم في الارض أمماً وسلبهم الملك والعز وأما النصارى فكانوا أطبق الارض فكانت الشام كلهم نصارى وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها وأما الصابئة فاهل حران وكثير من بلاد الروم وأما المشركون فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها وأديان أهل الارض لاتخرج عن هذه الاديان الخمسة ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة وهذه الاديان الخمسة كلها للشيطان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره الاديان ستة واحد للرحمن وخمسة للشيطان وهذه الاديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالى * ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد * فاما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الاديان طوعا واختيارا ولم يكره

السائل وارد بعينه في حق كل نبي كذبته امة من الامم فان صوب هذا السائل رأي تلك الامة كلها فقد كفر بجميع الرسل وان قال ان الانبياء كانوا على الحق وكانت تلك الامم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل فلأن يكون المكذبون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هم الاقلون الاذلون الارذلون من هذه الطوائف على الباطل أولى واحري واي امة من الامم اعتبرتها وجدتها المصدقين بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جمهورها وأقلها وراذلها هم الجاحدون لنبوته فرقعة الاسلام اتسعت في مشارق الارض ومغاربها غاية الاتساع بدخول هذه الامم في دينه وتصديقهم برسالته وبقى من لم يدخل منهم في دينه وهم من كل أمة أقلها وأين يقع النصارى المكذبون برسالته اليوم من أمة النصرانية الذين كانوا قبله وكذلك اليهود والمجوس والصابئة لا نسبة للمكذبين برسالته بعد بعثه لى جملة تلك الامة قبل بعثه وقد أخبر تعالى عن الامم التي أطبقت على تكذيب الرسل ودمرها الله تعالى فقال تعالى * ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون* فأخبر عن هؤلاء الامم أنهم تطابقوا على تكذيب رسلهم وانه عمهم بالاهلاك فقال تعالى * كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون * ومعلوم قطعاً ان الله تعالى لم يهلك هذه الامم الكثيرة الا بعد ماتبين لهم الهدى فاختاروا عليه الكفر ولو لم يتبين لهم الهدى لم يهلكهم كما قال تعالى * وما كنا مهلكي القري الا وأهلها ظالمون* وقال تعالى* فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * أى فلم يكن قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس ومعلوم قطعاً انه لم يصدق نبي من الانبياء من أولهم الى آخرهم ولم يتبعه من الامم ماصدق محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم والذين اتبعوه من الامم أضعاف أضعاف هاتين الامتين المكذبتين مما لا يحصيهم الا الله ولا يستريب من له مسكة من عقل ان الضلال والجهل والغي وفساد العقل الى من خالفه وجحد نبوته أقرب منه الى اتباعها ومن أقر بنبوته وحينئذ فيقال كيف جاز على هؤلاء الامم التى لا يحصيهم الا الله الذين قد بلغوا مشارق الارض ومغاربها على اختلاف طبائعهم وأغراضهم وتباين مقاصدهم الاطباق على اتباع من يكذب على الله بلا وقوف على العقل ويحل ماحرم الله في دعوي وهو شر خلق الله وفاجرهم وأظلمهم وأكذبهم ولا يشك من له أدنى عقل أن إطباق أكثر الامم على متابعة هذا

وشتمهم وصنوف اذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه فان كان كثير من الاحبار والرهبان والقسيسين ومن ذكره هذا السائل قد اختاروا الكفر فقد أسلم جمهور أهل الارض من فرق الكفار ولم يبق الا الاقل بالنسبة الى من أسلم فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام ثم صاروا مسلمين الا النادر فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الابيض وكذلك المجوس كانت أمة لايحصى عددهم الا الله فاطبقوا على الاسلام لم يتخلف منهم الا النادر وصارت بلاد اسلام وصار من لم يسلم منهم تحت الجزية والذلة وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يبق منهم الا شرذمة قليلة مقطعة في البلاد فقول هذا الجاهل ان هاتين الامتين لايحصى عددهم الا الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم كذب ظاهر وبهت مبين حتى لو كانوا كلهم قد أجمعوا على الكفر لكانوا في ذلك أسوة قوم نوح وقد أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويريهم من الآيات مايقيم حجة الله عليهم وقد أطبقوا على الكفر الا قليلا منهم كما قال تعالى * وما آمن معه الا قليل * وهم كانوا اضعاف اضعاف هاتين الامتين الكافرتين اهل الغضب وأهل الضلال وعاد اطبقوا على الكفر وهم أمة عظيمة عقلاء حتى استأصلوا بالعذاب وثمود اطبقوا جميعهم على الكفر بعد رؤية الآية العظيمة التى يؤمن على مثلها البشر ومع هذا فاختاروا الكفر على الايمان كما قال تعالى *واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدي * وقال تعالى* وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين * فهاتان امتان عظيمتان من أكبر الامم قد اطبقتا على الكفر مع البصيرة فامة الغضب والضلال اذ اطبقتا على الكفر فليس ذلك ببدع وهؤلاء قوم فرعون مع كثرتهم قد أطبقوا على جحد نبوة موسى مع تظاهر الآيات الباهرة آية بعد آية فلم يؤمن منهم الا رجل واحد كان يكتم ايمانه وأيضا فيقال للنصارى هؤلاء اليهود مع كثرتهم في زمن المسيح حتي كانوا ملأ بلاد الشام كما قال تعالى *وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها * وكانوا قد أطبقوا على تكذيب المسيح وجحد نبوته وفيهم الاحبار والعباد والعلماء حتي آمن به الحواريون فاذا جاز على اليهود وفيهم الاحبار والعباد والزهاد وغيرهم الاطباق على جحد نبوة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صدقه كالشمس جاز عليهم انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومعلوم أن جواز ذلك على أمة الضلال الذين هم أضل من الانعام وهم النصاري أولى وأحري فهذا السؤال الذي أورده هذا

به وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس وان من جهل شيئاً عاداه وعادي أهله فان انضاف الى هـذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فان انضاف الى ذلك ألفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع فان انضاف الى ذلك توهمه ان الحق الذى دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته واغراضه قوى المانع من القبول جداً فان انضاف الى ذلك خوفه من اصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة فان هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الاسـلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الاسلام بعد ما تبين له الهدى كما سيأتي ذكر قصته ان شاء الله تعالى ومن أعظم هـذه الاسباب الحسد فانه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي مالم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد فانه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الايمان بعد إن كان بين الملائكة وهذا الداء هو الذى منع اليهود من الايمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علماً لاشك فيه انه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على ان اختاروا الكفر على الايمان وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الاحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والامراء هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم وانما أتي بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة واحساناً وجاء مكملا لشريعة التوراة ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً لهم بقبائحهم ومناديا على فضائحهم ومخرجا لهم من ديارهم وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو واصحابه وهم معه دائماً في سفال فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح وقد اطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدي وهذا السبب وحده كاف في رد الحق فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم وقد قال المسور بن مخرمة وهو ابن أخت أبي جهل ياخالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ماقال فقال يا ابن أختي والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب يدعى الامين فما جربنا عليه كذباً قط قال ياخال فما لكم لاتتبعونه قال يا ابن اختي تنازعنا نحن وبنوا هاشم الشرف فاطعموا واطعمنا وسقوا وسقينا واجاروا وأجرنا حتى تجاثينا على الركب

النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وخروجهم عن ديارهم وأموالهم ومعاداتهم أباءهم وأبناءهم وعشائرهم في متابعته وبذلهم نفوسهم بين يديه من أمحل المحال فتجويز إختيار الكفر بعد تبين الهدى على شرذمة قليلة حقيرة لها أغراض عديدة من هاتين الامتين أولى من تجويز ذلك على المسلمين الذين طبقوا مشارق الارض ومغاربها وهم أعقل الامم وأعلاها في جميع خصال الفضل وأين عقول عباد العجل وعباد الصليب الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم ودلوهم على مبلغها بما قالوه في معبودهم من عقول المسلمين واذا جاز اتفاق أمة فيها من قدذكره هذا السائل على أن رب العالمين وخالق السموات والارضين نزل عن عرشه وكرسي عظمته ودخل في بطن امرأة في محل الحيض والطمث عدة شهور ثم خرج من فرجها طفلا يمص الثدي ويبكي ويكبر شيئاً فشيئاً ويأكل ويشرب ويبول ويصح ويمرض ويفرح ويحزن ويلذ ويؤلم ثم دبر حيلة على عدوه ابليس بأن مكن اعداءه اليهود من نفسه فأمسكوه وساقوه الى خشبتين يصلبونه عليها وهم يجرونه الى الصلب والاوباش والاراذل قدامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره وهو يستغيث ويبكي فقدم من الخشبتين ثم توجوه بتاج من الشوك واوجعوه صفعاً ثم حملوه على الصليب وسمروا يديه ورجليه وجعلوه بين لصين وهو الذي اختار هذا كله لتتم له الحيلة على ابليس ليخلص آدم وسائر الانبياء من سجنه ففداهم بنفسه حتى خلصوا من سجن ابليس واذا جاز إتفاق هذه الامة وفيهم الاحبار والرهبان والقسيسون والزهاد والعباد والفقهاء ومن ذكرتم على هذا القول في معبودهم وإلههم حتى قال قائل منهم وهو من اكابرهم عندهم اليد الذي خلقت آدم هي التي باشرت المسامير ونالت الصلب فكيف لايجوز عليهم الاتفاق على تكذيب من جاء بتكفيرهم وتضليلهم ونادي سراً وجهراً بكذبهم على الله وشتمهم له أقبح شتم وكذبهم على المسيح وتبديلهم دينه وعاداهم وقاتلهم وبرأهم من المسيح وبرأه منهم واخبرانهم وقود النار وحصب جهنم فهذا لهذا الاسباب التي اختاروا لاجلها الكفر على الايمان وهو من اعظم الاسباب فقولكم ان المسلمين يقولون انهم لم يمنعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير كذب على المسلمين بل الرياسة والمأكلة من جملة الاسباب المانعة لهم من الدخول في الدين وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم فلما تبين لبعضهم فساد ماهم عليه قالوا لو دخلنا في الاسلام لكنا من اقل المسلمين لايأبه لنا ونحن متحكمون في اهل ملتنا في أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى الا ذلك والاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً ( فمنها ) الجهل

وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا فتى نراه فرمى بطرفه فرأني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي وانا أحدث القوم فقال ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم واني لحي بين أظهرنا فآمنا به وصدقناه وكفر به بغياً وحسداً فقلنا يافلان ألست الذي قلت ماقلت وأخبرتنا به قال ليس به قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني اشياخ منا قالوا لم يكن احد من العرب اعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن وكنا اذا بلغنا منهم مايكرهون قالوا ان نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فيقتلكم قتل عاد وإرم فلما بعث الله عز وجل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتبعناه وكفروا ففينا وفيهم أنزل الله عز وجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلماجاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجنح عن على الازدى قال كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالت اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامى الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا * يعني بك يامحمد فلعنة الله على الكافرين يستفتحون أى يستنصرون وذكر الحاكم وغيره ان بنى النضير لما اجلوا من المدينة أقبل عمرو بن سعد فاطاف بمنازلهم فرأي خرابها ففكر ثم رجع الى بني قريظة فوجدهما في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا ياأباسعيد أين كنت منذ اليوم فلم نرك وكان لايفارق الكنيسة وكان يناله في اليهودية قال رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها رأيت اخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا اموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد اوقع قبل ذلك بابن الاشرف في غيره ببنائه في بيته آمنا واوقع بابن سنينة سيدهم واوقع ببنى قينقاع فاجلاهم وهم جل اليهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم النبي عليه السلام فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على ان أجلاهم من يثرب ياقوم قد رأيتم مارأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمداً فوالله أنكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان وأبو عمير وابن حواس

وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبي فمتى تدرك مثل هذه وقال الاخنس بن شريق يوم بدر لابي جهل ياأبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو اقصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فما ذا يكون لسائر قريش وأما اليهود فقد كان علماؤهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال هل تدري عما كان اسلام اسد وثعلبة ابني شعبة واسد بن عبيد لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك فقلت لا قال فانه قدم علينا رجل من الشام من اليهود يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا والله ما رأينا رجلا يصلي خيرا منه فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين فكنا اذا قحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا فيقول لا والله حتي تقدموا امام مخرجكم صدقة فنقول كم فيقول صاع من تمر او مدين من شعير فنخرجه ثم يخرج الي ظاهر حرتنا ونحن معه نستسقي فوالله مايقوم من مجلسه حتي تمطر ويمر بالشعاب قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة فحضرته الوفاة واجتمعنا اليه فقال يامعشر يهود اترون ما اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قالوا أنت اعلم قال فاني انما خرجت اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه هذه البلاد مهاجرة فاتبعوه ولا يسبقن اليه غيركم اذا خرج يامعشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه ثم مات فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا احداثا يامعشر اليهود والله انه للذى ذكر لكم ابن الهيبان فقالوا ماهو به قالوا بلى والله انه لصفته ثم نزلوا واسلموا وخلوا اموالهم واهليهم قال ابن اسحق وكانت اموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح ردت عليهم وقال ابن اسحق حدثني صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف عن محمود بن لبيد قال كان بين ابياتنا يهودى فخرج على نادى قومه بنى عبد الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيمة والجنة والنار والحساب والميزان فقال ذلك لاصحاب وثن لا يرون ان بعثا كائنا بعد الموت وذلك قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يافلان وهذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم قال نعم والذى يحلف به لوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم تقذفوني فيه ثم تطبقون على واني انجو من النار غداً فقيل يافلان ماعلامة ذلك قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد

وجلس على عرشه يدبر امر السموات والارض لايكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة من جاء بسبها ولعنها ومحاربتها وإبداء معايبها والنداء على كفرها بالله ورسوله والشهادة على براءة المسيح منها ومعاداته لها ثم قاتلها وأذلها وأخرجها من ديارها وضرب عليها الجزية وأخبر انها من اهل الجحيم خالدة مخلدة لايغفر الله لها وانها من الحمير بل هي شر الدواب عند الله وكيف تنكر لامة أطبقت على صلب معبودها والاهها ثم عمدت الى الصليب فعبدته وعظمته وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على احراقه وأن تهينه غاية الاهانة اذ صلب عليه الاهها الذي يقولون تارة انه الله وتارة يقولون انه ابنه وتارة يقولون ثالث ثلاثة فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة أن تجحد حق عبده ورسوله وتكفر به وكيف يكثر على أمة قالت في رب الارض والسموات انه ينزل من السماء ليكلم الخلق بذاته لئلا يكون لهم حجة عليه فاراد أن يقطع حجتهم بتكليمه لهم بذاته لترتفع المعاذير عمن ضيع عهده بعد ما كلمه بذاته فهبط بذاته من السماء والتحم في بطن مريم فاخذ منها حجابا وهو مخلوق من طريق الجسم وخالق من طريق النفس وهو الذي خلق جسمه وخلق امه وأمه كانت من قبله بالناسوت وهو كان من قبلها باللاهوت وهو الاله التام والانسان التام ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عباده انه رضي بأراقة دمه عنهم على خشبة الصليب فمكن اعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم فاخذوه وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه وفار دمه في أصبعه لانه لو وقع منه شئ الى الارض ليبس كلما على وجهها فثبت في موضع صلبه النور ولما لم يكن في الحكمة الازلية ان ينتقم الله من عبده العاصي الذي ظلمه أو استهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب وسقوط منزلة العبيد أراد سبحانه أن ينتصف من الانسان الذي هو إله مثله فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو مساو له في الالهية فصلب ابن الله الذي هو الله في الساعة التاسعة من يوم الجمعة هذه ألفاظهم في كتبهم فامة أطبقت على هذا في معبودها كيف يكثر عليها ان تقول في عبده ورسوله انه ساحر وكاذب وملك مسلط ونحو هذا ولهذا قال بعض ملوك الهند اما النصاري فان كان اعداؤهم من اهل الملك يجاهدونهم بالشرع فانا ارى جهادهم بالعقل وان كنا لا نرى قتال احد لكني استثني هؤلاء القوم من جميع العالم لانهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وشذوا عن جميع مصالح العالم الشرعية والعقلية الواضحة واعتقدوا كل مستحيل ممكنا وبنوا

وهما أعلم اليهود جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه وامرانا باتباعه وأمرانا ان نقريه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا فاسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم فاعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء فقال الزبير ابن باطا قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي انزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا فقال له كعب ابن أسد ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه قال أنت قال ولم فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط قال الزبير بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وان ابيت أبينا فاقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك الى أن قال كعب ما عندي في ذلك الا ما قلت ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً وهذا المانع هو الذي منع فرعون من اتباع موسى فانه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى عليه السلام فقال له وزيره هامان بينا أنت اله تعبد تصبح تعبد ربا غيرك قال صدقت وذكر ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن صفية بنت حيي انها قالت كنت أحب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت فهذه الامة الغضبية معروفة بعداوة الانبياء قديماً واسلافهم وخيارهم قد اخبرنا الله سبحانه عن اذاهم لموسى ونهانا عن التشبه بهم في ذلك فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾ وأما خلفهم فهم قتلة الانبياء قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الانبياء حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً واقاموا السوق في آخر النهار كأنهم لم يصنعوا شيئاً واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله عن ذلك واكرمه ان يهينه على أيديهم وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه وراموا قتل خاتم النبيين مراراً عديدة والله يعصمه منهم ومن هذا شأنهم لا يكبر عليهم اختيار الكفر على الايمان لسبب من الاسباب التي ذكرنا بعضها أو سببين أو أكثر وقد ذكرنا اتفاق أمة الضلال وعباد الصليب على مسبة رب العالمين أقبح مسبة وعلى ما يعلم بطلانه بصريح العقل فان خفي عليهم ان هذا مسبة لله وان العقل يحكم ببطلانه وبفساده من أول وهلة لم يكثر على تلك العقول السخيفة أن تسب بشرا أرسله الله وتجحد نبوته وتكابر ما دل عليه صريح العقل من صدقه وصحة رسالته فلو قالوا فيه ما قالوا لم يبلغ بعض قولهم في رب الارض والسموات الذي صاروا به ضحكة بين جميع اصناف بني آدم فامة اطبقت على ان الاله الحق سبحانه عما يقولون صلب وصفع وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب ثم قام في اليوم الثالث وصعد

من له أدنى مسكة من عقل لظهر له التفاوت بينهـما هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبده على الايمان به وتصديقه فالعاقل اذا وازن بين ماإختاروه ورغبوا فيه وبين مارغبوا عنه تبين له ان القوم اختاروا الضـلالة على الهدى والغي على الرشاد والقبيح على الحسن والباطل على الحق وانهم اختاروا من العقائد ابطلها ومن الاعمال اقبحها واطبق على ذلك اساقفتهم وبتاركتهم ورهبانهم فضلا عن عوامهم وسقطهم

( فصل ) ولم يقل احـد من المسلمين ان من ذكرتم من صغير وكبير وذكر وانثى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدي بل اكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمـة معرضون عن طلب الهدي فضلا من تبيينه لهـم وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهـم وعلمائهم وهو اقل القليـل وهم الذين اختاروا الكفر علي الايمان بعد تبين الهدي وأى اشكال يقع للعقل في ذلك فلم يزل في الناس من يختار الباطل فنهم من يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به ومنهـم من يختاره حسدا وبغياً ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة فلم يحصر اسباب اختيار الكفر فى حب الرياسة والمأكلة

( فصل ) وأما المسئلة الثانيـة وهي قولكم هب انهم اختاروا الكفر لذلك فهل لااتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة امااختيارا واما قهرا فجوابه من وجوه أحدها انا قد بينا ان اكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختيار الااضطرارا وأكثرهم اولوا العقول والاحلام والعلوم ممن لا يحصيهم الا الله فرقعة الاسلام انما انتشرت في الشرق والغرب باسلام اكثر الطوائف فدخـلوا في دين الله افواجا حـتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار وقد بينـا ان الذين اسلموا من اليهود والنصاري والمجوس والصابئين اكثر من الذين لم يسلموا وانه انما بقي منهم أقل القليل وقد دخل فى الاسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسـلم خلق كثير وهذا ملك النصارى على اقليم الحبشة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما تبين له انه رسول الله آمن به ودخـل فى دينـه وآوى اصحابه ومنعهم من أعدائهم وقصته اشهر من ان تذكر ولما مات اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر ثم خرج بهم الى المصلى وصلى عليه فروى الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام المخزومى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسـلم قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنابها خير جار النجاشى أمننا على ديننا وعبدنا الله لانؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا على أن يبعثوا

من ذلك شرعا لايؤدى الى صلاح نوع من انواع العالم ولكنه يصير العاقل اذا شرع به اخرق والرشيد سفيهاً والحسن قبيحاً والقبيح حسناً لان من كان في اصل عقيدته التي جري نشؤه عليها الاسائة الى الخلاق والنيل منه وسبه اقبح سبة ووصفه بما يغير صفاته الحسنى فالخلق به ان يستسهل الاسائة الى مخلوق وان يصفه بما يغير صفاته الجميلة فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم اضرارهم التي لاتحصى وجوهه كما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لكانوا اهلا لذلك والمقصود ان الذين اختاروا هذه المقالة في رب العالمين على تعظيمه وتنزيهه واجلاله ووصفه بما يليق به الذين اختاروا الكفر بعبده ورسوله وجحد نبوته والذين اختاروا عبادة صور خطوها بايديهم في الحيطان مزوقة بالاحمر والاصفر والازرق لو دنت منها الكلاب لبالت عليها فاعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسئلوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل على الايمان به وتصديقه واتباعه والذين نزهوا بطارقتهم وبتاركتهم عن الصاحبة والولد ونحلوها للفرد الصمد هم الذين انكروا نبوة عبده وخاتم رسله والذين اختاروا صلاة يقوم أعبدهم وأزهدهم اليها والبول على ساقه وافخاذه فيستقبل الشرق ثم يصلب على وجهه ويعبد الاله المصلوب ويستفتح الصلاة بقوله ياابانا أنت الذي في السموات تقدس اسمك ولياًت ملكك ولتكن ارادتك في السماء مثلها في الارض اعطنا خبزنا الملايم لنا ثم يحدث من هو الى جانبه وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير وعما كسب في القمار وعما طبخ في بيته وربما احدث وهو في صلاته وهو لو اراد لبال في موضعه ان امكنه ثم يدعوا تلك الصورة التي هي صنعة يد الانسان فالذين اختاروا هذه الصلاة على صلاة من اذا قام الى صلاته طهر اطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة واستقبل بيته الحرام وكبر الله وحمده وسبحه واثني عليه ماهو اهله ثم ناجاه بكلامه المتضمن لافضل الثناء عليه وتحميده وتمجيده وافراده بالعبادة والاستعانة وسؤاله اجل مسئول وهو الهداية الى طريق رضاه التي خص بها من انعم الله عليه دون طريق الامتين المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم النصارى ثم اعطي كل جارحة من الجوارح حظها من الخشوع والخضوع والعبودية مع غاية الثناء والتمجيد لله رب العالمين لايلتفت عن معبوده بوجهه ولا قلبه ولا يكلم أحدا كلمة بل قد فرغ قلبه لمعبوده واقبل عليه بقلبه ووجهه ولا يحدث في صلاته ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع اليها فالذين اختاروا تلك الصلاة التي هي في الحقيقة استهزاء بالمعبود لايرضاها المخلوق لنفسه فضلا أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التي لو عرضت على

وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وا كل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً وامرنا بالصلوة والزكوة والصيام قالت فعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله عز وجل وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من كهيعص قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقوا فو الله لا اسلمهم اليكم أبداً ولا اكاد قالت ام سلمة فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غداً اعيبهم عنده بما استأصل به خضراءهم قالت فقال عبد الله بن ابي ربيعة وكان اتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم ارحاماً وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه من الغد فقال له ايها الملك انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فتسئلهم عما يقولون فيه قالت فأرسل اليهم فسئلهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى اذا سألكم عنه قالوا نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذى جاء به نبينا هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته التى القاها الى مريم العذراء البتول وروح منه فضرب النجاشى يده الى الارض وأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال فقال وان نخرتم وان نخرتم والله أذهبوا فانتم سيوم بأرض والسيوم الآمنون من سبكم غرم من سبكم غرم ما أحب ان لي دبر ذهب وانى أذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما ولا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علي

الى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب مايأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما إدفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم اليكم قبل أن يكلمهم قالت فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جوار فلم يبق من بطارقته بطريق الادفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ثم قالا لكل بطريق انه قد صبا الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولاأنتم وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم لتردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا نعم ثم أنهم قربا هداياهم الى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعابوهم فيه قالت ولم يكن شئ أبغض الى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم فقالت بطارقته حوله صدقوا أيها الملك قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما ليردوهم الى بلادهم وقومهم قال فغضب النجاشي ثم قال لاها الله اذن لاأسلمهم اليهما ولا أكاد اقوام جاوروني ونزلوا ببلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فاسئلهم مايقول هذان في أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ماجاوروني قالت ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاؤه وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الامم قالت وكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، نقطع الارحام ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته

الرحل فلم تظهر بمجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال مالعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا فقالوا لهم سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل من أنفسنا خيراً ويقال أن النفر من النصارى من أهل نجران ويقال فيهم نزلت *الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا* (الى قوله) سلام عليكم لانبتغي الجاهلين* وقال الزهري مازلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه قال ابن اسحق ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد ابن جعفر ابن الزبير قال لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فاراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكباً منهم أربعة وعشرون رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لايصدرون الا عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجمعهم وأبو حارثة ابن علقمة أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه فتولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة متوجهاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره اذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال له كرز تعس الا بعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة بل أنت تعست فقال ولم يا أخي فقال والله انه للنبي الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا فقال ماصنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وتولونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل كرامة فاصر عليه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم واذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماؤهم وأحبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم وليس بمستنكر أن يمنع الرياسة والمناصب والمآكل للرؤساء ويمنع الاتباع تقليدهم بل هذا هو الواقع والعقل لايستشكله

( فصل )

وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الاسلام لما تبين لهم انه الحق الرئيس

ملكي فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاؤا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه قالت فوالله ما علمنا حزناً قط كان اشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا ان يظهر على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت فسار النجاشي وبينهما عرض النيل فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير انا وكان من احدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فاستوسق له امر النجاشي بالحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان شهر ربيع الاول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به مع عمرو بن امية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب اسلم وقال لو قدرت على ان آتيه لأتيته وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ففعل وأصدق عنه اربعمائة دينار وكان الذى تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه من بقي عنده من اصحابه ويحملهم ففعل فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فشخصوا اليه فوجدوه قد فتح خيبر فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا فهذا ملك النصارى قد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه وكم مثله ممن هو دونه هداه الله من النصارى قد دخل في الدين وهم اكثر باضعاف مضاعفة ممن اقام على النصرانية قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا اوقريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وقبالتهم رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام في نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر

هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد علمت مكانها قال فان الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز قلت كسري ابن هرمز قال كنوز كسرى ابن هرمز وليفيض المال حتى يهم الرجل من يقبل منه صدقته قال فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار وكنت في أول خيل أغارت على المداين ووالله لتكونن الثالثة انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان سلمان الفارسي من أعلم النصاري بدينهم وكان قد تيقن خروج النبي صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة قبل مبعثه فلما رآه عرف أنه هو النبي الذي بشر به المسيح فآمن به واتبعه ونحن نسوق قصته قال ابن اسحق حدثني عاصم عن محمود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثني سلمان الفارسى من فيه قال كنت رجلا فارسياً من أهل اصبهان من قرية يقال لها جيّ وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل حبه إياي حتى حبه اياي حبسني في بيت كما تحبس الجارية فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار التي نوقدها لا نتركها تخبو ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال يابنى انى قد شغلت فى بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحبس عني فانك ان احتبست عني كنت أهم الىّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمرى فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنايس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لاأدرى ما أمر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه فوالله مابرحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعته فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال يابني أين كنت الم أكن عهدت اليك ماعهدت قلت ياأبت مررت باناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني مارأيت من دينهم فوالله مازلت حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل هذا الدين علماً قالوا الاسقف في الكنيسة فجئته فقلت له اني قد رغبت في

المطاع في قومه عدي ابن حاتم الطائي ونحن نذكر قصته رواها الامام أحمد والترمذى والحاكم وغيرهم قال عـدى بن حاتم أتيت النبي صلى الله عليـه وسلم وهو جالس في المسجد فقال القوم هذا عدى بن حاتم وجئت بغـير أمان ولا كتاب فلما رفعت اليه أخذ بيدى وقدكان قال قبل ذلك اني لا أرجوا أن يجعل يده في يدى قال فقام لي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا ان لنا اليك حاجة فقام معهما حتي قضى حاجتهما ثم أخذ بيدى حتى أتي بي داره فالقت له الوليـدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنا عليه ثم قال مايضرك ان تقول لااله الا الله فهل من اله سـوى الله قال قلت لا ثم تكلم ساعـة ثم قال اما تفر ان الله تعالى أكبر وتعلم ان شيئاً أكبر من الله قال قلت لا قال فان اليهود مغضوب عليهم وان النصاري ضلال قال قلت فاني حنيف مسلم قال فرأيت وجهه يبسط فرحا قال ثم امرني فانزلت عند رجـل من الانصار جعلت اغشاه آتيه طرفي النهار قال فبينا انا عنده عشيـة اذ جاءه قوم في ثيـاب من الصوف من هذه النمـار قال فصلى وقام فجلس اليهم ثم قال ولو بصاع ولو بنصف صاع ولو بقبضـة ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم أوالنار ولو بتمرة ولو بشق تمرة فان أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً فيقول بلى فيقول ألم أجعل لك مالا وولداً فيقول بلى فيقول أين ماقدمت لنفسك فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لايجد شيئاً يقي وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة فانى أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتي لتسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر مايخاف على مطيتها الشرق قال فجعلت أقول في نفسي فاين لصوص طي وكان عدي مطاعا في قومه بحيث يأخذ المرباع من غنائمهـم وقال حماد ابن زيد عن أيوب عن محمد ابن سيرين قال قال أبوعبيدة ابن حذيفة قال عدي بن حاتم بعث الله محمـداً صلي الله عليه وسلم فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط فخرجت حتي أتيت أقصى أرض العرب مما يلي الروم ثم كرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الاول فقلت لو أتيته فسمعت منه فأتيت المدينة فاستشرفني الناس وقالوا جاء عدي بن حاتم الطائي جاء عدي ابن حاتم الطائي فقـال ياعدي بن حاتم الطائي اسلم تسلم فقلت اني على دين قال أنا أعلم بدينك منك قلت أنت أعلم بديني مني قال نعم قال هذا ثلثاً قال ألست ركوسيا قلت بلى قال الست برأس قومك قلت بلى قال ألست تأخذ المرباع قلت بلى قال فان ذلك لايحل لك في دينك قال فوجدت بها على غضاضة ثم قال لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصـة وترى الناس علينا ألباً واحـداً

مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرته الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لاتخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مربي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقيراتي هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فأعطيتموها فحملوني معهم حتى اذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لي صاحبي ولم يحق في نفس فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ماهو الا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام بمكة ماقام لااسمع له بذكر مع ماأنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتى اذا قبل ابن عم له حتي وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة والله انهم الآن لمجتمعون معا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها أخذتني عدواً حتي ظننت انى ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لاشئ انما اردت استثبته عما قال وقد كان عندي شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك فلم يأكل فقلت في نفسى هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به فقلت انى قد رأيتك لاتأكل الصدقة وهي هدية أكرمتك بها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسى هاتان اثنتان ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الفرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعلي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هذا أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي فلمارآى صلى الله عليه وسلم استدبر به عرف اني استثبت في شئ وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك ياابن عباس فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك

هــذا وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فان جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتي جمع سبع قــلال من ذهب وورق فأبغضته بغضاً شديدا لما رأيته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً فقالوا لى وما علمــك بذلك قلت انا أدلــكم على كنزه فأريتهــم موضعــه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً فصلبوه ورموه بالحجارة وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فمــا رأيت رجلا يصلي ارى أنه أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا ادأب ليــلا ولا نهاراً منه فأحببته حبا لم أحبه شيئاً قبله فاقمت معــه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له يافلان اني قد كنت معك واحببتك حباً لم أحبه شــيئاً قبلك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالي من توصي بي وبم تأمرني فقال أى بني والله ماأعلم أحداً على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيّب لحقت بصــاحب الموصــل فقلت له يافلان ان فلاناً أوصاني عند موته ان الحق بك وأخبرني انك على أمره فقال أقم عندى فاقمت عنــده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلما حضرته الوفاة قلت له يافلان ان فلاناً أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمرالله ماترى فالى من توصى بي وبم تأمرني قال يابنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يافلان ان فلاناً أوصي بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرني فقال يابني والله ما اعلمه بقي أحــد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيّب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال أقم عنــدي فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لى بقــيرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرني قال يابني والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي

قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة ماندري ماهو صانع فيها قال فوالله ما امكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه قال فهل قال هذا القول احد قبله قلت لا قال لترجمانه قل له اني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في احساب قومها وسألتك هل كان في ابائه ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم ام أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال فزعمت ان لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخله سخطة له فزعمت ان لا وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول احد قبله فزعمت أن لا فقلت لو قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إئتمّ يقول قيل قبله ثم قال فبم يأمركم قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال ان يكن ماتقول حقاً انه نبي وقد كنت أظن انه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ولو اعلم اني أخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ماتحت قدمى ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين «ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون» فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا ثم أذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت ثم أطلع فقال يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن تثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم على فقال اني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فهذا ملك الروم وكان من علمائهم ايضاً عرف وأقر انه نبي وانه سيملك ماتحت قدميه وأحب الدخول في الاسلام فدعى قومه اليه

اصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد قال قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر يعني الرجل بقدر ماعنده حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان ففقر لها فاذا فرغت فاتني أكن أنا اضعها بيدى ففقرت واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودى ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغت فوالذى نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي على المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال مافعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان فقلت وأين تقع يارسول الله مما علي قال خذها فان الله سيؤدي بها فاخذتها فوزنت لهم منها والذى نفسي بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد *

( فصل ) وكان ملك الشام أحد اكابر علمائهم بالنصرانية هرقل قد عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً وعزم على الاسلام فاباه عباد الصليب فخافهم على نفسه وضن بملكه مع علمه بأنه سينقل عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته ونحن نسوق قصته في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ان أباسفيان أخبره من فيه الى فيه قال انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا انا بالشام اذ جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وقد كان دحية بن خليفة جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل فقال هرقل هل ههنا احد من قوم هذا الرجل الذى يزعم انه نبي قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه واجلسوا اصحابي خلفي فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن الرجل الذى يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه فقال أبو سفيان وايم الله لولا مخافة ان يؤثر علي الكذب ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قلت لا قال ومن اتبعه اشراف الناس أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلت لا بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له قال قلت لا قال فهل قاتلتموه

الواقدي كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبـد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدي اما بعد فاني ادعوك بداعية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم القبط * يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون * وختم الكتاب فخرج به حاطب حتي قدم عليه الاسكندرية فانتهى الى حاجبه فلم يلبثه ان أوصل اليـه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حاطب للمقوقس لما لقيه انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك قال هات قال ان لنا ديناً لن ندعـه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقدما سواه ان هذا النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهـل التورية الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهـم من امته فالحق عليهـم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس اني قد نظرت في هذا النبي فرأيته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجـدت معـه الة النبوة من اخراج الخبئ والاخبار بالنجوى ووصف لحاطب اشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقال القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا احب ان تعلم بمحاورتي اياك وانا اضن بملكي ان أفارقه وسيظهر على بلادي وينزل بساحتي هذه اصحابه من بعده فارجع الى صاحبك واخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبـد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام وقـد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهـما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد والجاريتـان مارية وسيرين والبغلة دلدل وبقيت الى زمن معوية قال حاطب فـذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه

(فصل) وكذلك ابنا الجلندي ملكا عمان وما حولهـا من ملوك النصارى

فولوا عنه معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فمنعه من الاسـلام الخوف على ملكه ورياسته ومنع أشباه الحمير ممن منع الامم قبلهم ولما عرف النجاشي ملك الحبشة ان عباد الصليب لايخرجون عن عبادة الصليب الى عبادة الله وحده اسلم سراً وكان يكتم اسلامه بينهم هو واهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليـه عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه مكانه يدعوه الى الاسلام فقال له عمرو يا أصحمه عليّ القول وعليك الاستماع انك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيراً قط الا نلناه ولم نخفك على شئ قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لايرد وقاض لايجور وفي ذلك موقع الحز وأصابة المفصل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لمالم يرجهم له وأمنك على ماخافهم عليـه لخير سالف وأجر منتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه للنبي الامي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من الخبر .

قال الواقدي وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة اسلم انت فاني أحمد اليك الله الذي لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة حملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله اليك واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجـل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى ٠

فكتب اليه النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم الى محمـد رسول الله من النجاشي أصحمه سلام عليك يانبي الله من الله وبركات الله الذي لااله الا هو أما بعد فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسي فورب السماء والارض ان عيسي لايزيد على ماذكرت تفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا مابعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك واصحابه فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتـك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين والتفروق علاقة تكون بين النواة والتمرة

(فصل) وكذلك ملك دين النصرانية بمصر عرف انه نبي ولكن منعه من اتباعه ملكه وان عباد الصليب لايتركون عبادة الصليب ونحن نسوق حـديثه وقصته قال

الشجر وترد المياه فقلت نم فقال والله ماأرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياماً وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعاني يوماً فدخلت عليه فاخذا عوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا أن يدعونى أجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا انى رأيت أخاه أرق منه ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت إتبعوه اما راغب في الاسلام واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا فى ضلال فما أعلم أحداً بقى غيرك في هذه الحرجة وان أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعنى يومي هذا وارجع الىّ غداً فرجعت الى أخيه فقال ياعمرو انى لأرجو أن يسلم ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فابي أن يأذن لى فانصرفت الى أخيه فاخبرته انى لم أصل اليه فاوصلني اليه فقال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا مافي يدى وهو لايبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقا قلت وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال مانحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل اليه قد أجابه فاصبح فارسل الىّ فاجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبي صلي الله عليه وسلم وخليابيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لى عونا على من خالفنى

(فصل) وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هودة بن على الحنفى صاحب اليمامة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هودة ابن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم أجعل لك ماتحت يدك وكان عنده اركون دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبي صلي الله عليه وسلم وقال قد جاءنى كتابه يدعوني الى الاسلام فقال له الاركون لم لاتجيبه فقال ضننت بديني وأنا ملك قومى ان اتبعته لم أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك في اتباعه وانه للنبى العربي بشر به عيسى بن مريم والله انه لمكتوب عندنا في الانجيل

(فصل) وذكر الواقدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شجاع ابن وهب الى الحارث بن أبي شمر وهو بغوطة دمشق فكتب اليه مرجعه من الحديبية بسم

اسلما طوعا واختياراً ونحن نذكر قصتهما وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما وهذا لفظه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى حيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بداعية الاسلام اسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما مكانكما وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وختم الكتاب وبعثه مع عمرو ابن العاص قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الي عمان فلما قدمتها انتهيت الى عبد وكان احكم الرجلين واسهلهما خلقاً فقلت انى رسول رسول الله اليك والي أخيك فقال أخي المقدم عليّ بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك ثم قال لى وماتدعو اليه قلت ادعوك الي الله وحده لاشريك له وتخلع ماعبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله قال ياعمرو انك سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد ووددت انه كان أسلم وصدق به وكنت انا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فتى تبعته قلت قريبا فسألني أين كان اسلامى فقلت عند النجاشى واخبرته ان النجاشى قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه قال والاساقفة والرهبان قلت نعم قال انظر ياعمرو ماتقول انه ليس خصلة في رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ماأرى هرقل علم باسلام النجاشى قلت بلى قال باي شئ علمت ذلك قلت كان النجاشى يخرج له خراجاً فلما اسلم وصدق بمحمد قال لاوالله لو سألني درهماً واحداً ماعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له نياق اخوه اتدع عبدك لايخرج لك خراجاً ويدين دينا محدثاً قال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ماأصنع به والله لولا الضن بملكي اصنعت كما صنع قال انظر ماتقول ياعمرو قلت والله لقد صدقتك قال عبد فاخبرني ماالذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عزوجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ماأحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير دينا قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال ياعمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعي

ونحن نذكر قصة عبـد الله بن سلام فروى البخارى في صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أقبـل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقالوا جاء نبي الله فاستشرفوا ينظرون اذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لاهله يخترف لهم منـه فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الي أهله فلما خلا نبي الله صلي الله عليه وسلم جاء عبدالله بن سلام فقال أشهد انك نبي الله حقاً وانك جئت بالحق ولقد علمت اليهود انى سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فاسئلهم عنى قبل أن يعلموا انى قد اسلمت فانهم ان يعلموا انى قد اسلمت قالوا في ماليس في فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم نبي الله صلي الله عليه وسلم يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لااله الاهو انكم لتعلمون انى رسول الله حقاً وانى جئتكم بحق اسلموا قالوا مانعلمه فاعادها عليهم ثلثاً وهم يجيبونه كذلك قال أي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم قالوا حاش لله ما كان ليسـلم فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج اليهم فقال يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لااله الاهو انكم لتعلمون انه رسول الله حقاً وانه جاء بالحق فقالوا كذبت فاخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخارى أيضاً من حديث حميد عن أنس قال سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي مااول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنـة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال أخبرني بهن جبرائيل آنفـا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة قال ثم قرأ هذه الآية *من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله* أما أول اشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجـل ماء المرأة نزع الولد الى ابيه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه فقال اشهد ان لااله الاالله أن اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبـل أن تسألهم عنى بهتونى فجاءت اليهود اليه فقال أى رجل فيكم عبـد الله ابن سلام قالوا خـيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الاالله واشهد أن محمدا رسول الله قالوا شرنا وابن شرنا انتقصوه قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله

الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث ابن أبي شمر سـلام على من اتبع الهدى وآمن به وصـدق واني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحـده لاشريك له يبقا ملكك وختم الكتاب فخرج به شجاع بن وهب قال فانتهيت الى حاجبه فاجده يومئذ وهو مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر وهو جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عزوجـل قال فاقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله اليه فقال حاجبه لاتصل اليه حتي يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان رومياً اسمه مرى يسألني عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وما يدعوا اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه يخرج بالشام فاراه قد خرج بارض العرب فانا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث ابن أبي شمر أن يقتلني قال شجاع فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحارث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحارث يوما وجلس فوضع التاج على رأسه فاذن لي عليـه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقرأه وقال من ينـتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علىّ بالناس فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال اخبر صاحبك ماترى وكتب الى قيصر يخبره خبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية الكلبي قد بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلماقرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لاتسر اليه واله عنه ووافني بايليا قال ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهباً ووصلني مرى بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام واخبره اني متبع دينه قال شجاع فقدمت على رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاخبرته فقال باد ملكه واقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق

( فصـل ) ونحن انمـا ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظمائهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الارض ولم يتخلف عن متابعته الا الاقلون وهم أما مسالم له قد رضي بالذلة والجزية والهوان وأما خائف منه فاهل الارض معـه ثلاثة أقسام مسلمون له ومسالمون له وخائفون منه ولو لم يسلم من اليهود في زمنه الا سيدهم على الاطلاق وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم عبد الله بن سلام لكان في مقـابلة كل يهودى على وجه الارض فكيف وقد تابعه على الاسـلام من الاحبار والرهبان من لايحصي عددهم الا الله

فاقبل عليهم قومهم وعلى تلك الاوثان فهدموها وعمد أبو ياسر بن احطب اخو حيي ابن احطب وهو ابو صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه وذلك قبل ان تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال ابو ياسر ياقوم اطيعوني فان الله عز وجل قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق اخوه حيي حين سمع ذلك وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بنى النضير فاتا النبي صلى الله عليه وسلم فجلس اليه وسمع منه فرجع الى قومه وكان فيهم مطاعا فقال أتيت من عند رجل والله لاازال له عدواً ابداً فقال له اخوه ابو ياسر ياابن امي اطيعني في هذا الامر ثم اعصني فيما شئت بعده لاتهلك قال لا والله لااطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه *

وذكر ابن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر عمن حدثه عن صفية بنت حيي انها قالت لم يكن من ولد ابى وعمى احد أحب اليهما مني لم القهما في ولد قط الا أخذا نى دونه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا نزل في بنى عمرو وابن عوف فغدا اليه ابي وعمي أبو ياسر بن أحطب مغلسين فوالله ماجاءا الا مع مغيب الشمس فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله مانظر الي واحد منهما فسمعت عمي أبا ياسر يقول أهو هو قال نعم والله قال تعرفه بنعته وصفته قال نعم والله قال فماذا في نفسك منه قال عداوته والله مابقيت قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال لما أسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن شعية وأسد بن شعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من اليهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام قال من كفر من اليهود ما آمن بمحمد ولا أتبعه الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله عز وجل في ذلك * ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ليؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين *

( فصل ) قال السائل مشهور عندكم في الكتاب والسنة ان نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل لكنهم محوه عنهما لسبب الرياسة والمأكلة والعقل يستشكل ذلك أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا هذا امر يستشكله العقل اعظم من نفيهم بألسنتهم لانه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم والرجوع عما محوا ابعد والجواب ان هذا السؤال مبني على فهم فاسد وهو

وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيي بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيأته والذي كنا نتوكف له فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما قدم نزل معنا في بني عمرو بن عوف فأقبل رجل حتى اخبر بقدومه وأنا في رأس نخل لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري لو كنت سمعت بموسى ابن عمران ماذا قال قلت لها أى عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به فقالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نبشر به انه يبعث مع نفس الساعة قال قلت لها نعم قالت فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان اليهود قوم بهت واني أحب ان تدخلني في بعض بيوتك تغيبني عنهم ثم تسألهم عني كيف انا فيهم قبل ان يعلموا باسلامي فانهم ان علموا بذلك بهتوني وعابوني قال فأدخلني بعض بيوته فدخلوا عليه فكلموه وسألوه فقال لهم أى رجل عبد الله بن سلام قالوا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يامعشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته فاني أشهد أنه رسول الله وأومن به واصدقه واعرفه قالوا كذبت ثم وقعوا في فقلت يارسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال فاظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي واسلمت عمتي ابنة الحارث فحسن اسلامها وفي مسند الامام أحمد وغيره عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانجفل الناس قبله فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت في الناس لا نظر الى وجهه فلما ان رأيت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته منه ان قال يأيها الناس اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعلماء القوم واحبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة ومنهم من آثر الدنيا واطاع داعي الحسد والكبر وفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري قال كان بالمدينة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثان تعبدها رجال من اهل المدينة لا يتركونها

من امته وصفته وذكره كما سيمر بك ان شاء الله وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي آخر وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة ولم تجد عليه هذه المكابرة الا كشفه عورته وابدائه الفضيحة بالكذب والبهتان فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر وسلمان بتلك العلامات المذكورات التي سأل عنها أبا سفيان فطابقت ما عنده فقال ان يكن ما تقول حقاً فانه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين وكذلك من قدمنا ذكرهم من الاحبار والرهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم قال تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ وقال في موضع آخر ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون﴾ ومعلوم ان هذه المعرفة اعني بالنعت والصفة المكتوبة عندهم التي هي منطبقة عليه كما قال بعض المؤمنين منهم والله لاحدنا اعرف به من ابنه ان احدنا ليخرج من عند امرأته وما يدري ما يحدث بعده ولهذا أثنى سبحانه على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه فقال ﴿لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم﴾ قال ابن عباس لما حضر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي النجاشي وقرؤا القرآن سمع ذلك القسيسون والرهبان فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فقال الله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون الآيات وقال سعيد بن جبير بعث النجاشي من خيار اصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا وقالوا نعرف والله فاسلموا وذهبوا الى النجاشي فاخبروه فاسلم فانزل الله فيهم واذا سمعوا ما انزل الى الرسول الآيات وقال السدي كانوا اثني عشر رجلا سبعة من القسيسين وخمسة من الرهبان فلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بكوا وقالوا ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ قال ابن عباس هم محمد وأمته وهم القوم الصالحون الذين طمعوا

ان المسلمين يعتقدون ان اليهود والنصارى في جميع اقطار الارض محوا ذلك الاسم واسقطوه جملة من الكتابين وتواصوا بذلك بعداً وقرباً وشرقاً وغرباً وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ولا أخبر الله سبحانه به في كتابه عنهم ولا رسوله ولا بكتهم به يوماً من الدهر ولا قاله أحد من الصحابة ولا الائمة بعدهم ولا علماء التفسير ولا المعتنون بأخبار الامم وتواريخهم وان قدر أنه قال بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل يضر الصديق الجاهل أكثر مما يضر العدو العاقل وانما أتى هؤلاء من قلة فهم القرآن وظنوا أن قوله تعالى * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر * دل على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والانجيل المخصوصين وان ذلك لم يوجد البتة فههنا ثلاث مقامات المقام الاول فالرب سبحانه انما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم أي الاخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته ولم يخبر بأن صريح اسمه العربي مذكور عندهم في التوراة والانجيل وهذا واقع في الكتابين كما سنذكر ألفاظهما ان شاء الله وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه فان الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز ولا يشاء أحد يسمى بهذا الاسم أن يدعي انه هو الا فعل اذ الحوالة انما دفعت على مجرد الاسم وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته ووقت مخرجه ونحو ذلك فان هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه وهذا القدر مذكور في التوراة والانجيل وغيرها من النبوات التي بأيدي أهل الكتاب كما سنذكرها ويدل عليه وجوه الوجه الاول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته ولا سيما أهل العلم والكتاب وان الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقي انك فلان ابن فلان وصنعتك كيت وكيت وتعرف بكيت وكيت ولم يكن الامر كذلك بل بضده فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدقه أحد على ذلك ولا يتبعه أحد على ذلك بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين لقوله ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلناً في هاتين الامتين اللتين هما أعلم الامم في الارض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم وهو يتلو ذلك عليهم ليلا ونهاراً سراً وجهاراً في كل مجمع وكل ناد يدعوهم بذلك الى تصديقه والايمان به فمنهم من يصدق ويؤمن به ويخبر بما في كتبهم

يفعلون اذا فزعوا بالنهار واذا كان فزعهم ليلا ضرب بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمع اهل الوادى اعلاه واسفله وطوله مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاثة وسبعون قرية وعشرون ومائة الف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الراي فيه فاجتمع راي اهل الراي منهم على ان يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبدالله ابن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبر وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم كانا يبعثان العير الى نجران في الجاهلية فيشترى لهما من برها وتمرها فوجدوها في ناس من المهاجرين والانصار في مجلس فقالوا ياعثمان وياعبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا بكتاب فاقبلنا مجيبين له فاتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا فتصدينا لكلامه نهارا طويلا فاعيانا ان يكلمنا فما الراى منكما أنعود أم نرجع اليه فقالا لعلى ابن أبي طالب وهو في القوم ماترى ياأبا الحسن في هؤلاء القوم فقال على لعثمان وعبد الرحمن أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه ففعل وفد نجران ذلك ووضعوا حللهم وخواتيمهم ثم عادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ثم قال والذى بعثني بالحق لقد أتوني المرة الاولى وان ابليس لمعهم ثم سألهم وسألوه فلم يزل به وبهم المسألة حتى قالوا له ماتقول في عيسى فانا نحب أن نعلم ماتقول فيه فانزل الله عز وجل * ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * فأبوا أن يقولوا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر اقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميل له وفاطمة تمشى عند ظهره الى الملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه ياعبد الله بن شرحبيل وياجبار بن فيض لقد علمتما ان الوادى اذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا الا عن رأيي وانى والله أرى أمرا مقبلا والله لئن كان هذا الرجل ملكا مبعوثا فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبنا بجائحة وانا لأدنى العرب منهم جوارا

يدخلهم الله فيهم والمقصود ان هؤلاء الذين عرفوا انه رسول الله بالنعت الذي عندهم ملكوا أعينهم من البكاء وقلوبهم من المبادرة الى الايمان ونظيرهذا قوله سبحانه «قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا» قال امام التفسير مجاهد هم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً وقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا كان الله عز وجل وعد على السنة انبيائه ورسله ان يبعث في آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله وتنشر دعوته في اقطار الارض وعلى رأس أمته تقوم الساعة واهل الكتابين مجمعون على ان الله وعدهم بهذا النبي فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه والاشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا انه النبي الموعود به فخروا سجدوا لله ايماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذي انجزه فرأوه عياناً فقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وذكر يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس وكان نصرانياً فاسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل نجران بسم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله الى اسقف نجران واهل نجران انى احمد اليكم اله ابراهيم واسحق ويعقوب اما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام فلما اتى الاسقف الكتاب فقرأه فزع به وزعره ذعراً شديداً فبعث الى رجل من اهل عمان يقال له شرحبيل ابن وداعة وكان من همدان ولم يكن احد يدعي الى معضلة قبله فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شرحبيل فقرأه فقال الاسقف ما رأيك يا ابا مريم فقال شرحبيل قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة فما تأمن ان يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في النبوة رأى لو كان امر من الدنيا اشرت عليك فيه برأى وجهدت لك فقال الاسقف تنح فاجلس فتنحى فجلس ناحية فبعث الاسقف الى عبد الله ابن شرحبيل فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل فأمره الاسقف فتنحى ثم بعث الى رجل من اهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحرث بن كعب فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فامره الاسقف فتنحى ناحية فلما اجمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً امر الاسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح بالصوامع وكذلك كانوا

الشان صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وانه نبي آخر غيره وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت الخامس ان كثيراً منهم صرح بخاصته وبطانته بانه هو هو بعينه وانه عازم على عداوته ما بقي كما تقدم السادس ان أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بانه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد اخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الانبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الانبياء وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم وتلك الاخبارات أكثر من أن تحصى ولم يكذبوه يوما واحداً في شيء منها وكانوا أحرص شيء على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو ينادون بها عليه ويجدون بها السبيل الى تنفير الناس عنه فلم يقل أحد منهم يوما من الدهر يقول أنه أخبر بكذا وكذا انه في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه وهذا من أعظم الادلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم بمجرد خبره السابع انه أخبر بهذا لاعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم وأخبر به لاعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لاتباعه فلو كان باطلا لا أصل له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك وتسليطاً لاهل الكتاب على الانكار وتسليطاً لاتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه وذلك ينقض الغرض المقصود باخباره من كل وجه وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل اخباره دليلا على صدقه ويجعل أخباره تصديقاً وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وان لم يعلم وجوده من غير جهة أخباره فكيف وقد علم وجود ما أخبر به الثامن انه لو قدر انهم لم يعلموا بشارة الانبياء به وأخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته اذ ليس كل ما قاله الانبياء المتقدمون وصل الى المتأخرين وأحاطوا به علما وهذا مما يعلم بالاضطرار فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولا علم لليهود والنصارى به فاذا أخبر به من قام الدليل القاطع على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه الا بأن يعلموا أنه ليس في غير هذه النسخ التي بأيديهم فأين لهم بذلك مع أن هذه مما لا يمكنهم دعواه ودعواهم ان نسخ التوراة متفقة في شرق الارض وغربها كذب ظاهر فهذه التورية التي بايدي النصارى تخالف التوراة التي بايدي اليهود والتي بايدي السامرة تخالف هذه وهذه وهذه نسخ الانجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضه فدعواهم ان نسخ التورية والانجيل متفقة شرقا وغربا من البهت

ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلا فلاعناه لا يبقى على وجه الارض منا شعرة ولا ظفر الا هلك فقال له صاحباه فما الراي يا ابا مريم فقال رايي ان احكمه فاني ارى الرجل لا يحكم شططاً ابدا فقالا له انت وذاك فاتى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال وماهو قال شرحبيل حكمتك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل وراءك احدا يثرب عليك فقال له شرحبيل سل صاحبي فسألهما فقالا ما نرد الموارد ولا نصدر المصادر الا عن رأي شرحبيل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلاعنهم حتى اذا كان الغد اتوه فكتب لهم كتاب صلح وموادعة فقبضوا كتابهم وانصرفوا الى نجران فتلقاهم الاسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران ومع الاسقف اخ له من امه وهو ابن عمه من النسب يقال له ابو علقمة فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسقف فبينا هو يقرأه وابو علقمة معه وهما يسيران اذ كبت بابي علقمة ناقته فتعس وانه لا يكني غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الاسقف عند ذلك قد والله تعست نبياً مرسلا فقال له ابو علقمة لا جرم والله لا احل عنها عقدا حتى آتيه فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثني الاسقف ناقته عليه فقال له افهم عني انما قلت هذا مخافة ان يبلغ عني العرب انا اخذنا خوفه او نجعنا لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن اعزهم واجمعهم دارا فقال له ابو علقمة والله لا اقيلك ماخرج من رأسك ابدا ثم ضرب ناقته يقول

اليك تعدو قلقاً وضينها * معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصاري دينها

حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه ثم استشهد بعد ذلك واذا عرف هذا فاعلم بانه صلى الله عليه وسلم مذكور في الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة احدها اخبار من قدست نبوته قطعاً بانه مذكور عندهم في كتبهم فقد اخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه اذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته هذا لو لم يعلم ذلك الا من مجرد خبره فكيف اذا تطابقت الادلة على صحة ماأخبر به الوجه الثاني انه جعل الاخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته وهذا يستحيل أن يصدر الا من واثق كل الوثوق بذلك وانه على يقين جازم به الثالث ان المؤمنين به من الاحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال الرابع ان المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم انكار البشارة والاخبار بنبوة نبي عظيم

السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم *

وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة وكذلك لي اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه فهذه خمسة أمور أحدها لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل الثاني كتمان الحق الثالث اخفاؤه وهو قريب من كتمانه الرابع تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان تحريف لفظه وتحريف معناه الخامس لي اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وهذه الامور انما ارتكبوها لاغراض لهم دعتهم الى ذلك فاذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه فهم الى أن يجحدوا نعته وصفته ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله اقرب بكثير وهكذا فعلوا ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا الى تحريف التأويل وإزالة معناها عمن لا تصلح لغيره وجعلها لمعدوم لم يخلقه الله ولا وجود له البتة العاشر انه استشهد على صحة نبوته بعلماء اهل الكتاب وقد شهد له عدولهم فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك قال تعالى * ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب * وقال تعالى * قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين * وقال تعالى * وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وقال تعالى * الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الارض من الكفرة ولا تعارض شهادته بجحود ملء الارض من الكفار كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم وليس كل من قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وامة الغضب انه من علمائهم فهو كذلك واذا كان أكثر من يظن عوام المسلمين انه من علمائهم ليس كذلك فما الظن بغيرهم وعلماء أهل الكتاب ان لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علماؤهم الا من آمن به وصدقه وان دخل فيهم من علم ولم يعلم كعلماء السوء لم يكن أنكارهم لنبوته قادحاً

والكذب الذي يروجونه على أشباه الانعام حتي ان هذه التورية التي بايدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان مالا يخفى على الراسخين في العلم وهم يعلمون قطعاان ذلك ليس في التورية التي أنزلها الله على موسي ولافي الانجيل الذي أنزله على المسيح وكيف يكون في لانجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له وانه أصابه كذا وكذا وصلب يوم كذا وكذا وانه قام من القبر بعد ثلاث وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى وغايتــه أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالانجيل وسموا الجميع انجيلا ولذلك كانت الاناجيل عندهم أربعة يخالف بعضها بعضاً ومن بهتهم وكذبهم قولهم ان التورية التي بايديهم وأيدي اليهود والسامرة سواء والنصارى لايقرون ان الانجيل منزل من عندالله على المسيح وانه كلام الله بل كل فرقهم مجمعون على انها أربعة تواريخ الفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولايعرفون الانجيل غيرهذا انجيل ألفه متي تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتبه بالعبرانية في بلاد يهوذا بالشام وانجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح وكتبه باليونانية في بلاد انطاكية من بلاد الروم ويقولون ان شمعون المذكور هو ألفه وانجيل ألفه لوقا الطبيب الانطاكي تلميذ شــمعون بعد تأليف مرقس وانجيل ألفــه يوحنا تلميذ المسيح ببضع وستين سنة كتبه باليونانية وكل واحد من هذه الاربعــة يسمونه الانجيل وبينهما من التفاوت والزيادة والنقصان مايعلمه الواقف عليها وبين تورية السامرة واليهود والنصارى من ذلك مايعلمه من وقف عليها فدعوى الكاذب الباهت ان نسخ التورية والانجيل متفقة شرقا وغرباً بعداً وقرباً من أعظم الفرية والكذب وقد ذكر غير واحد من علماء الاسلام مابينها من التفــاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليــه ولولا الاطالة وقصد ماهو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً وقد وبخهم الله سبحانه وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والاخفاء فقال تعالي *ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقال تعالي *وان الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * وقال تعالى * ان الذين يكتمون ما نزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك مايأ كلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم *وقال تعالي * ياأهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل

## الوجه الاول

قوله تعالى في التورية سأقيم لبنى اسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به والذى لايقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه فهذا النص مما لايمكن أحدهم جحده وانكاره ولكن لاهل الكتاب فيه اربعة طرق احدها حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى واما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق احدها انه على حذف اداة الاستفهام والتقدير أأقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم اى لاافعل هذا فهو استفهام انكار حذفت منه اداة الاستفهام الثاني انه خبر وعد ولكن المراد به شمويل النبي فانه من بني اسرائيل والبشارة انما وقعت بنبي من إخوتهم واخوة القوم هم بنو أبيهم وهم بنوا اسرائيل الثالث انه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه الى الآن وقال المسلمون البشارة صريحة في النبي صلى الله عليه وسلم العربي الامى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لايحتمل غيره فانها انما وقعت بنبي من إخوة بني اسرائيل لا من بني اسرائيل نفسهم والمسيح من بني اسرائيل فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبياً من انفسهم كما قال تعالى *لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم* واخوة بني اسرائيل هم بنوا اسماعيل ولا يقال في لغة امة من الامم ان بني اسرائيل هم اخوة بني اسرائيل كما ان إخوة زيد لايدخل فيهم زيد نفسه وايضاً فانه قال نبياً مثلك وهذا يدل على انه صاحب شريعة عامة مثل موسى وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه ايضاً ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة اوجه احدها انه من بني اسرائيل لامن اخوتهم الثاني انه لم يكن مثل موسى وفي التورية لايقوم في بني اسرائيل مثل موسى الثالث ان يوشع نبي في زمن موسى وهذا الوعد انما هو بنبي يقيمه الله بعد موسى وبهذه الوجوه الثلثة يبطل حمله على هرون مع ان هرون توفي قبل موسى ونبأه الله مع موسى في حياته ويبطل ذلك من وجه رابع ايضاً وهو ان في هذه البشارة انه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لاحد بعد موسى غير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته التى أخبرت بها الانبياء المتقدمون قال تعالى *وانه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل* فالقرآن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر للامة من فيه ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى لانها انما جاءت بواحد

في شهادة العلماء العاملين بعلمهم الحادي عشر انه لو قدر انه لا ذكر لرسول الله صلى الله وسلم بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التي بايدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لا يكون مذكورا في الكتب التي كانت بايدى اسلافهم وقت مبعثه ولا تكون اتصلت على وجهها الى هؤلاء بل حرفها أولئك وبدلوا وكتموا وتواصوا وكتبوا ما أرادوا وقالوا هذا من عند الله ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم فصارت المغيرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً ولا سبيل الى العلم باستحالة ذلك بل هو في غاية الامكان فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التورية ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخة الصحيحة بالكلية وكذلك التورية التي بايدي النصارى وهكذا تبدل الاديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للامة ان لا تجتمع على ضلالة لاصابه ما اصاب الكتب قبله قال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * الثاني عشر انه من الممتنع ان يخلو الرسل المتقدمة عن الاخبار بهذا الامر العظيم الذى لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمراً أعظم منه ولا شأن أكبر منه فانه قلب العالم وطبق مشارق الارض ومغاربها واستمر على العالم على تعاقب القرون والى أن يرث الله الارض ومن عليها ومثل هذا النبإ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الاخبار به واذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان وبقاؤه في الارض اربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الاخبار به وانذر به كل نبي قومه من نوح الى خاتم الرسل فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الامر العظيم الذى لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبداً مالا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين بل الامر بضد ذلك وما بعث الله سبحانه نبياً الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد وتصديقه كما قال تعالى * واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * قال ابن عباس ما بعث الله من نبي الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه

(فصل) فنذكر الوجوه الدالة على تقدير عدم العلم بوجود نعته وصفته والخبر عنه في الكتب المتقدمة فنحن نذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته وذلك يظهر من وجوه

واقام اسماعيل في برية فاران وانكحته أمه امرأة من أهل مصر ولا يشك علماء أهل الكتاب ان فاران سكن لآل اسماعيل فقد تضمنت التورية نبوة تنزل بارض فاران وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل وتضمنت انتشار أمته واتباعه حتى تملأ السهل والجبل كما سنذكره ان شاء الله ولم يبق بعد هذا شبهة أصلا ان هذه هي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي نزلت بفاران على أشرف ولد اسماعيل حتى ملأت الارض ضياء ونوراً وملأ اتباعه السهل والجبل ولا يكثر على الشعب الذي نطقت التورية بانهم عادموا الرأى والفطانة ان ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند ولفظ التورية فيهم انهم لشعب عادم الرأى وليس فيهم فطانة ويقال لهؤلاء المكابرين أى نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها وهل هذا الا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب

## الوجه الثالث

قال فى التورية في السفر الاول ان الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين فلما شرحت له الحال قال ارجعي فأني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدين ابناً تسميه اسماعيل لان الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك الكل بدو حشي الناس ويكون يده على ويكون الكل مبسوطة اليه بالخضوع وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق وان كلمته العليا وان أيدي الخلق تحت يده فمن هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكذلك في السفر الاول من التورية ان الله قال لابراهيم اني جاعل ابنك اسماعيل لأمة عظيمة اذ هو من زرعك وهذه بشارة بمن جعل من ولده لامة عظيمة وليس هو سوى محمد بن عبد الله الذى هو من صميم ولده فانه جعل لأمة عظيمة ومن تدبر هذه البشارة جزم بأن المراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اسماعيل لم تكن يده على يد اسحق قط ولا كانت يد اسحق مبسوطة اليه بالخضوع وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في ولد اسرائيل والعيص وهما ابنا اسحق فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت لهم الامم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك الى اهل بيته الى آخر الدهر وصارت أيديهم فوق ايدي الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع وكذلك فى التورية فى السفر الاول ان الله قال لابراهيم ان فى هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحق فقال ابراهيم ليت اسماعيل

من اخوة بني اسرائيل وبنو اسرائيل واخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم اله والمسيح عندهم اله معبود وهو اجل عندهم من أن يكون من اخوة العبيد والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده واخوتهم وغايته ان يكون نبيا لاغاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى وأما قول المحترفين لكلام الله ان ذلك على حذف ألف الاستفهام وهو استفهام انكار والمعنى أأقيم لبني اسرائيل نبياً فتلك عادة لهم معروفة في تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه هذا من عند الله وحمل هذا الكلام على الاستفهام والانكار غاية ما يكون من التحريف والتبديل وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم فاظهر الله صدقه في ذلك لكل ذى لب وعقل فازداد أيماناً الى ايمانه وازداد الكافرون رجساً الى رجسهم

( فصل الوجه الثاني )

قال في التورية في السفر الخامس اقبل الله من سينا وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الاظهار عن يمينه وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة نبوة موسى ونبوة عيسى ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمجيئه من سينا وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه أخبار عن نبوته وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس وساعير قرية معروفة هناك الى اليوم وهذه بشارة بنبوة المسيح وفاران هى مكة وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح ونبوة المسيح بعدها باشراقه وضيائه ونبوة خاتم الانبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوءها في الآفاق ووقع الامر كما أخبر به سواء فان الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فاضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح وكمل الضياء واستعلن وطبق الارض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين فذكر امكنة هؤلاء الانبياء وأرضهم التى خرجوا منها والتين والزيتون والمراد به منبتهما وأرضهما وهي الارض المقدسة التي هي مظهر المسيح وطور سينين الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته وهذا البلد الامين حرم الله وامنه التى هي مظهر محمد صلوات الله وسلامه عليهم فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود فاران هى أرض الشام وليست أرض الحجاز وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وعندهم في التورية ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران هكذا نطقت التورية ولفظها

يطق العالم أن يقبلوه لانهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً أني سآتيكم عن قريب وفي موضع آخر ومن يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه واليه يأتي وعنده يتخذ المنزل كلمتكم بهذا لأني لست عندكم مقيماً والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كما قلت لكم استودعتكم سلامي لاتقلق قلوبكم ولا تجزع فاني منطلق وعائد اليكم لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي الى الاب فان ثبت كلامي فيكم كان لكم كما تريدون وفي موضع آخر اذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لي قلت لكم حتى اذا كان تؤمنوا ولا تشكوا فيه وفي موضع آخر ان لي كلاماً كثيراً أريد ان أقوله لكم ولكنكم لاتستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكلما يأتي ويعرفكم جميع ماللاب وقال يوحنا قال المسيح ان أركون العالم سيأتي وليس لي شيء وقال متى قال المسيح ألم تروا ان الحجر الذي أخره البناؤن صار أساً للزاوية من عند الله كان هذا وهو عجيب في أعيننا ومن أجل ذلك أقول لكم ان ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى تأكل ثمرتها ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ وكل من سقط هو عليه يمحقه وقد اختلف في الفارقليط في لغتهم فذكروا فيه أقوالا ترجع الى ثلاثة أحدها انه الحامد والحماد او الحمد كما تقدم ورجحت طائفة هذا القول وقال الذي يقوم عليه البرهان في لغته انه الحمد والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له بارقليط جيد اي حمد جيد

## والقول الثاني

وعليه اكثر النصارى انه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل فارق قالوا وليط كلمة تزادفيها ومعناها كمعنى قول العرب رجل هو وحجر هو وفرس هو قالوا فكذلك معنى ليط في السريانية وقالت طائفة أخرى من النصارى معناه بالسريانية المعزى قالوا وكذلك هو في اللسان اليوناني ويعترض على هذين القولين بان المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية واجيب عن هذا بانه يتكلم بالعبرانية والانجيل انما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرهما واكثر النصارى على انه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص وفي الانجيل الذي بايديهم انه قال انما اتيت لاخلص العالم والنصارى يقولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصاً ولما لم يمكن النصارى انكار هذه النصوص حرفوها انواعاً من التحريف فمنهم من قال هو روح نزلت على

هذا يحيى بين يديك بمجدك فقال الله تعالى قد استجبت لك في اسمعيل واني أباركه وأيمنه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه واني أصيّره الى أمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلا والمراد بهذا كله الخارج من نسله فانه هو الذى عظمه الله جداً جداً وصيره الى أمة كثيرة واعطاه شعباً جليلا ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمته ملؤا الآفاق واربوا فى الكثرة على نسل اسحق

## الوجه الرابع

قال في التورية في السفر الخامس قال موسى لبني اسرائيل لاتطيعوا العرافين والمنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من اخوتكم مثلي فأطيعوا ذلك النبي ولا يجوز ان يكون هذا النبي الموعود به من أنفس بني اسرائيل لما تقدم ان اخوة القوم ليسوا أنفسهم كما يقال بكر وتغلب ابناوائل ثم يقول تغلب اخوة بكر وبنوا بكر اخوة بني تغلب فلو قلت اخوة بني بكر بنوا بكر كان محالا ولو قلت لرجل أتيني برجل من اخوة بنى بكر بن وائل لكان الواجب ان يأتيك برجل من بنى تغلب ابن وائل لا بواحد من بني بكر

## الوجه الخامس

ما فى الانجيل ان المسيح قال للحواريين أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق لايتكلم من قبل نفسه انما هو كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لانكم معي من قبل الناس وكل شئ أعدّه الله لكم يخبركم به وفي انجيل يوحنا الفارقليط لايجيئكم مالم أذهب واذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب وفي موضع آخر ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله الى باسمى هو يعلمكم كل شئ وفى موضع آخر انى سائل الي ان يبعث اليكم فارقليطاً آخر يكون معكم الي الابد وهو يعلمكم كل شئ وفي موضع آخر ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شئ وهو يشهد لى كما شهدت له فاني أجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل قال أبو محمد بن قتيبة وهذه الاشياء على اختلافها متقاربة وانما اختلفت لان من نقلها عن المسيح صلى الله عليه وسلم فى الانجيل من الحواريين عدّة والفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد اما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد ونحو ذلك وهو في الانجيل الحبشي برنعطيس وفي موضع آخران كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الاب أن يعطيكم بارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد ويتكلم روح الحق الذي لم

والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على امر معنوي في قلب بعض الناس لا يراه احد ولا يسمع كلامه وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد للمسيح ويعلمهم كل شيء ويذكرهم كما قال لهم المسيح ويوبخ العالم على الخطيئة ويرشد الناس الى جميع الحق ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتي ويعرفهم جميع ما للرب العالمين وهذا لا يكون ملكا لا يراه احد ولا يكون هدى وعلماً في قلب بعض الناس ولا يكون الا انساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح وهذا لا يكون الا بشراً رسولا بل يكون اعظم من المسيح فان المسيح اخبر انه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ويعلم ما لا يعلمه المسيح ويخبر بكل ما ياتي وبما يستحقه الرب حيث قال ان لي كلاماً كثيراً أريد ان أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فلا يستريب عاقل ان هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعما اعده في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا تحتمل عقول اكثر الناس معرفته على التفصيل قال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال ابن مسعود ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى «الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن» فقال ما يؤمنك ان لو اخبرتك بها لكفرت ان يعني لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت بها وكفرك بها تكذيبك بها فقال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله وهو الصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات يوم الآخر الا امور مجملة وكذلك التورية ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا امور مجملة مع ان موسى صلى الله عليه وسلم كان قد مهد الارض للمسيح ومع هذا فقد قال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله ثم قال ولكن اذا جاء روح الحق فذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق وانه يخبركم بكلما يأتي وبجميع ما للرب فدل هذا على ان الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان فان محمداً صلى الله عليه وسلم ارشد الناس الى جميع الحق حتى اكمل الله به الدين واتم به النعمة ولهذا كان خاتم الانبياء فانه لم يبق نبي يأتي بعده غيره واخبر محمد صلى الله عليه

الحواريين ومنهم من قال هو السن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب ومنهم من يزعم انه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب باربعين يوماً وكونه قام من قبره ومنهم من قال لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه ومن تأمل الفاظ الانجيل وسياقها علم ان تفسيره بالروح باطل وابطل منه تفسيره بالالسن النارية وابطل منهما تفسيره بالمسيح فان روح القدس ما زالت تنزل على الانبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى «لا تجدوا قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه» وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين اللهم ايده بروح القدس وقال ان روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيه واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطاً علم ان الفارقليط امر غير هذا وايضاً فمثل هذه الروح لا زالت يؤيد بها الانبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به امر عظيم يأتي بعده اعظم من هذا وايضاً فانه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا الروح وانما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً له فانه قال ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد فقوله فارقليطاً آخر دل على انه ثان لاوّل كان قبله وانه لم يكن معهم في حياة المسيح وانما يكون بعد توليه عنهم وأيضاً فانه قال يثبت معكم الى الابد وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر ومعلوم انه لم يرد ببقاء ذاته فعلم انه بقاء شرعه وأمره والفارقليط الاول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الابد وهذا يبين ان الثاني صاحب شرع لا ينسخ بل يبقى الى الابد بخلاف الاول وهذا انما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وايضاً فانه اخبر ان هذا الفارقليط الذى اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شيء وانه يذكر لهم كل ما قال المسيح وانه يوبخ العالم على خطيئة فقال والفارقليط الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلت لكم وقال اذا جاء الفارقليط الذى أبي أرسله هو يشهد اني قلت لكم هذا حق اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال ان خيراً لكم ان انطلق الى أبي ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فان انطلقت ارسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة فان لي كلاماً كثيراً اريد ان أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبر بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فهذه الصفات

كلما يتكلم به فهو وحي يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس او عرفه باستنباط وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم واما المسيح فكان عنده علم بما جاء به موسى قبله يشاركه به اهل الكتاب تلقاه عمن قبله ثم جاءه وحي خاص من الله فوق ما كان عنده قال تعالى *ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل* فاخبر سبحانه انه يعلمه التورية التي تعلمها بنوا اسرائيل وزاده تعليم الانجيل الذي اختص به والكتاب الذي هو الكتابة ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن تعلم قبل الوحي شيئاً من ذلك البتة كما قال تعالى *وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى* وهذا مطابق لقول المسيح انه لا يتكلم من تلقاء نفسه بل انما يتكلم بما يوحى اليه والله تعالى امره ان يبلغ ما انزل اليه وضمن له في تبليغ رسالاته فلهذا ارشد الناس الى جميع الحق والقى الى الناس مالم يمكن غيره من الانبياء القاؤه خوفاً ان يقتله قومه وقد اخبر المسيح بانه لم يذكر لهم جميع ما عنده وانهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف منهم اذا اخبرهم بحقائق الامور ومحمد صلى الله وسلم ايده الله سبحانه تأييداً لم يؤيده لغيره فعصمه من الناس حتى لم يخف من شيء يقوله واعطاه من البيان والعلم مالم يؤته غيره فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقايق الغيب ماليس في كتاب غيره وايداته تأييداً اطاقت به حمل ما القاه اليهم فلم يكونوا كاهل التورية الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها ولا كاهل الانجيل الذين قال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكن لا تستطيعون حمله ولا ريب ان امة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل عقولا واعظم ايماناً واتم تصديقاً وجهاداً ولهذا كانت علومهم واعمالهم القلبية وايمانهم اعظم وكانت العبادات البدنية لغيرهم اعظم وايضاً فانه اخبر عن الفارقليط انه يشهد له وانه يعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كلما قال المسيح ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس لا يكون هذا في قلب طائفة قليلة ولم يشهد احد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اظهر امر المسيح وشهد له بالحق حتى سمع شهادته له عامة اهل الارض وعلموا انه صدق المسيح ونزهه افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى فهو الذي شهد له بالحق ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد صلى الله عليه وسلم قال لهم ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود وجعل الله امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس شهدوا عليهم عما علموا من الحق اذ كانوا وسطاً عدولا لا يشهدون بباطل فان الشاهد لا يكون الا عدلا بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق او نقص منه كشهادة اليهود

وسلم بكل ما يأتي من اشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الاعمال والجنة وانواع نعيمها والنار وانواع عذابها ولهذا كان في القرآن تفصيل امر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتي امور كثيرة لا توجد لا في التورية ولا في الانجيل وذلك تصديق قول المسيح انه يخبر بكلما يأتي وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله تعالى * انهم اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين * اي مجيئه تصديق للرسل قبله فانهم اخبروا بمجيئه فجاء كما اخبروا به فتضمن مجيئه تصديقهم ثم شهد هو بصدقهم فصدقهم بقوله ومجيئه ومحمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله بين يدي الساعة كما قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمرّ وجهه واشتد غضبه وقال انا النذير العريان فاخبر من الامور التي يأتي في المستقبل بما لم يأت به نبي من الانبياء كما نعته به المسيح حيث قال انه يخبركم بكلما يأتي ولا يوجد مثل هذا اصلاً عن احد من الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلاً عن ان يوجد عن شيء نزل على قلب بعض الحواريين وايضاً فانه قال ويعرفكم جميع ما للرب فبين انه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الاسماء والصفات وما لهُ من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لما يستحقه الرب وهذا لم يأت به غير محمد صلى الله عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة هذا كله وايضاً فان المسيح قال اذا جاء الفارقليط الذي ارسله ابي فهو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به فاخبر انه شهد له وهذه صفة نبي بشر به المسيح ويشهد للمسيح كما قال تعالى * واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التورية ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد * واخبر انه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه فكيف يقول اذا جاء فانه يشهد لي ويوصيهم بالايمان به أفترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح فهذا من اعظم جهل النصارى وضلالهم وايضاً فانه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم من اصناف الناس على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالم من اصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم يقتصر على مجرد الامر والنهي بل وبخهم وقرعهم وتهددهم وايضاً فانه أخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا اخبار بان

لفظة مؤذ مؤذوجدتهااقرب شيء الى لفظة محمدواذا اردت تحقيق ذلك فطابق بين الفاظ العبرانية والعربيـة وكذلك يقولون اصبوع او لوهوم اى اصبع الله كتب له بها التورية ويدل على ذلك اداة الباء في قوله بمأذ مأذولا يقال اعظمه بجداً جداً بخلاف اعظامه بمحمد وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفاً الى شرفه بل تعظيمه بمحمد ابنه صلى الله عليـه وسـلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر فالله سبحانه كبره بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى التقديرين فالنص من اظهر البشارات به أما على هذا التفسير فظاهر جداً وأما على التفسير الاول فانما كبر اسمعيل وعظم على اسحق جداً جداً بابنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طابقت بين معنى الفـار قليط ومعنى موذموذ ومعنى محمد واحمد ونظرت الى خصال الحمـد التي فيه وتسمية امته بالحمادين وافتتاح كتابه بالحمد وكثرة خصـال الحمد التى فيه وفى امته وفي دينه وفى كتابه وعرفت ما خلص به العـالم من انواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله بلا علم وما اعز الله به الحق واهله وقمع به البـاطل وحزبه تيقنت انه الفار قليط بالاعتبارات كلها فمن هذا الذى هو روح الحق الذي لا يتكلم الا بما يوحى اليـه ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه ومن الذي اخبرنا بالحوادث في الازمنة المستقبلة كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح بن مريم وظهور النار التي تحشر الناس واضعاف اضعاف ذلك من الغيوب التي قبـل يوم القيامة والغيـوب الواقعـة من الصراط والميزان والحساب واخذ الكتب بالايمان والشمايل وتفاصيـل ما في الجنة والنار مالم يذكر في التورية والانجيل غير محمد صلى الله عليه وسلم ومن الذي وبخ العـالم على الخطـايا سواه ومن الذي عرف الامة ما ينبغي لله حق التعريف غيره ومن الذي تكلم فى هذا الباب بما لم يطق اكثر العالم ان يقبلوه غيره حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فسـاموه انواع التحريف والتأويل لعجز عقولهم عن حمله كما قال اخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ومن الذي ارسل الى جميع الخلق بالحق قولاً وعملاً واعتقـاداً في معرفة الله واسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وقضائه وقدره غيره ومن هو اركون العالم الذي اتا بعد المسيح غيره واركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم وتأمل قول المسيح في هذه البشارة التى لا ينكرونها ان اركون العالم سيأتي وليس لي من الامر شيء كيف هى شاهدة بنبوة محمد والمسيح معاً فانه لما جاء صار الامر له دون المسيح فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لامره وصار الامر له حقيقـة ولم يبق بايدي النصارى

للنصارى في المسيح وايضا فان المعنى في الفارقليط ان كان الحامد والحماد والمحمود فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم فانه وامته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال وهو صاحب لواء الحمد والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ولما كان حماداً سمي بمثل وصفه فهو محمد وزن مكرم ومقدس ومعظم وهو الذي يحمد اكثر مما يحمد غيره ويستحق ذلك فلما كان حماداً لله كان محمداً وفي شعر حسان

اغر عليه للنبوة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

واما احمد فهو افعل التفضيل اي هو احمد من غيره اي احق بان يكون محموداً اكثر من غيره يقال هذا احمد من هذا اى هذا احق بان يحمد من هذا فيكون فيه تفضيل علي غيره في كونه محموداً فلفظ محمد يقتضي زيادة في الكمية ولفظ احمد يقتضي زيادة في الكيفية ومن الناس من يقول معناه انه اكثر حمداً لله من غيره وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد وعلى الاول بمعنى المحمود وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة الحمد كما يقال رجل عدل ورضى ونظائر ذلك وبهذا يظهر سر ما اخبر به القرآن عن المسيح من قوله * ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد * فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم في التورية ما ترجمته بالعربية واما في اسماعيل فقد قبلت دعاك ها انا قد باركت فيكم وانمرة واكثره بمأذ مأذ هكذا هذه اللفظة مأذ على وزن عمر وقد اختلف فيها علماء اهل الكتاب فطائفه يقولون معناها جداً جداً اي كثيراً فان كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً ومعلوم انه لم يعظم من بنيه اكثر مما عظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة اخرى بل هي صريح اسم محمد قالوا ويدل عليه ان الفاظ العبرانية قريبة من الفاظ العربية فهي اقرب اللغات الي العربية فانهم يقولون لاسمعيل سماعيل وشمعيل وشمعيتخا واباه اوثو وقد سك قد يشخا وانت اتا واسرائيل سيرائيل فتأمل قوله في التورية قدس لي كل بخور كل رحم تبق بسرائيل باذام وبيهيمالي معناه قدس لي كل بكر كل اول مولود رحم في بني اسرائيل من انسان الى بهيمة لي وتأمل قوله نابي اقيم لاهيم مقارب اخيهم كاموخا يلاؤه يشماعون فان معناه نبياً اقيم لهم من وسط اخوتهم مثيلك به يؤمنون وكذلك قوله ايتم عابرتم بغبول اخيخيم بني عيصاه معناه انتم عابدون في تخم اخوتكم بني العيص ونظائر ذلك اكثر من ان يذكر فاذا اخذت

بنبوته المؤيد بروح الحق الذي لايقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ويخبرهم بما اعد الله لهم ثم رفع صوته بجي على الفلاح باتباعه والايمان به وتصديقه وانه ليس له من الامر شيء وختم التأذين بان ملكوت الله سيؤخذ ممن كذب ويدفع الى اتباعه والمؤمنين به فهلك من هلك عن بينة فاستجاب وعاش من عاش عن بينة اتباع المسيح حقا لهذا التأذين واباه الكافرون والجاحدون فقال تعالى *اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون* وهذه بشارة بان المسلمين لايزالون فوق النصارى الى يوم القيمة فان المسلمين هم اتباع المسيح في الحقيقة واتباع جميع الانبياء لا أعداؤه واعداؤه عباد الصليب الذين رضوا ان يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولا ولم يرضوا ان يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه فهؤلاء اعداؤه حقا والمسلمون اتباعه حقا والمقصود ان بشارة المسيح بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق كل بشارة لما كان اقرب الانبياء اليه واولادهم به وليس بينه وبينه نبي

(فصل) وتأمل قول المسيح ان اركون العالم سيأتي واركون العالم هو سيد العالم وعظيمه ومن الذي ساد العالم واطاعه العالم بعد المسيح غير النبي صلى الله عليه وسلم وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما كان اول امرك قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التي ذكرها المسيح فمن الذي ساد العالم باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والاجساد واطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع الاعصار وافضل الاقاليم والامصار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وخرت لمجيئه الامم على الاذقان وبطلت به عبادة الاوثان وقامت به دعوة الرحمن واضمحلت به دعوة الشيطان واذل الكافرين والجاحدين وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين حتى اعلن بالتوحيد على رؤس الاشهاد وعبد الله وحده لاشريك له في كل حاضر وباد وامتلأت به الارض تحميداً لله وتهليلا وتسبيحاً وتكبيراً واكتست به بعد الظلم والظلام عدلا ونوراً

(فصل) وطابق بين قول المسيح ان اركون العالم سيأتيكم وقول اخيه محمد صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي وانا خطيب الانبياء اذا وفدوا وامامهم اذا اجتمعوا ومبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي وانا

الا دين باطل اضعاف اضعاف حقه وحقه منسوخ بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فطابق قول المسيح قول اخيه محمد صلى الله عليه وسلم ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا واماماً مقسطا فيحكم بكتاب الله بكم وقوله في اللفظ الآخر يأتيكم بكتاب ربكم فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الاول بالثاني وصدق الثاني بالاول وتأمل قوله في البشارة الاخرى المترى الى الحجر الذى أخره البناؤن صار رأساً للزاوية كيف تجده مطابقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فاكملها واتمها الا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فكنت انا تلك اللبنة وتأمل قول المسيح في هذه البشارة ان ذلك عجيب في اعيننا وتأمل قوله فيها ان ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى آخر كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى * ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون * وقوله * وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وتأمل قوله في الفارقليط المبشر به يفشي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء فاني اجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل وكيف تجده مطابقاً للواقع من كل وجه لقوله تعالى * وانزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء * ولقوله تعالى * ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * واذا تأملت التورية والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لامثالها والشرح لرموزها وهذا قول المسيح اجيئكم بالامثال ويجيئكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء واذا تأملت قوله وكل شيء عده الله لكم به وتفاصيل ما اخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين ومطابقة الاخبار المفصلة من محمد صلى الله عليه وسلم للخبر المجمل من اخيه المسيح وتأمل قوله في الفارقليط وهو يشهد لي كما شهدت له كيف تجده منطبقاً على محمد بن عبد الله وكيف تجده شاهداً بصدق الرسولين وكيف تجده صريحا في رجل يأتي بعد المسيح يشهد له بانه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح فلقد اذن المسيح بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما أذاناً لم يؤذنه نبي قبله واعلن بتكبير ربه ان يكون له صاحبة او ولد ثم رفع صوته بشهادة ان لا اله الا الله وحده لاشريك له إلهاً واحداً احداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ثم اعلن بشهادة ان محمداً عبده ورسوله الشاهد له

عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء ويشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه ونظير هذا التعويض أنفة الجهمية ان يكون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه حتى لا يكون محصوراً بزعمهم في جهة معينة ثم قالوا هو في كل مكان بذاته فحصروه في الآبار والسجون والأنجاس والاخفاش وعوضوه بهذه الامكنة عن عرشه المجيد فليتأمل العاقل لعب الشيطان بعقول هذا الخلق وضحكه عليهم واستهزائه بهم

(فصل) وقول المسيح اذا انطلقت أرسلته اليكم معناه أني ارسله بدعائي وطلبي منه ان يرسله كما يطلب الطالب من ولي الامر ان يرسل رسولا او يولي نائباً او يعطي حداً فيقول انا أرسلت هذا ووليته وأعطيته يعني اني كنت سبباً في ذلك فان الله سبحانه اذا قضى ان يكون الشيء فانه يقدر له أسباباً يكون بها ومن تلك الاسباب دعاء بعض عباده بان يفعل ذلك فيكون في ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافاً الى نعمته بايجاد ما قضى كونه ومحمد صلى الله عليه وسلم قد دعا به الخليل ابوه فقال * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم * مع ان الله سبحانه قد قضى بارساله واعلن باسمه قبل ذلك كما قيل له يا رسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وقال اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وهذا كما قضى الله سبحانه نصره يوم بدر ومن اسباب ذلك استغاثته بربه ودعاؤه وابتهاله بالنصر وكذلك مايقتضيه من انزال الغيث قد يجعله بسبب ابتهال عباده ودعائهم وتضرعهم اليه وكذلك ما يقتضيه من مغفرة ورحمة وهداية ونصر فقد يسبب له أدعية يحصل بها ممن ينال ذلك او من غيره فلا يمتنع ان يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده ان يرسل اخاه محمداً الى العالم ويكون ذلك من اسباب الرسالة المضافة الى دعوة ابيه ابراهيم لكن ابراهيم سأل ربه ان يرسله في الدنيا فلذلك ذكره الله سبحانه واما المسيح فانما سأله بعد رفعه وصعوده الى السماء

(فصل) وتأمل قول المسيح اني لست ادعكم أيتاماً لاني سآتيكم عن قريب كيف هو مطابق لقول اخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا واماماً مقسطاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وأوصى أمته بان يقرئه السلام منه من لقيه منهم وفي حديث آخر كيف تهلك أمة أنا في اولها وعيسى في آخرها

(فصل) وقد تقدم نص التوراة تجلى الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن

اكرم ولد آدم على ربي

(فصل) وفي قول المسيح في هذه البشارة وليس لي من الامر شيء إشارة الى التوحيد وان الامر كله لله فتضمنت هذه البشارة اصلي الدين اثبات التوحيد واثبات النبوة وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به اخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله له ليس لك من الامر شيء فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة وانه لا يمكن التصديق باحدهما مع التكذيب بالآخر البتة وان المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد تكذيباً للمسيح الذي هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو ابطل الباطل وقد قال يوحنا في كتاب اخبار الحواريين وهو يسمونه اقراكيس قال يا أحبابي اياكم أن تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها واعلموا ان كل روح تؤمن بان يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بان المسيح قد جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول والنصارى انما تؤمن بمسيح دعا الى عبادة نفسه وأمه وانه ثالث ثلاثة وانه الله وابن الله وهذا هو اخو المسيح الكذاب لو كان له وجود فان المسيح الكذاب يزعم انه الله والنصارى في الحقيقة اتباع هذا المسيح كما ان اليهود انما ينتظرون خروجه وهم يزعمون انهم ينتظرون النبي الذي بشروا به فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الايمان به انتظاراً للمسيح الدجال وهكذا كل من أعرض عن الحق يعرض عن الباطل واصل هذا ان ابليس لما أعرض عن الحق وهو السجود لآدم كبراً ان يخضع له عوض بذلك ذل القيادة لكل فاسق مجرم من بنيه فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة والنصارى لما أنفوا ان يكون المسيح عبداً لله تعوضوا من هذه الانفة بان رضوا بجعله مصفعة اليهود ومصلوبهم الذي يسخرون منه ويهزؤن به ثم عقدوا له تاجاً من الشوك بدل تاج الملك وساقوه في حبل الى خشبة الصلب يصفقون حوله ويرقصون فلا بتلك الانفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الى اعظم الذل والضيق والقهر وكذلك انفوا ان يكون للبترك والراهب زوجة او ولد وجعلوا لله رب العالمين الولد وكذلك أنفوا ان يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا العبادة للصلب والصور المصنوعة بالايدى في الحيطان وطاعة كل مجرم

المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفي كل مكان ليلا ونهاراً سراً وعلانية وقد ذكر الله سبحانه هذه الاماكن الثلاثة في قوله والتين والزيتون وهو في الارض المقدسة التي بعث منها المسيح وأنزل عليه فيها الانجيل وطور سينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً وناداه من واديه الايمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه واقسم بالبلد الامين وهو مكة التي أسكن ابراهيم واسماعيل وأمه فيه وهو فاران كما تقدم ولما كان ما في التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزماني فقدم الاسبق ثم الذي يليه وأما القرآن فانه أقسم بها تعظيماً لشأنها واظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فبدأ بالعالي ثم انتقل الى أعلا منه ثم الى أعلا منهما فان أشرف الكتب القرآن ثم التوراة ثم الانجيل وكذلك الانبياء الثلاثة

( فصل ) وهذا الذى ذكره ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين ومن تأمل التوراة وجدها ناطقة به صريحة فيه فان فيها وغدا ابراهيم فاخذ الغلام واخذ خبزاً وسقاء من ماء ودفعه الى هاجر وحمله عليها وقال لها اذهبي فانطلقت هاجر ونفذ الماء الذى كان معها فطرحت الغلام تحت شجرة وجلست مقابلته على مقدار رمية الحجر لئلا تبصر الغلام حين يموت ورفعت صوتها بالبكاء وسمع الله صوت الغلام حيث هو فقال لها الملك قومي فاحملي الغلام وشدي يدك به فاني جاعله لامة عظيمة وفتح الله عينيها فبصرت ببئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاءها وكان الله مع الغلام فتربى وسكن في برية فاران بعد ان كاد يموت من العطش وان الله سقاه من بئر ماء وقد علم بالتواتر واتفاق الامم ان اسماعيل انما ربي بمكة وهو وابوه ابراهيم بنيا البيت فعلم قطعاً ان فاران هي أرض مكة

( فصل ) ومثل هذه البشارة من كلام شمعون فيما قبلوه ورضوا ترجمته جاء الله من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح لم يكن بارض فاران البتة وموسى انما كلم من الطور والطور ليس من أرض فاران وان كانت التربة التي بين مكة والطور تسمى برية فاران فلم ينزل الله فيها التوراة وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور وبشارة الانجيل بجبل ساعير ٠

( فصل ) ونظير هذا مانقلوه ورضوا ترجمته في نبوة حبقوق جاء الله من التين وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت الارض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الامم وأنارت الارض لنوره وحملت خيله في البحر قال ابن قتيبة وزادني بعض

من جبال فاران قال علماء الاسلام وهذا لفظ ابي محمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض لان مجيء الله من طورسينا انزاله التورية على موسى من طور سينا كالذى هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها تسمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فلذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين واهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة فان ادعوا انها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم قلنا أليس في التورية ان ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه قال علماء الاسلام وساعير جبال بالشام منه ظهور نبوة المسيح والى جانبه قرية بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمي اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير وفي التورية ان اهل العيص كانوا سكاناً بساعير وامر الله موسى ان لا يؤذيهم قال شيخ الاسلام وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة حراء الذي ليس حول مكة أعلى منه وفيه ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه وحوله جبال كثيرة وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم والبرية التي بين مكة وطورسينا تسمى برية فاران ولا يمكن احداً ان يدعى انه بعد المسيح نزل كتاب في شئ من تلك الارض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ذكر هذا في التورية على ترتيب الزمان فذكر انزال التورية ثم الانجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الاول جاء وظهر وفي الثاني اشرق وفى الثالث استعلن فكان مجيء التورية مثل طلوع الفجر ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فان محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الارض ومغربها اعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس في مشارق الارض ومغاربها اذا استعلت وتوسطت ولهذا سماه الله سراجا منيراً وسمى الشمس سراجا وهاجا والخلق يحتاجون الى السراج المنير أعظم من حاجتهم الى السراج الوهاج فان هذا يحتاجون اليه في وقت دون وقت واما السراج

ولا بشر أحد بذلك ولا يكون ذلك اثابة لها من خضوعها وذلها وان الله قد سمع ذلك ويعظم هذا المولود ويجعله لامة عظيمة وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال انك ستلدين جبارا ظالماً طاغياً يقهر الناس بالباطل ويقتل أولياء الله ويسبي حريمهم ويأخذ أموالهم بالباطل ويبدل أديان الانبياء ويكذب على الله ونحو ذلك فمن حمل هذه البشارة على هذا فهو من أعظم الخلق بهتاناً وفرية على الله ليس هذا بمستنكر لامة الغضب وقتلة الانبياء والقوم البهت

﴿ فصل الوجه السابع ﴾ قول داود في الزبور سبحوا الله تسبيحاً جديدا وليفرح اسرائيل بخالقه ويتوب صهيون من أجل ان اصطفى الله له امته وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله باصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الامم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال وهذه الصفات انما تنطبق على محمد وأمته فهم الذين يكبرون الله بأصواتهم مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى الاماكن العالية قال جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في الاذان وفي عيد الفطر وعيد النحر وفي عشرة ذي الحجة وعقيب الصلوات في أيام منى وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب انه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره فيسمعونهم أهل الاسواق فيكبرون حتى ترتج منى تكبيرا وكان أبو هريرة وابن عمر يخرجان الى السوق ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ويكبرون أيضا على قرابينهم وضحاياهم وعند رمي الجمار وعلى الصفا والمروة وعند محاذاة الحجر الاسود وفي أدبار الصلوات الخمس وليس هذا لاحد من الامم لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم فان اليهود يجمعون الناس بالبوق والنصارى بالناقوس وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد ابن عبد الله وأمته وقوله بأيديهم سيوف ذات شفرتين فهي السيوف العربية التي فتح الصحابة بها البلاد وهي الى اليوم معروفة لهم وقوله يسبحونه على مضاجعهم هو نعت للمؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ومعلوم قطعا ان هذه البشارة لا تنطبق على النصارى ولا تناسبهم فانهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ولا بايديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الامم والنصارى تعيب من يقاتل الكفار بالسيف وفيهم من يجعل هذا من أسباب التنفير عن محمد صلى الله عليه وسلم ولجهلهم وضلالهم لا يعلمون ان موسى قاتل الكفار وبعده يوشع بن نون وبعده داود

أهل الكتاب وستنزع في قسيك اعراقا وترتوى السهام بأمرك يا محمد أرقوا وهذا إفصاح باسمه وصفاته فان إدعوا انه غيره فمن أحمد هذا الذى امتلأت الأرض من تحميده والذى جاء من جبال فاران فملك رقاب الامم

( فصل ) ومن ذلك وهو ﴿ الوجه السادس ﴾

قوله في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين فلما شرحت له الحال قال ارجعى فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايحصون وها أنت تحبلين وتلدين ابنا اسمه اسماعيل لان الله قد سمع ذلك وخضوعك ولدك يكون وحش الناس يده فوق يد الجميع ويد الكل به ويكون مسكنه على تجرم جميع اخوته قال المستخرجون لهذه البشارة معلوم ان يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدى بنى اسحق بل كان فى أيدى بني اسحق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى من أعز أهل الارض ولم يكن لاحد عليهم يد ولذلك كانوا مع يوشع الى زمن داود وملك سليمان الملك الذى لم يؤت احداً مثله فلم يكن يد بني اسماعيل عليهم ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه فدمر عليهم تكذيبهم اياه وزال ملكهم ولم يقم لهم بعده قائمة وقطعهم الله في الارض امما وكانوا تحت حكم الروم والفرس وقهرهم ولم يكن يد ولد اسماعيل عليهم في هذا الحال ولا كانت فوق يد الجميع الى أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته واكرمه الله بنبوته فصارت بمبعثه يد بني اسماعيل فوق الجميع فلم يبق فى الارض سلطان اعز من سلطانهم بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعباد الاصنام فظهر بذلك تأويل قوله في التوراة ويكون يده فوق يد الجميع ويد الكل وهذا أمر مستمر الى آخر الدهر قالت اليهود نحن لا ننكر هذا ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لابرسالته ونبوته قالت المسلمون الملك ملكان ملك ليس معه نبوة بل ملك جبار متسلط وملك نفسه نبوة والبشارة لم تقع بالملك الاول ولاسيما ان ادعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفتر على الله فهو من شر الخلق وأفجرهم واكفرهم فهذا لا يقع البشارة بملكه وانما يقع التحذير من فتنته كما وقع التحذير من فتنة الدجال بل هذا شر من سنحاريب وبخت نصر الملوك والظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله فالاخبار لاتكون بشارة ولا تفرح به هاجر وابراهيم

الجبارين وهذا بخلاف المسيح فانه لم يتمكن هذا التمكن في كتابه ولا من اتبعه بعد رفعه الى السماء ولا حازوا ذكر ولا يصلون عليه ويباركون في اليوم والليلة فان القوم يدّعون الاهيته ويصلون له

﴿ فصل الوجه العاشر ﴾ قوله في مزمور آخر لترتاح البوادي وقراها ولتصر أرض قيدار مروجا ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في الجو فمن أهل البوادي من الامم سوى امة محمد ومن قيدار غير ولد اسماعيل أحداً جداده صلى الله عليه وسلم ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب ومن هذا الذي دام ذكره الى الابد غيره

﴿ فصل الوجه الحادي عشر ﴾ قوله في مزمور آخر أن ربنا عظم محمودا جدا وفي مكان آخر الهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحاً فقد نص داود على اسم محمد وبلده وان كلمته قد عمت الارض

﴿ فصل الوجه الثاني عشر ﴾ قوله في الزبور لداود سيولد لك ولد أدعى له أباً ويدعى لي إبناً اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس انه بشر وهذه اخبار عن المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهورهما بزمن طويل يريد انه ابعث محمداً حتى يعلم الناس ان المسيح بشر ليس إلهاً وانه ابن البشر لا ابن خالق البشر فبعث الله هادي الامة وكاشف الغمة فبين للامم حقيقة امر المسيح وانه عبد كريم ونبي مرسل لا كما ادعته فيه النصارى ولا كما رمته به اليهود

﴿ فصل الوجه الثالث عشر ﴾ قوله في نبوة شعيا قيل لي قم نظارا فانظر ما ترى يخبر به قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها للبحر وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح وراكب الجمل هو محمد صلوات الله وسلامه عليهما وهو اشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت اصنام بابل لا بالمسيح ولم يزل في اقاليم بابل من يعبد الاوثان من عهد ابراهيم الخليل الى ان سقطت بمحمد صلى الله عليه وسلم

( فصل الوجه الرابع عشر ) قوله في سورة شعيا انه قال عن مكة ارفعي الى ما حولك لنظرك فستبتهجين وتفرحين من اجل ان الله يصير اليك ذخائر البحر وتحج اليك عساكر الامم حتى تعم بك قطر الابل المؤلفة ويضيق ارضك عن القطارات التي تجتمع اليك وتساق اليك كباش مدين ويأتيك اهل سبأ ويسير اليك اغنام فاران وتخدمك رجال بناوت يريد سدنة الكعبة وهم اولاد بنت ابن اسماعيل قالوا فهذه الصفات كلها

وسليمان وغيرهم من الانبياء وقبلهم ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ فصل الوجه الثامن ﴾ قول داود ومن أجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد أيها الجبار السيف لان البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك أركب كلة الحق وسبحت التأله فأن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك وليس متقلدا السيف بعد داود من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى خرت الامم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة اما القبول والجزيه واما السيف وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد أخبر داود ان له ناموسا وشرائع وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله بخلاف المستضعف المقهور وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ونبي الملحمة وامته اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين بخلاف الاذلاء المقهورين المستكبرين الذين يذلون لاعداء الله ويتكبرون عن قبول الحق

﴿ فصل الوجه التاسع ﴾ قول داود في مزمور اخوان الله سبحانه أظهر من صهيون اكليلا محمودا وضرب الاكليل مثلا للرياسة والامامة ومحمود هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال فى صفته ويجوز من البحر الى البحر ومن لدن الانهار الى منقطع الارض وانه ليخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ويلحس أعداؤه التراب تأتيه ملوك الارض وتسجد له وتدين له الامم بالطاعة والانقياد ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلي عليه فى كل وقت ويبارك ولا يشكل على عاقل يدبر أمور الممالك والنبوات وعرف سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسير امته من بعده ان هذه الاوصاف لا تنطبق الا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولا على نبي غيره فانه حاز من البحر الرومي الي البحر الفارسى ومن لدن الانهار وجيحون وسيحون والفرات الى منقطع الارض بالغرب وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وهو الذى يصلى عليه ويبارك في كل وقت وفي كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها وهو الذى خرت اهل الجزائر بين يديه أهل جزيرة العرب وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة الاندلس واهل جزيرة قبرص وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق فيهم الا من أسلم وأدى الجزية عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فان فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية فلهذا ذكر فى البشارة ملوك الفرس خاصة ودانت له الامم التى سمعت به وبامته وانقذ الضعفاء من

هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »

(فصل الوجه التاسع عشر) قول شعيا ايضاً معلماً باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى جعلت امرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الابد [illegible] ذلك لزايغ مقال او لطاعن مجال وقوله يا قدوس الرب معناه يا من [illegible] الرب [illegible] واصطفاه وقوله اسمك موجود من الابد مطابق لقول داود [illegible] موجود قبل الشمس

(فصل الوجه العشرون) قول شعيا في ذكر الحجر الاسود [illegible] ها انذا مؤسس [illegible] العدل مثل الشاقول والصدق مثل [illegible] مكة عند اهل الكتاب وهذا الحجر الاسود [illegible] اختص به محمد وامته

(فصل الوجه الحادي والعشرون) [illegible] والمدن قصوراً الى [illegible] ويثبتون تسبيحه في البر والبحر [illegible] اقصى الارض فاذا هم سراع يأتون [illegible] باجماع الناس والعلم لدى يوقد [illegible] الحج فاذا هم سراع يأتون [illegible] يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج [illegible]

(فصل الوجه الثاني والعشرون) قول شعيا [illegible] يأتون من المشرق محبين افواجاً [illegible] الطين والصبا تأتي من نحو مطلع الشمس [illegible] المشرق محيين بالتلبية كالسحب كثرة [illegible] ان يراد به الطواف [illegible]

(فصل الوجه الثالث والعشرون) قول شعيا [illegible] نفسي افيض عليه روحي او قال امري [illegible] بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته [illegible] القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطي غيره [illegible] يسمع في الاسواق صوته ركن للمتواضعين [illegible]

حسدت لمكة فلما حملت اليها ذخائر البحر وحج اليها عساكر الامم وسيق اليها اغنام قيدار عمايا وانضاحي وقربين وضاقت الارض عن قطارات الابل المؤبلة الحاملة للناس وازوادهم واتاها اهل سبأ وهم اهل اليمن

(فصل الوجه الخامس عشر) قول شعيا في مكة ايضاً وقد اقسمت بنفسي كقسمي ايام نوح اني اغرق الارض بالطوفان اني لا اسخط عليك ولا ارفضك وان الجبال تزول وان التلاع منحطة ورحمتي عليك لا تزول ثم قال ياسكينة يامضطهدة ها انا ذا بان بالحسن حجارتك ومزاينك بالجواهر ومكلل باللؤلؤ سقفك وبالزبرجد ابوابك وتبعدين من الظلم فلا تخافي ومن الضعف فلا تضعفي وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلجين معها ويسميك الله اسماً جديداً يريد أنه سماها المسجد الحرام قومي فاشرقي فانه قد دنا نورك ووقر الله عليك انظري بعينك حولك فانهم مجتمعون يأتونك بنوك وبناتك عدوا حينئذ تسرين وتزهدين ويخاف عدوك ويتسع قلبك وكل غنم قيدار تجمع اليك وسادات بناوت يخدمونك وبناوت هم اولاد نبت بن اسماعيل وقيدار جد النبي صلى الله عليه وسلم وهو اخو نبت ابن اسماعيل ثم قال ويفتح ابوابك الليل والنهار لا تغلق ويتخذونك قبلة وتدعين بعد ذلك مدينة الرب

(فصل الوجه السادس عشر) قوله ايضاً في مكة سري واهتزي ايتها العاقر التي لم تلد وانطقي بالتسبيح وافرحي ولم تحبلي فان اهلك يكونون أكثر من أهلي يعني باهله بيت المقدس ويعني بالعاقر مكة لانها لم تلد قبل محمد النبي صلى الله عليه وسلم نبياً ولا يجوز ان يريد بالعاقر بيت المقدس لانه بيت الانبياء ومعدن الوحي وقد ولد انبياء كثيراً

(فصل الوجه السابع عشر) قول شعيا ايضاً لمكة شرفها الله اني اعطي البادية كرامة لبنان وبهاها الكرمل وهما الشام وبيت المقدس يريد اجعل الكرامة التي كانت هناك بالوحي وظهور الانبياء للبادية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحج ثم قال ويشق بالبادية مياه وسواقي في الارض الفلاة ويكون بالفيافي والاماكن العطاش ينابيع ومياه ويصير هنالك محجة وطريق الحرم لا يمر به انجاس الامم والجاهل به لا يضل هناك ولا يكون بها سبع ولا اسد ويكون هنالك ممر المخلصين

(فصل الوجه الثامن عشر) قول شعيا ايضاً في كتابه عن الحرم ان الذئب والحمل فيه يرتعان معاً اشارة الى امنه الذي خصه الله به دون بقاع الارض ولذلك سماه البلد الامين وقال * او لم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم * وقال بعد نعمه على اهله * لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب

فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون* ووصاياه صلى الله تعالى عليه وسلم هي عهوده الى الأمة بتقوى الله وعبادته وحده لا شريك له والتمسك بما بعثه الله به من الهدي ودين الحق والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه * وقوله ولا تسمع صوته يعني ليس بصخاب لا له قوز كحال من ليس له حلم ولا وقار * وقوله يفتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب اشارة الى تكميل مراتب العلم والهدي الحاصل بدعوته في القلوب والأبصار والأسماع فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها فان الهدي يصل الى العبد من هذه الأبواب الثلاثة وهى مغلقة عن كل أحد لاتفتح إلا على أيدي الرسل ففتح الله بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الأعين العمى فأبصرت بالله والآذان الصم فسمعت عن الله والقلوب الغلف فعقلت عن الله فانقادت لطاعته عقلا وقولا وعملا وسلكت سبل مرضاته ذللا * وقوله وما أعطيه فلا أعطي غيره مطابق لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل لقد أعطي هذا النبي مالم يعط نبي قبله ان عينيه ينامان وقلبه يقظان* فمن ذلك انه بعث الى الخلق عامة وختم به ديوان الأنبياء وأنزل عليه القرآن الذى لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه وأنزل على قلبه محفوظاً متلواً وضمن له حفظه الى أن يأتي الله بأمره وأوتي جوامع الكلم ونصر بالرعب فى قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر وجعلت صفوف امته فى الصلاة على مثال صفوف الملائكة في السماء وجعلت الارض له ولأمته مسجداً وطهوراً وأسري به الى أن جاوز السموات السبع ورأي مالم يره بشر قبله ورفع على سائر النبيين وجعل سيد ولد آدم وانتشرت دعوته في مشارق الارض ومغاربها واتبعه على دينه اتباع أكثر من اتباع سائر النبيين من عهد نوح الى المسيح فأمته ثلثا أهل الجنة وخصه بالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وبالمقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وبالشفاعة العظمى التى يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسي وأعز الله به الحق وأهله عزاً لم يعزه بأحد قبله وأذل به الباطل وحزبه ذلا لم يحصل بأحد قبله وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الالهية مالم يؤته نبي قبله وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وصلى عليه هو وجميع ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما وقرن اسمه باسمه فاذا ذكر

يثبت في الارض حجتي وينقطع به المعذرة فمن وجد بهـذا الوصف غير محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فلو اجتمع اهل الارض لم يقدروا ان يذكروا نبياً جمع هذه الاوصاف كلها وهي باقية في امته الى يوم القيمة غيره لم يجدوا الى ذلك سبيلا فقوله عبدي مطابق لقوله في القرآن * وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا * وقوله * تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً *وقوله*وانه لما قام عبد الله يدعوه * وقوله * سبحان الذي اسرى بعبده ليلا * وقوله وخيرتي ورضا نفسي مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل وأصطفى قريشاً من كنانة وأصطفى بني هاشم من قريش وأصطفاني من بني هاشم وقوله لا يضحك مطابق لوصفه الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم قالت عائشه ما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى تبدوا لهواته انما كان يتبسم تبسماً وهذا لان كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل بخلاف التبسم فانه من حسن الخلق وكمال الادراك واما صفته صلى الله عليه وسلم في بعض الكتب المتقدمة بانه الضحوك القتال فالمراد به انه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه عن القتل اذا كان جداً لله وحقاً له ولا يمنعه ذلك عن تبسمه في موضعه فيعطي كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق وكثرته من الخفة والطيش والاعتدال بين ذلك وقوله انزل عليه روحي مطابق لقوله تعالى*وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا*وقوله* يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون * وقوله * يلقي الروح على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * فسمى الوحي روحاً لان حياة القلوب والارواح به كما ان حياة الابدان بالارواح وقوله فيظهر في الامم عدلي مطابق قوله تعالى * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم * وقوله عن أهل الكتاب *فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط * وقوله يوصي الامم بالوصايا مطابق لقوله تعالى*شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه *وقوله في سورة الانعام* قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً * الى قوله * ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون *ثم قال* ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده * الى قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * ثم قال * وان هـذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

أن يطالبه به * وقوله وهو نور الله الذي لا يطفئ ولا يخصم حتى تثبت في الارض حجتي وينقطع به العذر هذا مطابق لحاله وأمره ولما شهد به القرآن في غير موضع كقوله تعالى * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * وقوله * يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً * وقوله يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام * وقوله * يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا * وقوله * فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * ونظائره في القرآن كثيرة * وقوله حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة مطابق لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * وقوله * والمرسلات عرفا الى قوله فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً * وقوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين * وقوله * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدي منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة * فالحجة انما قامت على الخلق بالرسل وبهم انقطعت المعذرة فلا يمكن من بلغته دعوتهم وخالفها ان يعتذر الى الله يوم القيامة إذ ليس له عذر يقبل منه

( فصل ) وهذه البشارة مطابقة لما في صحيح البخاري انه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن * يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً * وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا إله الا الله * وقوله إن هذا في التوراة لا يريد به التوراة المعينة التي هي كتاب موسى فان لفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة ويراد به الجنس تارة فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وبلفظ التوراة عن القرآن وبلفظ الانجيل عن القرآن أيضا وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان مابين أن تسرج دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن فالمراد به قرآنه وهو الزبور وكذلك قوله في البشارة التي في التوراة نبياً أقيم لبني اسرائيل من إخوتهم أنزله

الله ذكر معه كما في الخطبة والتشهد والأذان فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتي يشهد انه عبده ورسوله ولم يجعل لاحد معه أمراً يطاع لا ممن قبله ولا ممن هو كائن بعده الى أن يطوى الدنيا ومن عليها وأغلق أبواب الجنة الا عمن سلك خلفه واقتدي به وجعل لواء الحمد بيده فآدم وجميع الانبياء تحت لوائه يوم القيامة وجعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها فلا يدخلها من الاولين والآخرين الا بعد شفاعته وأعطى من اليقين والايمان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكر له والتبوع في مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية فى نفسه وفى الخلق مالم يعطه نبي غيره ومن عرف أحوال العالم وما بين الانبياء وأممهم تبين له ان الامر فوق ذلك فاذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر انه يكون أبداً ٭قوله ولا يضعف ولا يغلب هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ماضعف في ذات الله قط ولا في حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الارض على حربه بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جاشا وأشجعهم قلبا حتى انه يوم أحد قتل أصحابه وجرحوا وما ضعف ولا استكان بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة القرح حتي أرعب منه العدو وكر خاسئاً على كثرة عددهم وعددهم وضعف أصحابه وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس في نفر يسير دون العشرة والعدو قد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثب في العدو ويقول

أنا النبي لا كذب ٭ أنا ابن عبد المطلب

ويتقدم اليهم ثم أخذ قبضة من التراب فرمي بها وجوههم فولوا منهزمين ومن تأمل سيرته وحروبه علم أنه لم يطرق العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر وكان أصحابه مع انهم أشجع الامم اذا احمر البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به فكان أقربهم الى العدو وأشجعهم هو الذي يكون قريبا منه ٭ وقوله ولا يميل الى اللهو هكذا كانت سيرته كان أبعد الناس من اللهو واللعب بل أمره كله جد وحزم وعزم مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وإيمان ووقار وسكينة ٭ وقوله ولا يسمع في الاسواق صوته أي ليس من الصاخبين في الاسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها ٭ وقوله ركن للمتواضعين فان من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعا للصغير والكبير والمسكين والارملة والحر والعبد يجلس معهم على التراب ويجيب دعوتهم ويسمع كلامهم وينطلق مع أحدهم فى حاجته ويخصف نعله ويخيط له ثوبه ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع

سلمة يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه نبي مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله عز وجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وقال أبوالعالية كان اليهود اذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتي يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآيات فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين *وقال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال اليهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلي الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا ماكانوا يتوعدونا به فبادرناهم اليه فآمنابه وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات التي في البقرة ولقد جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

(فصل الوجه الرابع والعشرون) قوله في كتاب شعيا أشكر حبيبي وابني أحمد فلهذا جاء ذكره في نبوة شعيا أكثر من غيرها من النبوات واعلن شعيا بذكره ووصفه ووصف أمته ونادى بها في نبوته سرا وجهرا لمعرفته بقدره ومنزلته عند الله وقال شعيا أيضا إنا سمعنا من أطراف الارض صوت محمد وهذا إفصاح منه باسمه صلي الله عليه وسلم فليرنا أهل الكتاب نبيا نصت الانبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل الوجه الخامس والعشرون) قول حبقوق في كتابه إن الله جاء من التيمن والقدوس من جبال فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده وشعاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الارض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي فتزعزعت اسوار مدين ولقد حاز المساعي القديمة ثم قال زجرك في الانهار واحتدام صوتك في البحار

عليه توراة مثل توراة موسي وكذلك في صفة أمته صلي الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أناجيلهم في صدورهم فقوله أخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إما ان يريد به التوراة المعينة وليست المبدلة التى في ايدي اليهود أو جنس الكتب المتقدمة وعلى التقديرين فاجابة عبد الله بن عمرو بما هو في التوراة أي التى هي أعم من الكتاب المعين فان هذا الذي ذكره ليس في التوراة المعينة بل هو في كتاب شعيا كما حكيناه عنه وقد ترجموه أيضاً بترجمة أخري فيها بعض الزيادة عبدى ورسولى الذي سرت به نفسي أنزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلى ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطيه أحدا يحمد الله حمداً جديداً يأتي به من أقطار الارض وتفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوي مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفي أثر سلطانه على كتفيه * وقوله مشفح بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم وهي لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنا ولفظا مقارباً كمطابقة مود مود بل أشد مطابقة ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانية فانها بين الحاء والهاء وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ولا يستريب عالم من علمائهم منصف انها مطابقة لاسم محمد قال أبو محمد ابن قتيبة مشفح محمد بغير شك واعتباره انهم يقولون شفحالاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شفحاً فشفح محمد بغير شك وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم ( ان مئد مئد هو محمد ) وهو بكسر الميم والهمزة وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة قال ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد وإن سكتنا عن إيراد ذلك واذا ضربنا عن هذا صفحاً فمن هذا الذي انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواه ومن هذا الذي أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه رآه الناس عياناً مثل زر الحجلة فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البصيرة الا العمي ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور فصفات هذا النبي ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته في كتبهم يقرؤنها في كنايسهم ويدرسونها في مجالسهم لا ينكرها منهم عالم ولا يأباها جاهل ولكنهم يقولون لم يظهر بعد وسيظهر ونتبعه قال ابن اسحاق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلي الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن

حنين حتى عاينوها عياناً تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين في الحديد معدودين من فرسان العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم

﴿ فصل الوجه السابع والعشرون ﴾ قول دانيال وذكره باسمه الصريح من غير تعريض ولا تلويح وقال سينزع في قسيك اغراقاً وترتوى السهام بأمرك يامحمد إرتواء وقال دانيال النبي أيضاً حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم أنسيها رأيت أيها الملك صنما عظيما قائماً بين يديك رأسه من ذهب وساعداه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من الخزف فبينا أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشا وعاد رفاتا ثم نسفته الرياح وذهب وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيما ملأ الارض فهذا مارأيت ايها الملك فقال بخت نصر صدقت فما تأويلها قال أنت الرأس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك ولدك وهو الذي رأيته من الفضة وهو دونك وتقوم بعده مملكة اخرى هي دونه وهي تشبه النحاس وبعدها مملكة قوية مثل الحديد واما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة واما الحجر العظيم الذي رأيته دق الصنم ففتته فهو نبي يقيمه إله الارض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الارض وامها حتى تمتلئ الارض منه ومن امته ويدوم سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك ومعلوم ان هذا منطبق على محمد بن عبد الله حذو القذة بالقذة لاعلى المسيح ولاعلى نبي سواه فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الارض وأممها حتى امتلأت الارض من أمته وسلطانه دائم الى آخر الدهر لا يقدر أحد أن يزيله كما ازال سلطان اليهود من الارض وازال سلطان النصارى عن خيار الارض ووسطها فصار في بعض اطرافها وازال سلطان المجوس وعباد الاصنام وسلطان الصابئين

( فصل الوجه الثامن والعشرون ) قول دانيال ايضاً سألت الله وتضرعت اليه أن يبين لى مايكون من بني اسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الانبياء أو يجعل ذلك في غيرهم فظهر لى الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال السلام عليك يادانيال إن الله يقول إن بنى اسرائيل اغضبونى وتمردوا على وعبدوا من دوني آلهة اخرى وصاروا من بعد العلم الى الجهل ومن بعد الصدق الى الكذب فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم مسجدهم وحرق كتبهم وكذلك يفعل من بعده بهم وانا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثراتهم فلا يزالون في سخطي

ركبت الخيول وعلوت مراكب الانقياء وستنزع في قسيك اعراقا وترتوي السهام بأمرك يا محمد إرتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت وانحرف عنك شؤبوب السيل وتغيرت المهاري رفعت أيديها وجلا وخوفا وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الارض وتدوس الأمم لأنك ظهرت لخلاص أمتك وإنقاذ تراث آبائك فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار وأني يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه بل قد صرح باسمه مرتين حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تصلح إلا له ولا تنزل إلا عليه فمن حاول صرفها عنه فقد حاول صرف الانهار العظيمة عن مجراها وحبسها عن غايتها ومنتهاها وهيهات ماتروم المبطلون والجاحدون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فمن الذي امتلأت الارض من حمده وحمد أمته لله فى صلواتهم وخطبهم وادبار صلواتهم وعلى السراء والضراء وجميع الاحوال سواه حتى سماهم الله قبل ظهورهم الحمادين ومن الذي كان وجهه كأن الشمس والقمر تجريان فيه في ضيائه ونوره

لو لم يقل إني رسول أما * شاهده في وجهه ينطق

قد عود الطير عادات وثقن به * فهن يتبعنه في كل مرتحل

ومن الذى سارت المنايا أمامه وصحبت سباع الطير جنوده لعلمها بما يقرب من ذبح الكفار لله الواحد القهار

يتطايرون بقربه قربانهم * بدماء من علقوا من الكفار

ومن الذى تضعضعت له الجبال وانخفضت له الروابي وداس الامم ودوخ العالم وانتفعت بنبوته الممالك وخلص الأمة من الشرك والكفر والجهل والظلم سواه

( فصل الوجه السادس والعشرون ) قوله في كتاب حزقيل يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وان الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبياً وينزل عليه كتاباً ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم وتكون عاقبتكم الى النار فمن الذي أظهره الله على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً ومن هم بنو قيدار غير بني اسماعيل الذين خرجوا معه وهم جماعات الشعوب ومن الذي نزلت عليه وعلى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم

(( فصل الوجه الحادى والثلاثون )) قال شعيا وذكر قصة العرب فقال ويدوسون الأمم دياس البيادر وينزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موتورة من شدة الملحمة وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع

(( فصل الوجه الثاني والثلاثون )) قوله في الانجيل الذى بأيدي النصاري عن يوحنا ان المسيح قال للحواريين من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا إني صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب ولكن من الآن بطروا فلابد أن تتم الكلمة التي في الناموس لأنهم أبغضوني مجانا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القسط فهو شهيد على وأنتم أيضاً لأنكم قديما كنتم معي هذا قولي لكم لكيلا تشكوا اذا جاء والمنحمنا بالسريانية وتفسيره بالرومية البارقليط وهو بالعبرانيـة الحماد والمحمود والحمد كما تقدم

(( فصل الوجه الثالث والثلاثون )) قوله في الانجيل أيضا إن المسيح قال لليهود وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء فأتموا كيل آبائكم يا ثعابين بني الأفاعي كيف لكم النجاة من عذاب النار يؤيد ذلك ما ورد في سورة يس فارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وذلك محقق انه بعد رفع المسيح وقد تقدم الكلام على معنى وسأبعث اليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهـم وتصلبون وتجلدون وتطلبونهم من مدينة الى أخري ليكامل عليكم دماء المؤمنين المهرقة على الارض من دم هابيل الصالح الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه عند المذبح انه سيأتي جميع ما وصفت على هذه الامة يااورشلم التي تقتل الانبياء وترجم من بعث اليك قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريجها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك سأقفر عليكم بيتكم وأنا أقول لا ترونى الآن حتي يأتى من يقولون له مبارك يأتي على إسم الله *فاخبرهم المسيح انهم لابد أن يستوفوا الصاع الذى قدر لهم وانه سيقفر عليهم بيتهم أى يخليه منهم وانه يذهب عنهم فلا يرونه حتي يأتى المبارك الذي يأتي على إسم الله فهو الذى انتقم بعده لدماء المؤمنين وهذا نظير قوله في الموضع الآخر إن خيراً لكم أن أذهب عنكم حتى يأتيكم الفارقليط فانه لا يجيء مالم أذهب وقوله أيضا ابن البشر ذاهب والفار قليط من بعده وفي موضع آخر أنا أذهب وسيأتيك البارقليط والبارقليط والمبارك الذي جاء بعد المسيح هو محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره

(( فصل الوجه الرابـع والثلاثون )) قوله في انجيل متى أنه لما حبس يحيي بن زكريا

حتى ابعث مسيحي ابن العذراء البتول فأختم عليهم عنـد ذلك باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهـم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني اسماعيـل الذى بشرت به هاجر وارسلت إليها ملاكي فبشرها فأوحي الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وازينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سنته اخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض مافيها اسري به الي وأرقيه من سماء الى سماء حتي يعلو فادنيه واسلم عليه واوحى اليه وأرقيه ثم ارده الى عبادي بالسرور والغبطة حافظا لما استودع صادقا بما امر يدعوا الى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق رؤف بمن والاه رحيم بمن آمن به خشن على من عاداه فيدعوا قومه الى توحيدي وعبادتي ويخبرهم بما رأي من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قضية رسول الله صلي الله عليه وسلم مما أملاه عليه الملك حتي وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصاري يقرؤنها ويقرون بها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد قال ابو العالية فأنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم واخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم وكان اهل الناحية إن اجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون فكتب ابو موسى الاشعري في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به

﴿ فصل الوجه التاسع والعشرون ﴾ قال كعب وذكر صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة أحمد عبدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة يعفو ويغفر مولده بكاء وهجرته طابا وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله على كل نجد ويسبحونه في كل منزلة ويوضيؤن أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم وهم رعاة الشمس ومؤذنهم في جو السماء وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء رهبان بالليل أسد بالنهار ولهم دوي كدوي النحل يصلون الصلاة حيث ماأدركتهم ولو على كناسة

﴿ فصل الوجه الثلاثون ﴾ قال ابن أبي الزناد حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس قال كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام فيها اسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تبار هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يتزرون على أوساطهم ويغسلون أطرافهم ويخوضون البحور الى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ماهلكوا بالطوفان وفي ثمود ماهلكوا بالصيحة

ضرب لنبي هذه الأمة مثلا بصخرة وقال من سقط على هذه الصخرة سينكسر ومن سقطت عليه ينهشم وهذه صفة محمد ومن ناواه وحاربه من الناس لاتنطبق على أحد بعد المسيح سواه

( فصل الوجه السابع والثلاثون ) قول شعيا في صحفه لتفرح أرض البادية العطشي وتبهج البراري والفلوات لانها ستعطي بأحمد محاسن لبنان ومثل حسن الدساكر وتالله ما بعد هذا الا المكابرة وجحود الحق بعد ما تبين

( فصل الوجه الثامن والثلاثون ) قول حزقيل في صحفه التي بأيديهم يقول الله عز وجل بعد ما ذكر معاصي بني اسرائيل وشبههم بكرمة غذاها وقال لم تلبث الكرمة ان قلعت بالسخطة ورما بها على الارض وأحرقت السمائم ثمارها فعند ذلك غرس في البدو وفى الارض المهملة العطشي وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب وهذا تصريح لاتلويح به صلى الله عليه وسلم وببلده وهي مكة العطشى المهملة من النبوة قبله من عهد إسماعيل

( فصل الوجه التاسع والثلاثون ) ما في صحف دانيال وقد بعث الكنعانيين والكلدانيين فقال لا تعدد دعوتهم ولا يتم قربانهم وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة وفي التوراة ما يشبه هذا وهذا التصريح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم فان الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه في حياته وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين وهي باقية مستمرة وكذلك الى آخر الدهر ولم يقع هذا الملك قط فضلا عن كذاب مفتر على الله وأنبيائه مفسد للعالم مغير لدعوة الرسل ومن يظن هذا بالله فقد ظن به أسوأ الظن وقدح في علمه وقدرته وحكمته وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير اليه اليهود بالعلم والرياسة فقلت في اثناء الكلام انتم بتكذيبكم محمداً صلى الله عليه وسلم قد شتمتم الله اعظم شتيمة فعجب من ذلك وقال مثلك يقول هذا الكلام فقلت له اسمع الآن تقريره اذا قلتم ان محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي انه رسول الله أرسله الى الخلق كافة ويقول أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحي الى كذا ولم يكن من ذلك شيء ويقول انه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ولم يكن من ذلك شيء وهو يدأب في تغيير دين الانبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم فلا يخلو إما أن تقولوا ان الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده

بعث تلاميذه الى المسيح وقال لهم قولوا له أنت أيلياء أم نتوقع غـيرك فقال المسيح الحق اليقين أقول لـكم انه لم تقم النساء عن أفضل من يحيي بن زكريا وإن التوراة وكتب الأنبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتي جاء يحيي وأما الآن فان شئتم فاقبلوا فان أيل مزمع أن يأتي فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع وهذه بشارة بمجيء الله سبحانه الذى هو أيل بالعبرانية ومجيئه هو مجيء رسوله وكتابه ودينه كما في التوراة جاء الله من طور سينا قال بعض عباد الصليب انما بشر بالياس النبي وهذا لا ينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التي نحتتها أيدي اليهود فان الياس قـد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة

( فصل الوجه الخامس والثلاثون ) قوله في نبوة أرميا قبل أن أخلقك قد عظمتك من قبل أن أصورك فى البطن رأستك وجعلتك نبياً للأجناس كلهم فهذه بشارة على لسان أرميا لمن بعـده وهو إما المسيح وإما محمد صلوات الله وسلامه عليهما لا يعدوهما الى غيرها ومحمد أولى بها لان المسيح انما كان نبياً لبني اسرائيل وحـده كما قال تعالى ورسولا الى بني اسرائيل والنصارى تقر بهذا ولم يدع المسيح انه رسول الى جميع أجناس أهل الارض فان الأنبياء من عهد موسي الى المسيح انما كانوا يبعثون الى قومهم بل عندهم في الانجيل ان المسيح قال للحواريين لا تسلـكوا في سبيل الاجناس ولـكن اختصروا على الغنم الرابضة من نسل اسرائيل واما محمد بن عبد الله فهو الذي بعثه الله الى جميع أجناس الارض وطوائف بني آدم وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى * قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً * ولقوله صـلى الله عليه وسلم بعثت الى الأسود والأحمر وقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وقد اعترف النصاري بهذه البشارة ولم ينكروها لكن قال بعض زعمائهم إنها بشارة بموسى بن عمران والياس واليسع وانهم سـيأتون في آخر الزمان وهذا من أعظم البهت والجراءة على الله والافتراء عليه فانه لا يأتي من قد مات الى يوم الميقات المعلوم

( فصل الوجه السادس والثلاثون ) قول المسيح في الانجيل الذى بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال كمثل رجل إغترس كرماً وسيج حوله وجعل فيـه معصرة وشيد فيه قصراً ووكل به أعواناً وتغرب عنـه فلما دنا أوان قطافه بعث الى أعوانه الموكلين بالـكرم ثم ضرب مثلا للأنبياء ولنفسه ثم للنبي الموكل آخرا بالـكرم ثم أفصح عن أمته فقال وأقول لـكم سيزاح عنكم ملك الله وتعطاه الأمـة المطيعة العاملة ثم

بين الموضعين ظاهر فانه من المحال أن يقال ان بني اسرائيل اخوة بني اسرائيل وبنو تميم اخوة بني تميم وبنو هاشم اخوة بني هاشم هذا مالا يعقل في لغة أمة من الأمم بخلاف قولك زيد أخو بني تميم وهود أخو عاد وصالح أخو ثمود أي واحد منهم فهو أخوهم في النسب ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقضاً وكان نظير قولك بنو اسرائيل أخوة بني اسرائيل فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح قال اليهودي فقد أخبر انه سيقيم هذا النبي لبني اسرائيل ومحمد انما أقيم للعرب ولم يقم لبني اسرائيل فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث اليهم لا إلى غيرهم قال المسلم هذا من دلائل صدقه فانه ادعي انه رسول الله الى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا انه مرسل الى العرب والأميين خاصة والنبي صلى الله عليه وسلم خص بالذكر لحاجة المخاطب الى ذكره لئلا يتوهم السامع انه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه وللتنبيه على أن ماعداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد فكان في تعيين بني اسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم انه مبعوث الى العرب خاصة وقد قال تعالى * لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك * وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم فلو أمكنك أن تذكر عنه انه ادعي انه رسول الى العرب خاصة لكان ذلك حجة فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعي انه مرسل الى بني اسرائيل وغيرهم فلا حجة لك قال اليهودي ان أسلافنا من اليهود كلهم على انه ادعي ذلك ولكن العيسوية منا تزعم انه نبي العرب خاصة ولسنا نقول بقولهم ثم التفت الى يهودي معه فقال نحن قد جري شأننا على اليهودية وتالله ماأدري كيف أتخلص من هذا العربي إلا أنه أقل مايجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء

( فصل ) وقال محمد بن سعد في الطبقات حدثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس انه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجده محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام ليس بفحاش ولا صخاب بالأسواق ولا يكافئ السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح * وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي صالح قال قال كعب نجد مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر وأمته الحمادون يكبرون الله في كل نجد ويحمدونه في كل منزلة يأتزرون على انصافهم

ويعلمه أو تقولوا انه خفى عنه ولم يعلم به فان قلتم لم يعلم به نسبتموه الى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه وان قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما ان يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك اولا فان لم يكن قادراً فقد نسبتموه الى اقبح العجز المنافى للربوبية وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلى كلمته ويجيب دعاءه ويمكنه من اعدائه ويظهر على يديه من انواع المعجزات والكرامات ماتزيد على الالف ولا يقصده احد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة الا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لايليق نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن رب الارض والسماء فكيف وهو شهد له باقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد قلت فما لك لاتدخل في دينه قال انما بعث للأميين الذين لا كتاب لهم وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه قلت له غلبت كل الغلب فانه قد علم الخاص والعام انه أخبر انه رسول الله الى جميع الخلق وان من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب واذا صحت رسالته لزم تصديقه في كل ما أخبر به فأمسك ولم يحر جواباً وقريب من هذه المناظرة ماجرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم في التوراة التي بأيديكم الى اليوم ان الله قال لموسى اني أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه فمن عصاه انتقمت منه قال له اليهودي ذلك يوشع بن نون فقال المسلم هذا محال من وجوه ٠ أحدها انه قال عندك في آخر التوراة انه قال لايقوم في بني اسرائيل نبي مثل موسى ٠ الثاني انه قال من اخوتهم واخوة بني اسرائيل إما العرب وإما الروم فان العرب بنو اسماعيل والروم بنو العيص وهو لاء اخوة بنى اسرائيل فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوي أيوب وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة فلم يبق الا العرب وهم بنو اسماعيل وهم اخوة بني اسرائيل وقد قال الله في التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب انه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته وهم بنو اسرائيل وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذى نصب فسطاطه وملك أمته فى وسط بلاد بنى اسرائيل وهى الشام التي هى مظهر ملكه كما تقدم من قوله وملكه بالشام فقال له اليهودى فعندكم في القرآن والى مدين أخاهم شعيباً والى عاد أخاهم هوداً والى ثمود أخاهم صالحاً والعرب تقول ياأخا بنى تميم للواحد منهم فهكذا قوله أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم قال المسلم الفرق

ابن سعيد عن أبي بكر بن عبد الله العامري عن سلم بن يسار عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت قال ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد من أبي عامر الراهب كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذه دار هجرته ثم خرج الى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ثم خرج الى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مهاجره يثرب فرجع أبو عامر وهو يقول أنا على دين الحنيفية وأقام مترهبا ولبس المسوح وزعم انه على دين ابراهيم وانه ينتظر خروج النبي فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج اليه وأقام على ما كان عليه فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسده وبغي ونافق وأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم بعثت قال بالحنيفية قال أنت تخلطها بغيرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت بها بيضاء أين ما كان يخبرك الاحبار من اليهود والنصاري من صفتي فقال لست الذي وصفوا فقال النبي صلي الله عليه وسلم كذبت فقال ما كذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذب أماته الله وحيدا طريدا قال آمين ثم رجع الى مكة وكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا وقال الواقدي حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبدالرحمن بن عبد العزيز في جماعة كل حدثني بطائفة من الحديث عن المغيرة بن شعبة انه دخل على المقوقس وانه قال له ان محمداً نبي مرسل ولو أصاب القبط والروم اتبعوه قال المغيرة فأقمت بالاسكندرية لا ادع كنيسة الا دخلتها وسألت أساقفتها من قبطها وروميها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أبي يحنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم لم أر أحداً قط يصلي الخمس أشد اجتهادا منه فقلت أخبرني هل بقي أحد من الانبياء قال نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسي أحد وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه وهو النبي الامي العربي اسمه احمد ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة وليس بالابيض ولا بالادم يعفي شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام سيفه على عاتقه ولا يبالى من لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم يخرج من أرض القرظ ومن حرم يأتي والى حرم يهاجر الى أرض سبخة ونخل يدين بدين ابراهيم يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ويخص بما لا يخص به الانبياء قبله وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث هذا الى الناس كافة وجعلت له الارض مسجدا وطهورا أينما أدركته الصلاة تيمم وصلي ومن

ويتوضؤن على أطرافهم مناديهم ينادى في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام * قال الدارمي وأخبرنا زيد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ذكوان أبي صالح عن كعب قال في السطر الاول محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفى السطر الثانى محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى كل حال ومنزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة يأتزرون على أوساطهم ويوضؤن اطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل * وقال عاصم بن عمر بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه قال كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته واسمه ومهاجره فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا * وذكر أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث سليمان بن سحيم الخدري وربيح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت مالك بن سنان يقول جئت بني عبد الاشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب فسمعت يوشع اليهودي يقول اظل خروج نبي يقال له احمد يخرج من الحرم فقال له خليفة بن ثعلبة الاشهلي كالمستهزئ به ما صفته فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار وهذا البلد مهاجره قال فرجعت الى قومي بني خدرة وانا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلا منا يقول هذا وحده يقوله كل يهود يثرب تقول هذا قال أبي فخرجت حتي جئت بني قريظة فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الاحمر لم يطلع الا بخروج نبي وظهوره ولم يبق أحد الا احمد هذه مهاجره قال ابو سعيد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبي هذا الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها انما هم لهم تبع وقال النضر بن سلمة حدثنا يحيي ابن ابراهيم عن صالح بن محمد عن أبيه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة قال لم يكن في بني عبد الأشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول واني لغلام قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ثم أشار بيده الى بيت الله الحرام فمن أدركه فليصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً * قال النضر وحدثنا عبد الجبار

والجراح كثير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون قال يسير اليه قومه فيقتتلون هاهنا قال فأين قبره قال بهذا البلد قال فاذا قوتل لمن تكون الدائرة قال تكون له مرة وعليه مرة وبهذا المكان الذي أنت به يكون غلبه ويقتل أصحابه قتلا لم يقتلوا في موطن ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه هذا الامر أحد قال وماصفته قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يركب البعير ويلبس الشملة سيفه على عاتقه لايبالى من لاقى من أخ أوابن عم أوعم حتى يظهر أمره قال تبع مالى هــذه البلدة من سبيل وما يكون خرابها على يدي فخرج تبع منصرفاً الى اليمن قال يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود يثرب يخبرونه وان تبع مات مسلماً * وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول إني وجدت سفراً كان أبي يكتمه على فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ صفته كذاوكذا فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بعد فماهو إلاأن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قدخرج بمكة فعمد الى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به * قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة فلماولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحبار يهود ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قدطلع فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قدطلع الكوكب كانوايعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم إلا الحسد والبغي * وقال محمد بن سعد أخبرنا على بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال انظروا يامعشر قريش واحصوا ماأقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة محمد وهو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا في منازلهم ذكروه لاهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً فأتوا اليهودي في منزله فقالوا علمت انه ولد فينا غلام فقال أبعد خبري أم قبله فقالوا قبله واسمه محمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته اليهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على

كان قبلهم مشدد عليهم لا يصلون الا في الكنائس والبيع وقال الطبراني حدثنا على ابن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد ابن زيد عن أبيه عن جده سعيد بن زيد ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتي انتهيا الى راهب بالموصل فقال لزيد من أين أقبلت قال من بيت ابراهيم قال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فانه يوشك أن يظهر الدين الذي تطلب في أرضك فرجع وهو يقول ( لبيك حقاً حقاً * تعبداً ورقا ) وقال ابن قتيبة في كتاب الاسلام حدثني يزيد بن عمرو حدثنا العلاء بن الفضل حدثني أبي عن أبيه عبد الملك ابن أبي سوية عن أبي سوية عن أبيه خليفة بن عبدة المنقرى قال سألت محمد بن عدي كيف سماك أبوك عدي محمدا قال أما اني قد سألت أبي عما سألتني عنه فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم وأنا أحدهم ومجاشع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة واسامة بن مالك بن جندب الى يزيد بن جفنة الغساني فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقرية ديراني فأشرف علينا وقال ان هذه اللغة ماهي لاهل هذه البلد قلنا نعم نحن قوم من مضر قال من أي المضريين قلنا من خندف قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا نبي فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين واسمه محمد فلما انصرفنا من عند ابن أبي جفنة الغساني وصرنا الى أهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً * وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنيسة فاذا هو بيهود وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا وفي ناحيتها رجل مريض فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالكم امسكتم قال المريض انهم اتوا على صفة نبي فأمسكوا ثم جاء المريض يحبو حتي أخذ التوراة فقرأ حتي أتي على صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه صفتك وصفة امتك أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله ثم مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه خذوا أخاكم * وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما قدم تبع المدينة ونزل بقباء بعث الى أحبار اليهود فقال اني مخرب هذا البلد حتي لا تقوم به يهودية ويرجع الامر إليّ فقال له شموال اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك ان هذا بلد يكون اليه مهاجر نبي من بنى اسماعيل مولده بمكة اسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك هذا الذي أنت به يكون به من القتلى

عن آلهة قومه ودعا الى غيرها قلت صاحبي الذي أريد فشددت راحلتي وجئت فأسلمت * وقال عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل وعن الضحاك عن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله عز وجل ( قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ) الآية. فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى بني قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وهو النبي الذي نجده في التوراة والانجيل فصالحوه على ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ودراهم * وقال يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبي سلم عن عكرمة أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به فذلك قوله تعالى ( وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ) وقال ابن سعد حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب الزامعي عن سهل مولى عثمة أنه كان نصرانياً وكان يتيما في حجر عمه وكان يقرأ الانجيل قال فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة أنكرت كتابتها فاذا هي ملصقة ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا قصير ولا طويل أبيض بين كتفيه خاتم النبوة يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد قال فجاء عمي فرأى الورقة فضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة فقلت فيها نعت النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد * وقال وهب أوحي الله الى شعيا أني مبعث نبياً أفتح به آذاناً صما وقلوباً غلفاً أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والوفاء والصدق طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى أمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وأكثر به بعد القلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة واجعل أمته خير أمة وهم رعاة الشمس طوبي لتلك القلوب * وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عثمان بن عبد الرحمن أن رجلا من أهل الشام من النصارى قدم مكة فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهم فقال يانساء تيماء انه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد أيما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً فلتفعل فحفظت خديجة حديثه * وقال عبد المنعم بن

اليهودي ثم أفاق فقالوا مالك ويلك فقال ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب
من أيديهم فازت العرب بالنبوة أفرحتم يامعشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة
يخرج نبؤها من المشرق الى المغرب * قال ابن سعد وأخبرنا على بن محمد بن على بن
مجاهد عن محمد بن اسحق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال أتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس فقال أخرجوا الى أعلمكم فقالوا عبد الله بن
صوريا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من
المن والسلوى وظللهم من الغمام أتعلم أني رسول الله قال اللهم نعم وان القوم ليعرفون
ما أعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكن حسدوك قال فما يمنعك أنت
قال أكره خلاف قومي عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم * وقال أبو الشيخ الاصبهاني
حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهيل بن عثمان حدثنا على بن مسهر عن داود عن
الشعبي قال قال عمر بن الخطاب كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من
موافقة التوراة للقرآن وموافقة القرآن للتوراة فقالوا يا عمر ما أحد أحب الينا منك
لانك تغشانا قلت إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً فبينا أنا عندهم
ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك فقلت أنشدكم
الله وما أنزل عليكم من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله فقال سيدهم قد انشدكم الله
فأخبروه فقالوا أنت سيدنا فأخبره فقال إنا نعلم أنه رسول الله قلت فأني أهلككم إن
كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه قالوا إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من
الملائكة عدونا جبريل وهو ملك الفظاظة والغلظة وسلمنا ميكائيل وهو ملك الرأفة
واللين قلت فاني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل ولا لميكائيل أن يعادي
سلم جبريل ولا أن يسالم عدوه ثم قمت فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ألا أقرئك آيات نزلت على قبلي من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك الآية
فقلت والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود قال عمر فلقد رأيتني
أشد في دين الله من حجر * وذكر أبو نعيم من حديث عمرو بن عبسة قال رغبت
عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها على الباطل يعبدون الحجارة وهي لا تضر
ولا تنفع فرأيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال يخرج رجل
من مكة ويرغب عن آلهة قومه يأتي بأفضل الدين فاذا سمعت به فاتبعه فلم يكن لي
هم الا مكة آتيها فاسأل هل حدث فيها خبر فيقولون لا فاني لقاعد إذ مر بي راكب
فقلت من أين جئت قال من مكة قلت هل حدث حدث فيها قال نعم رجل رغب

وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر والاوثان والتمس الدين وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قيل له هذا الذي كنت تبشر به وتقول فيه فحسده عدو الله وقال أنا كنت أرجو ان أكونه فأنزل الله عز وجل فيه ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ) وهو الذي يقول

كل دين يوم القيامة عند الـــله الا دين الحنيفة زور

قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدين ويطمع في النبوة فخرج الى الشأم فمر بكنيسة وكان معه جماعة من العرب من قريش وغيرهم فقال أمية ان لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني فدخل الكنيسة ثم خرج اليهم كاسفاً متغيراً فرمى بنفسه فاقاموا عليه حتى سري عنه ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم انتظروني ودخل الكنيسة فأبطأ ثم خرج أسوأ من حاله الأول فقال له أبو سفيان بن حرب قد شققت على رفقتك فقال خلوني فاني أرتاد لنفسي وأنظر لمعادي ان هنا راهباً عالماً أخبرني أنه سيكون بعد عيسى ست رجفات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة فخرجت وأنا أطمع أن أكون نبياً وأخاف أن تخطئني فأصابني ما رأيت فلما رجعت أتيته فقال قد كانت الرجفة وقد بعث نبي من العرب فأيست من النبوة فأصابني ما رأيت إذ فاتني ما كنت أطمع فيه * قال وقال الزهري خرج أمية في سفر فنزلوا منزلا فأم أمية وجها وصعد في كثيب فرفعت له كنيسة فانتهى اليها فاذا شيخ جالس فقال لامية حين رآه انك لمتبوع فمن أين يأتيك رئيك قال من شق الايسر قال فأي الثياب أحب اليه أن تلقاه فيها قال السواد قال كدت تكون نبي العرب ولست به هذا خاطر من الجن وليس بملك وان نبي العرب صاحب هذا الأمر يأتيه الملك من شقه الايمن وأحب الثياب اليه أن يلقاه فيها البياض قال الزهري وأتي أمية أبا بكر فقال له يا أبا بكر عمي الخبر فهل أحسست شيئاً قال لا والله قال قد وجدته يخرج في هذا العام * وقال عمر بن شبة سمعت خالد بن يزيد يقول إن أمية وأبا سفيان بن حرب اصطحبا في تجارة الى الشام فذكر نحو الحديث الاول وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو يمتل فقال له أبو سفيان إن بك لشراً فما قصتك قال خير أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنه فذكر سناً قال اخبرني عن ماله فذكر مالا فقال له وضعته قال أبو سفيان بل رفعته فقال ان صاحب هـذا الامر ليس بشيخ ولاذي مال قال

ادريس عن أبيه عن وهب قال في قصة داود ومما أوحي الله اليه في الزبور ياداود انه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبني أبداً قد غفرت له قبل أن يعصيني ماتقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ماأعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا الى كل صلاة كما افترضت على الانبياء قبلهم وأمرتهم بالحج كما أمرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الرسل قبلهم ياداود اني فضلت محمداً وامته على الامم كلها اعطيتهم ست خصال لم اعطها غيرهم من الامم لاأواخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ركبوه على غير عمد اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموا لآخرتهم من شئ طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ولهم في المدخور عندي أضعافاً مضاعفة وأفضل من ذلك وأعطيتهم على المصائب اذاصبروا واسترجعوا الصلاة والرحمة والهدي فان دعوني استجبت لهم ياداود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله الا أنا وحدي لاشريك لي صادقا بها فهو معي في جنتي وكرامتي ومن لقيني وقد كذب محمداً وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صباً وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره في قبره ثم ادخله في الدرك الاسفل من النار * وقال عفان حدثنا همام عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن مطرف بن مالك انه قد شهدت فتح تستر مع الاشعري فأصبنا قبر دانيال بالسوس وكانوا اذا استسقوا خرجوا فاستسقوا به فوجدوا معه ربعة فطالها نصراني من الحيرة يسمى نعيم فقرأها وفي أسفلها ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) فأسلم منهم يومئذ اثنان وأربعون حبراً وذلك في خلافة معاوية فأتحفهم معاوية وأعطاهم * قال همام فأخبرني بسطام بن مسلم أن معاوية بن قرة قال تذاكرنا الكتاب الى من صار فمر علينا شهر بن حوشب فدعوناه فقال على الخبير سقطتم ان الكتاب كان عند كعب فلما احتضر قال ألا رجل أءتمنه على أمانة يؤديها قال شهر فقال ابن عم لي يكنى أباالبيد أنا فدفع اليه الكتاب فقال اذا بلغت موضع كذا فاركب قرقوراً ثم اقذف به في البحر ففعل فانفرج الماء فقذفه فيه ورجع الى كعب فأخبره فقال صدقت انه من التوراة التي أنزلها الله عز وجل

( فصل ) ومن ذلك أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي ونحن نذكر بعضها * قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال كان أمية قد نظر في الكتب

عند صاحبك قال لمنقلبي قلت وهل لك من منقلب قال أي والله لاموتن ولا حاسبن قلت فهل انت قابل اماني قال على ماذا قلت على انك لاتبعث ولا تحاسب فضحك وقال بلى والله لتبعثن ولتحاسبن ولتدخلن فريق فى الجنة وفريق في السعير قلت ففي أيهما أنت أأخبرك صاحبك قال لاعلم لصاحبي بذلك فيّ ولا في نفسه فكنا في ذلك ليلتنا يعجب منا وانضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثم ارتحلنا حتي نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه وأهدوا له وذهب معهم الى بيعتهم ثم جاءنا مع انصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين وذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه فوالله مانام ولا قام حتى أصبح مبثوثا حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه فرحلنا فسرنا ليالي ثم قال ياصخر حدثني عن عتبة ابن ربيعة اجتنب المحارم والمظالم قلت أي والله قال أو يصل الرحم ويأمر بصلتها قلت نم قال فكريم الطرفين وسط فى العشيرة قلت نم قال فهل تعلم فى قريش أشرف منه قلت لاوالله قال أمحوج هو قلت لابل هو ذو مال كثير قال كم أتى له من السنين قلت هو ابن سبعين سنة أو قد قاربها قال فالسن والشرف أزريا به قلت والله بل زاده خيراً قال هو ذاك ثم ان الذي رأيت لي إني جئت هذا العالم فسألته عن هـذا الذي ينتظر فقال هو رجل من العرب من أهل بيت تحجه العرب فقلت فأي بيت تحجه العرب قال هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش فأصابني شئ ماأصابني مثله إذ خرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو فقلت فصفه لي فقال رجل شاب حين دخل فى الكهولة بدؤ أمره أنه يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو كريم الطرفين متوسط فى العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم رجفات كلها فيها مصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة يخرج على أثرها فقلت هذا هو الباطل لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفا قال أمية والذي يحلف به انه لهكذا فخرجنا حتي اذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكبا من خلفنا فاذا هو يقول أصابت الشام رجفة دمّر أهلها فيها فأصابتهم مصائب عظيمة فقال أمية كيف ترى ياأبا سفيان فقلت والله ماأظن صاحبك إلا صادقا وقدمنا مكة ثم انطلقت حتي أتيت أرض الحبشة تاجرا فكنت فيها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاءني الناس يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد وهند تلاعب صبيانها فسلم عليّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق بي فقلت والله ان هذا الفتي لعجب ماجاءني من قريش أحد له معي بضاعة إلا سألني عنها وما بلغت

وكان الراهب أيأسه وأخبره ان الأمر لرجل من قريش * قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال كان أمية نائما فجاءه طائران فوقع أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر فقال له الطائر الآخر اوعى قال نعم قال أزكى قال أبي * وقال الزهري دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخيه وقال تهيأ إدماها فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت واذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه فقال الطائر الآخر للذي على صدره أوعي قال وعي قال أقبل قال أبي قال فرد قلبه في موضعه ثم مضي فاتبعهما أمية طرفه وقال *لبيكما لبيكما ها أنا ذ لديكما* لا برئ فاعتذر ولا ذو عشيرة فانتصر فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه حتي أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الاعلى للواقع اوعي قال وعي قال اقبل قال ابي ونهض فاتبعهما امية بصره فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما لامال لى يغنيني ولا عشيرة تحميني فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الاعلى اوعى قال وعى قال اقبل قال ابي ونهض فاتبعه امية بصره فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما محفوف بالنعم محوط بالذنب قال فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه فقال الاعلى أوعي قال وعى قال أقبل قال أبي قال ونهض فاتبعهما طرفه فقال لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره فقلت يا أخي هل تجد شيأ قال لا ولكني أجد حرا في صدري ثم أنشأ يقول

ليتني كنت قبل ماقد بدالى * في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا

* وقال مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان بن حرب عن ابيه قال خرجت أنا وامية بن ابي الصلت تجاراً الى الشام فكان كلما نزلنا منزلا اخرج منه سفرا يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قري النصاري فراوه فعرفوه واهدوا له وذهبوا ومضى معهم الي بيعتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين اسودين فلبسهما ثم قال يا ابا سفيان هل لك في عالم من علماء النصاري اليه تناها علم الكتب تسأله عما بدالك قلت لا فضي هو وحده وجاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فو الله مانام ولا قام حتي اصبح واصبح كئيبا حزينا مايكلمنا ولا نكلمه فسرنا ليلتين على مابه من الهم فقلت له مارأيت مثل الذى رجعت به من

يقال له بحيرا في صومعة له وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه فلما نزلوا على بحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به ولا يكلمهم حتى اذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم وانما حمله على دعائهم انه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دونهم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر الى تلك الغمامة اظلت تلك الشجرة فأخضلت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما راى بحيرا ذلك نزل من صومعته وامر بذلك الطعام فأتى به وارسل اليهم وقال إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش وانا احب ان تحضروه كلكم ولا تخلفو احداً منكم كبيراً ولا صغيراً حراً ولا عبداً فان هذا شيء تكرموني به فقال رجل إن لك لشأناً يابحيرا ما كنت تصنع هذا من قبل فما شأنك اليوم قال إني احب ان اكرمكم ولكم حق فاجتمع القوم اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا الى القوم فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يري الغمامة على أحد من القوم ويراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بحيرا يامعشر قريش لا يتخلفن منكم احد عن طعامي قالوا ما تخلف احد الا غلام هو احدث القوم سناً في رحالهم فقال ادعوه ليحضر طعامي فما اقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع إني اراه من انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسباً وهو ابن اخ هذا الرجل يعنون ابا طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال الحارث بن عبد المطلب والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه واقبل به حتى اجلسه اعلى القوم على الطعام والغمامة تسير على رأسه وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده في صفته فلما تفرقوا عن الطعام قام اليه الراهب فقال ياغلام أسئلك بحق اللات والعزي الا ما أخبرتني عما أسئلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى فوالله ماابغض شيئاً بغضهما قال فبالله الا اخبرتني عما اسئلك عنه قال سلني عما بدالك فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فوافق ذلك ماعنده ثم جعل ينظر بين عينيه ثم كشف عن ظهره فرأي خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم وقالت قريش إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا وجعل ابوطالب لما يري من الراهب يخاف على ابن اخيه فقال الراهب لابي طالب ماهذا الغلام منك قال هو ابنى قال ما ينبغي لهذا

والله انه لمعي لبضاعة وماهو بأغناهم عنها فقالت أو ماعلمت بشأنه فقلت وفزعت وما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فذكرت قول النصراني فوجمت ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية فقلت هل تذكر حديث النصراني قال نعم فقلت قد كان قال ومن قلت محمد بن عبد الله فتصبب عرقاً فقلت قد كان من أمر الرجل ما كان فأين أنت منه فقال والله لاأوتي بتي من غير ثقيف أبداً فهذا حديث أبي سفيان عن أمية وذلك حديثه عن هرقل وهو في صحيح البخاري وكلاهما من أعلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب * وذكر الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن عوف وهو ثقة أخبرنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي بكر بن أبي موسي عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب حطوا عن رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى اذا جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ماعلمك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه واذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم وقال ماجاء بكم قالوا بلغنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد أخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا إنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه فهل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقيموا معه قال انشدكم الله أيكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشدهم حتى رده * وقد روى محمد بن سعد هذه القصة مطولة * قال ابن سعد حدثنا محمد بن عمر بن واقد حدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر الزهري قال محمد بن عمر وحدثنا ابن أبي حبيبة عن داود ابن الحصين قال لما خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو ابن ثني عشرة سنة فلما نزل الركب بصري من الشام وبها راهب

الغرفة حتى رفع رأسه اليها قال فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنتفض عليكم بيوتكم قلنا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك قل وددت أنكم كلما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم واني خرجت من نصف ملكي قلنا لم قال لانه يكون ايسر لشأنها واحري ان لا يكون من امر النبوة وان تكون من حيل الناس ثم سألنا عما اراد فاخبرناه ثم قال كيف صلاتكم وصومكم فاخبرناه فقال قوموا فقمنا فأمرلنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثاً فأرسل الينا ليلا فدخلنا عليه فاستعادقولنا فأعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً وقفلا واستخرج منه حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذافيها رجل ضخم العينين عظيم الا ليتين لم أر مثل طول عنقه واذا ليست له لحية واذا له ضفيرتان أحسن ماخلق الله قال هل تعرفون هذا قلنا لاقال هذا آدم عليه السلام واذا هو أكثر الناس شعراً ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء واذافيها صورة بيضاء واذا له شعر قطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها رجل شديدالبياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخدأبيض اللحية كأنه يتبسم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة فاذاصورة بيضاءواذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمدرسول الله وبكينا قال والله يعلم انه قام قائما ثم جلس فقال والله انه لهو قلنا نعم انه لهو كأنما ننظر اليه فأمسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما انه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ماعندكم ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فاذافيها صورة أدماء سحماء واذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان مقلص الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون من هذا قلنا لا قال هذا موسى بن عمران والى جنبه صورة تشبهه الا انه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبلة فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا هرون ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كانه غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا لوط ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل ابيض حسن الوجه أقنى الانف حسن القامة يعلو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال هل تعرفون من هذا قلنا لا قال هذا اسمعيل جد نبيكم ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيهاصورة كانهاصورة آدم كان وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا قلنا

الغلام أن يكون أبوه حياً قال فابن أخي قال فما فعل ابوه قال هلك وامه حبلى به قال فما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت ازجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا منه ما اعرف ليبغنه عنتا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتابنا واعلم أني قد اديت اليك النصيحة فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعا وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا الى بحيرا فذكروا امره فنهاهم أشد النهي وقال لهم أتجدون صفته قالوا نعم قال فمالكم اليه سبيل فصدقوه وتركوه ورجع أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفا عليه *وذكر الحاكم والبيهقي وغيرهما من حديث عبدالله بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة عن هشام بن العاص قال ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه فاذا هو على سرير له فأرسل الينا برسول نكلمه فقلنا لا والله لا نكلم رسولا إنا بعثنا الى الملك فان أذن لنا كلمناه والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سوداء فقال له هشام ماهذه التي عليك فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتي أخرجكم من الشام قلنا ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك ولنأخذن ملك الملك الأعظم أخبرنا بذلك نبينا فقال لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل فكيف صومكم فأخبرناه فملأ وجهه سواداً فقال قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فخرجنا حتى اذا قربنا من المدينة قال ان شئتم حملناكم على براذين وبغال قلنا والله لا ندخل الا عليها فارسلوا الى الملك انهم يأبون فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا الى غرفة له فانخنا في أصلها وهو ينظر الينا فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتي صارت كأنها عذق تصفقه الرياح فارسل الينا ليس لكم ان تجهروا علينا بدينكم وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم وكل شيء في مجلسه احمر وماحوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة فدنونا منه فضحك وقال ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا ان نحييك بها قال كيف تحيتكم فيما بينكم فقلنا السلام عليكم قال كيف تحيون ملككم قلنا بها قال كيف يرد عليكم قلنا بها قال فما أعظم كلامكم قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت

فحملوها كلها على الحواريين واذا جاءهم مايستحيل إنطباقه عليهم حرفوه أوسكتوا عنه وقالوا لاندري من المراد به * الرابع اعتراف من أسلم منهم بذلك وانه صريح في كتبهم وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وانما يغالطون في تأويلها والمراد أن كل واحد من هذه الطرق الاربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات وقد قدمنا أن إقدامه صلى الله عليه وسلم على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وانهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكراره ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل مجمع وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين أحدهما قيام الدليل القطعي على صدقه الثاني دعوته لهم بذلك الى تصديقه ولو لم يكن له وجود لكان ذلك من أعظم دواعي تكذيبه والتنفير عنه

﴿ فصل ﴾ وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير وان البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها ففضحهم ماعجزوا عن كتمانه أو تبديله وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وانكار بشارة الأنبياء به ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد صلى الله عليه وسلم من القتل والسبي وغنيمة الأموال وتخريب الديار واجلائهم منها فكيف لا تتواصى هذه الامة بكتمان نعته وصفته وتبديله من كتبها وقد عاب الله سبحانه عليهم ذلك في غير موضع من كتابه ولعنهم عليه ومن العجب أنهم والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بني اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم

لا قال هذا يوسف ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل احمر أحمش الساقين اخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفا فقال هل تعرفون هـذا قلنا لا قال هذا داود ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرسا فقال هل تعرفون هـذا قلنا لا قال هـذا سليمان بن داود ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين الشعر حسن الوجه حسن العينين فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا عيسى قلنا من اين لك هذه الصور لانا نعلم انها على ما صورت عليـه الانبياء لانا رأينا صورة نبينا مثله قال ان آدم سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فانزل عليه صورهم وكانوا في خزانة آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فصارت الى دانيال ثم قال أما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي واني كنت عبدا كأسرائكم ملكه حتي أموت ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق فاخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكي أبو بكر وقال لو أراد الله به خيراً لفعل

﴿ فصـل ﴾ فهذه في الاخبار بنبوته مما تلقاه المسلمون من أفواه علماء أهـل الكتاب والمؤمنين منهم والاول مما نقلوه من كتبهم وعلماؤهم يقرون أنه في كتبهم فالدليل بالوجه الأول يقام عليهم بشهادة من لا يتهم عليهم لانه اما من عظمائهم واما ممن رغب عن رياسته وماله ووجاهته فيهم وآثر الايمان على الكفر والهدي على الضلال وهو في هذا مدع ان علماءهم يعرفون ذلك ويقرون به ولكن لا يطلعون جهالهم عليه

﴿ فصل ﴾ فالاخبار والبشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة عرف من عدة طرق * أحدها ما ذكرناه وهو قليـل من كثير وغيض من فيض * الثاني إخباره صلي الله عليه وسلم لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به وان الانبياء بشرت به واحتجاجه عليهم بذلك ولو كان هـذا لا وجود له البتة لكان مغريا لهم بتكذيبه منفرا لاتباعه محتجا على دعواه بمـا يشهد ببطلانها * الثالث أن هاتين الامتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان نعته كيت وكيت وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصاري فاما المسلمون فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم وأما اليهود فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا انه محمد بن عبد الله فنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته وقال للاتباع انه لم يخرج بعد وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح ولا ريب ان بعضها صريح فيه وبعضها ممتنع حمـله عليـه وبعضها محتمل وأما بشارات المسيح

يهودا باللحاق ببيت أبيها الى أن يكبر شيلا ولده ويتم عقله ثم ماتت زوجة يهودا وذهب الى منزله ليجز غنمه فلما أخبرت تامار لبست زي الزواني وجلست على طريقه فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالأجرة فوعدها بجدي ورمي عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقت منه بولد ومن هذا الولد كان داود النبي فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة وكما جعلوا ولدى لوط ولدي زنا ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم الى ذينك الولدين وأما فريتهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جداً كقولهم ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات والارض فأنزل الله على رسوله تكذيبهم بقوله (وما مسنا من لغوب) وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وقولهم ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وقولهم لن تمسنا النار الا أياماً معدودة وقولهم ان الله تعالى بكي على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة وقولهم الذي حكيناه آنفاً ان الله ندم على خلق بنى آدم وأدخلوا هذه الفرية فى التوراة وقولهم عن لوط انه وطئ ابنتيه وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء وقولهم في بعض دعاء صلواتهم انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك فتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة كأنهم يحثونه بذلك لينتخي لهم ويحتمي كأنهم يخبرونه انه قد اختار الخمول لنفسه وأحبابه فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت قال بعض أكابرهم بعد إسلامه فترى أحدهم اذا تلى هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده ولا يشك أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم وانه يؤثر في ربه ويحركه لذلك ويهزه وينخيه وعندهم في توراتهم أن موسي صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسي منظره كمنظر البلور وهذا من كذبهم وافترائهم على الله وعلى التوراة وعندهم في توراتهم ان الله سبحانه لما رأي فساد قوم نوح وان شرهم قد عظم ندم على خلق البشر في الارض وشق عليه وعندهم في توراتهم أيضاً ان الله ندم على تمليكه شاؤل على اسرائيل وعندهم فيها ان نوحاً لما خرج من السفينة بني بيتاً مذبحاً وقرب عليه قرابين واستنشق الله رائحته من القتار فقال في ذاته لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة وأن أهلك جميع الحيوان كما صنعت قال بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله الى الاسلام لسنا نري أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى ولا نقول أيضاً ان اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها بل الحق أولى ما اتبع قال ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل

ومنهم من يقول على زمن بختنصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس وعلى تقدير الروايتين فمن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهراً وزادوا ونقصوا والسامرة تدعي ذلك عليهم وأما الأنجيل فقد تقدم ان الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال يوحنا ومتى ومرقس ولوقا فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها وعلى مافيها من ذلك فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله وازالته وان قدروا على كتمانه عن اتباعهم وجهالهم وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته الى الانبياء مالا يشك فيه ذو بصيرة والتوارة التي أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك ففيها عن لوط رسول الله انه خرج من المدينة وسكن في كهف الجبل ومعه إبنتاه فقالت الصغرى للكبرى قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ منه نسلا فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه بولدين مواب وعمون فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره ثم يذيعها عنه ويحكيها للامم وفيها ان الله تجلى لموسى في طور سيناء وقال له بعد كلام كثير أدخل يدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج وهذا من النمط الاول والله سبحانه لم يتجل لموسى وإنما أمره أن يدخل يده في جيبه وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص وفيها أن هرون هو الذي صاغ لهم العجل وهذا ان لم يكن من زياداتهم وافترائهم فهرون اسم السامري الذي صاغه ليس هو هرون أخي موسى وفيها ان الله قال لابراهيم اذبح إبنك بكرك اسحق وهذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله فقد جمعوا بين النقيضين فان بكره هو اسمعيل فانه بكر أولاده واسحق انما بشر به على الكبر بعد قصة الذبح وفيها ورأى الله ان قد كثر فساد الآدميين في الارض فندم على خلقهم وقال سأذهب الآدمي الذي خلقت على الارض والخشاش وطيور السماء لاني نادم على خلقها جداً تعالى الله عن إفك المفترين وعما يقول الظالمون علواً كبيرا وفيها أن الله سبحانه وتعالى تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الارض وفيها ان يهودا بن يعقوب النبي زوج ولده الاكبر من امرأة يقال لها تامار فكان يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته فزوج يهودا ولده الآخر بها فكان اذا دخل بها أمنى على الأرض علماً بانه إن أولدها كان أول الاولاد يدعى باسم أخيه ومنسوباً الى أخيه فكره الله ذلك من فعله فأماته فأمرها

فيها ايضاً وسيكون لله الملك وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه واحد ويعنون بذلك انه لايظهر كون الملك له وكونه واحداً الا إذا صارت الدولة لهم فاما مادامت الدولة لغيرهم فانه تعالى خامل الذكر عند الامم مشكوك في وحدانيته مطعون في ملكه ومعلوم قطعا أن موسى ورب موسى بريء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات

(فصل) وجحدهم نبوة محمد من الكتب التي بأيديهم نظير جحدهم نبوة المسيح وقد صرحت باسمه في نص التوراة لا يزول الملك من آل يهودا والراسم من بين ظهرانيهم الى أن يأتي المسيح وكانوا أصحاب دولة حتى ظهر المسيح فكذبوه ورموه بالعظائم وبهتوه وبهتوا أمه فدمر الله عليهم وأزال ملكهم وكذلك قوله جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير عين نبوة المسيح وهم لاينكرون ذلك ويزعمون ان قائما يقوم فيهم من ولد داود النبي اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الامم ولا يبقى الا اليهود وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به قالوا ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معا وان البقرة والذئب يرعيان جميعا وان الاسد يأكل التبن كالبقر فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه وأقاموا ينتظرون متي يأكل الاسد التبن حتي تصح لهم علامة مبعث المسيح ويعتقدون أن هذا المنتظر متي جاءهم يجمعهم بأسرهم الى القدس وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من غيرهم ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة وقد عوضوا من الايمان بالمسيح ابن مريم انتظار مسيح الضلالة الدجال فانه هو الذي ينتظرونه حقاً وهم عسكره وأتبع الناس له ويكون لهم فى زمانه شوكة ودولة الى ان ينزل مسيح الهدي ابن مريم فيقتل منتظرهم ويضع هو واصحابه فيهم السيوف حتي يختبي اليهودي وراء الحجر والشجر فيقولان يامسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله فاذا نظف الارض منهم ومن عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معا ويربضان معا وترعي البقرة والذئب معا ويأكل الاسد التبن ويلقى الامن في الارض هكذا أخبر به شعيا في نبوته وطابق خبره ماأخبر به النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في خروج الدجال وقتل المسيح ابن مريم له وخروج يأجوج ومأجوج فى أثره ومحقهم من الارض وإرسال البركة والأمن في الارض حتي ترعي الشاة والذئب وحتي ان الحيات والسباع لا تضر الناس فصلوات الله وسلامه على من جاء بالهدي والنور وتفصيل كل شيء وبيانه وأهل الكتاب عندهم عن انبيائهم حق كثير لايعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه ولقد كمل الله سبحانه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ماأنزله على الانبياء عليهم السلام من الحق وبينه وأظهره لأمته وفصل على لسانه

التوراة فأن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم انها عين التوراة المنزلة على موسي بن عمران البتة لان موسي صان التوراة عن بنى اسرائيل ولم نبثها فيهم خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويل التوراة المؤدي الى انقسامهم أحزابا وانما سلمها الى عشيرته أولاد لاوي قال ودليل ذلك قول التوراة ماهذه ترجمته وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى أئمة بني لاوي وكانوا بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لان الامامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم ولم يبذ موسي من التوراة لبنى اسرائيل إلا نصف سورة وقال الله لموسي عن هذه السورة وتكون لي هذه السورة شاهدة على بنى اسرائيل ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم وأما بقية التوراة فدفعها الى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم فالائمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا عن التوراة فلما رأي عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة وقالوا فيها ما حكاه الله عنهم في كتابه وزعموا ان النور على الارض الي الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وان كان فيها أو أكثرها ماليس من التوراة التي أنزلها الله على موسى قال وهذا يدل على ان الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغي له ومالا يجوز عليه فلذلك نسب الى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه وهذا الرجل يعرف عند اليهود بعازر الوراق ويظن بعض الناس انه الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ويقول انه نبي ولا دليل على هاتين المقدمتين ويجب التثبت في ذلك نفياً واثباتاً فان كان هذا نبيا واسمه عزير فقد وافق صاحب التوراة في الاسم وبالجملة فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسي من هذه الاكاذيب والمستحيلات والترهات كما نقطع ببراءة صلاة موسي ونبي اسرائيل معه من هذا الذي يقولونه في صلاتهم اليوم فانهم في العشر الاول من المحرم في كل سنة يقولون في صلاتهم ما ترجمته يا أبانا أملك على جميع اهل الارض ليقول كل ذي نسمة الله إله اسرائيل قد ملك ومملكته في الكل متسلطة ويقول

﴿فصل﴾ فانرجع الى الجواب على طريق من يقول انهم غيروا الفاظ الكتب وزادوا ونقصوا كما اجبنا على طريق من يقول انما غيروا معانيها وتأولوها على غير تأويلها قال هؤلاء نحن لا ندعي ولا طائفة من المسلمين ممن يقول انه غير بعض الفاظها ان كل نسخة في العالم غيرت وبدلت بل من المسلمين من يقول انه غير بعض الفاظها قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرت بعض النسخ بعد مبعثه ولا أقولون انه غيرت كل نسخة في العالم بعد المبعث بل غير البعض وظهر عند كثير من الناس تلك النسخ المبدلة المغيرة دون التي لم تبدل والنسخ التي لم تبدل موجودة في العالم ومعلوم ان هذه مما لا يمكن نفيه والجزم بعدم وقوعه فانه لا يمكن احدا ان يعلم ان كل نسخة في العالم على لفظ واحد بسائر الالسنة ومن الذي احاط بذلك علماً او عقلا فاهل الكتاب يعلمون ان احداً لا يمكنه ذلك واما من قال من المسلمين ان التغيير وقع في اول الامر فانهم قالوا انه وقع اولا من عازر الوراق في التوراة في بعض الامور إما عمداً وإما خطأ فانه لم يقم دليل على عصمته ولا ان تلك الفصول التي جمعها من التوراة بعد احتراقها هي عين التوراة التي انزلت على موسى وقد ذكرنا ان فيها مالا يجوز نسبته الى الله وانه مما انزله على رسوله وكليمه وتركنا كثيراً لم نذكره وأما الانجيل فهي اربعة اناجيل اخذت عن اربعة نفر اثنان منهم لم يريا المسيح اصلا واثنان رأياه واجتمعا به وهما متى ويوحنا وكل منهم يزيد وينقص ويخالف انجيله انجيل اصحابه في اشياء وفيها ذكر القول ونقيضه كما فيه انه قال ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي وفي موضع آخر منه ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من اين جئت والى اين اذهب وفيه انه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال قد جزعت نفسي الآن فماذا اقول يا ابتاه سلمني من هذا الوقت وانه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحا عظيما وقال يا إلهي لم اسلمتني فكيف يجتمع هذا مع قولكم انه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا واخرج بذلك آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وجميع الانبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس وكيف يجزع إله العالم من ذلك وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي إختاره ورضيه وكيف يشتد صياحه ويقول يا إلهي لم اسلمتني وهو الذي أسلم نفسه وكيف لم يخلصه ابوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب واهله ام كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود وفيه ايضاً ان اليهود سألته ان يظهر لهم برهاناً انه المسيح فقال تهدمون هذا البيت يعني بيت المقدس وأبنيه لكم في

ما أجملوه لهم وشرح ما رمز اليهم فجاء بالحق وصدق المرسلين وتمت به نعمة الله على عباده المؤمنين فالمسلمون واليهود والنصاري تنتظر مسيحاً يجيءُ في آخر الزمان فمسيح اليهود هو الدجال ومسيح النصاري لا حقيقة له فانه عندهم إله وابن إله وخالق ومميت ومحي فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص المصنوع الذي صفعته اليهود وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول عيسي بن مريم أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله فيظهر دين الله وتوحيده ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق واضعاً يديه على منكبي ملكين يراه الناس عياناً بأبصارهم نازلا من السماء فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله صلي الله عليه وسلم ويحيي ما أماتوه وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما ابراهيم وملة سائر الانبياء وهي الاسلام الذي من يبتغي غيره ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقد حمل رسول الله صلي الله عليه وسلم من من أدركه من أمته السلام وامره أن يقرئه إياه منه فأخبر عن موضع نزوله بأي بلد وبأي مكان منه وبحالة وقت نزوله وملبسه الذي عليه وانه ممصرتان أي ثوبان واخبر بما يفعل عند نزوله مفصلا حتي كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه وهذا من جملة الغيوب التي اخبر بها فوقعت مطابقة لخبره حذو القذة بالقذة فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين ولا منتظر اخوانهم من الروافض المارقين وسوف يعلم المغضوب عليهم اذا جاء منتظر المسلمين انه ليس بابن يوسف النجار ولا هو ولد زانية ولا كان طبيباً حاذقاً ماهراً في صناعته استولى على العقول بصناعته ولا كان ساحراً مخرقا ولا مكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله بل كانوا أهون على الله من ذلك ويعلم الضالون انه ابن البشر وانه عبد الله ورسوله ليس باله ولا ابن الاله وانه بشر بنبوة محمد اخيه اولا وحكم بشريعته ودينه آخراً وانه عدو المغضوب عليهم والضالين وولي رسول الله واتباعه المؤمنين وما كان اولياء الارجاس الأنجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة في الحيطان إن اولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن اهل الاسلام والايمان الذين نزهوه وامه عما رماها به اعداؤها اليهود ونزهوا ربه وخالقه ومالكه وسيده عما رماه به أهل الشرك والسب للواحد المعبود

أمكن ذلك ثم اذا تواصوا على أن لايذكروا ذلك لعوامهم وأتباعهم أمكن ذلك وهذا واقع في العالم كثيراً فهؤلاء اليهود تواطئوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح وجحد البشارة به وتحريفها واشتهر ذلك بين طائفتهم في الارض مشارقها ومغاربها وكذلك تواطئوا على انه كان طبيبا ساحرا ممخرقا ابن زانية وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التي ارسل بها وعلمهم انه أبعد خلق الله مما رمي به وشاع ماتواطئوا عليه وملؤا به كتبهم شرقا وغرباً وكذلك تواطئوا على أن لوطاً نكح ابنتيه وأولدهما أولاداً وشاع ذلك فيهم جميعهم وتواطئوا على ان الله ندم وبكي على الطوفان وعض أنامله وصارع يعقوب فصرعه يعقوب وانه راقد عنهم وانهم يسئلونه أن ينتبه من رقدته وشاع ذلك في جميعهم وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال ممالكهم يصلون بها مما لم يعرف عن موسي ولا عن أحد من أتباعه كقولهم في صلاتهم اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعا من أربعة أقطار الارض الى قدسك سبحانك يا جامع تشتيت قومه اسرائيل وقولهم فيها أردد حكامنا منا كالأولين ومشيرتنا كالابتداء وابن أورشليم قرية قدسك في أيامنا كما واعدتنا بنائها سبحانك ياباني أورشليم ولم يكن موسي وقومه يقولون في صلاتهم شيئاً من ذلك وكذلك تواطؤهم على قولهم فى صلاتهم أول العام ماحكيناه عنهم وكذلك تواطؤهم على شرع صوم احراق بيت المقدس وصوم حصار وصوم كدليا وفرضهم ذلك وصوم صلب هامان وقد اعترفوا بأنهم زادوها لأسباب اقتضتها وتواطؤا بذلك على مخالفة مانصت عليه التوراة من قوله لاتزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً فتواطؤا على الزيادة والنقصان وتبديل أحكام الله كما تواطئوا على تعطيل فريضة الرجم على الزاني وهو في التوراة نصاً وكذلك تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده تمسكا منهم باليهودية وقد أكذبتهم التوراة وسائر النبواة ومن العجائب جحدهم على الله أن ينسخ ماشرعه لئلا يلزم البداء ثم يقولون أنه ندم وبكي على الطوفان وعاد في رأيه وندم على خلق الانسان وهذه مضارعة لاخوانهم من عباد الصليب الذين نزهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد ثم نسبوها الى الفرد الصمد ومن ذلك تواطؤهم على ان الملك يعود اليهم ويرجع الملك كله الى ملة اليهودية ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملك ومن ذلك تواطؤهم على تعطيل أحكام التوراة وفرائضها وتركها في جل أمورهم الا اليسير منها وهم معترفون بذلك وانه أكبر أسباب زوال ملكهم وعزهم فكيف ينكر من طائفة تواطئت على تكذيب المسيح وجحد نبوته وبهته وبهت أمه والكذب الصريح على الله وعلى أنبيائه وتعطيل أحكام الله والاستبدال بها وعلي قتلهم أنبياء الله ان يتواطؤا على

ثلاثة أيام فقالوا له بيت مبني في خمس وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام ثم ذكرتم في الانجيل أيضا انه لما ظفرت به اليهود وحمل الى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة أن شاهدي زور جاءا اليه وقالا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام فيالله العجب كيف يدعي ان تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور وفيه أيضاً لوقا ان المسيح قال لرجلين من تلامذته إذهبا الى الحصن الذي يقابلكما فاذا دخلتماه فستجدان فلواً مربوطاً لم يركبه أحد فحلاه واقبلا به الي ثم قال في انجيل متى في هذه القصة انها كانت حمارة متبعة وفيه انه قال لا تحسبوا اني قدمت لأصلح بين أهل الارض لم آت لصلاحهم لكن لأ لقي المحاربة بينهم انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتى تصير أعداء المرء أهل بيته ثم فيه أيضا انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس وانه قال من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر وفيه أيضاً انه قال طوبالك ياشمعون رأس الجماعة وأنا أقول انك الحجر وعلى هذا الحجر تبني بيعتي فكلما أحللته على الارض يكون محالا في السماء وما عقدته على الارض يكون معقوداً في السماء ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول اذهب عني ياشيطان ولا تعارض فانك شيطان جاهل فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السموات وفي الانجيل نص انه لم تلد النساء مثل يحيى هذا في انجيل متى وفي انجيل يوحنا ان اليهود بعثت الى يحيى من يكشف عن أمره فسألوه من أنت أهو المسيح قال لا أنت الياس قال لا قالوا أنت نبي قال لا قالوا أخبرنا من أنت قال أنا صوت مناد في المفاوز ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فانه يكون مخبراً بالكذب ومن العجب ان في انجيل متى نسبة المسيح الى انه ابن يوسف النجار ثم عد الى ابراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً ثم نسبه لوقا أيضاً في انجيله الى يوسف وعد منه الى ابراهيم نيفا وخمسين أباً فبينا هو إله تام إذ صيروه إبن الاله ثم جعلوه ابن يوسف النجار والمقصود ان هذا الاضطراب في الانجيل يشهد بان التغيير وقع فيه قطعاً ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله بل الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على ان ذلك الاختلاف من عند غير الله وأنت اذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل وكذلك نسخ الزبور مختلفة جدا ومن المعلوم ان نسخ التوراة والانجيل انما هي عند رؤساء اليهود والنصارى وليست عند عامتهم ولا يحفظونها في صدورهم كحفظ المسلمين للقرآن ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطئ على تغيير بعض النسخ ولا سيما اذا كان بقيتهم لا يحفظونها فاذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم

وقوعه ولا يتوقف تصديق النبي عليه بل يجب تصديقه بدونه وان كان لازماً علم قطعا أنه قد وقع وعدم نقله الينا لايدل على عدم وقوعه إذلايلزم من وجود الشيء نقله العام ولا الخاص وليس كلما أخبر به تعالى والمسيح وغيرهما من الانبياء المتقدمين وصل الينا وهذا مما يعلم بالاضطرار فلو قدر ان البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم ليست في الكتب الموجودة بأيديكم لم يلزم أن لا يكون المسيح وغيره بشر به ولم ينفك ويمكن أن يكون في كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم فلم يزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها الا بعض خاصتهم فضلا عن جميع عامتهم ويمكن انه كان في بعضها فأزيل منه وبدل ونسخت النسخ من هذه التى قد غيرت واشتهرت بحيث لايعرف غيرها وأخفى أمر تلك النسخ الاولى وهذا كله ممكن لاسيما من الامة التي تواطأت على تبديل دين نبيها وشريعته هذا كله على تقدير عدم البشارة به في شيء من كتبهم أصلا ونحن قد ذكرنا من البشارات التى في كتبهم مالا يمكن لمن له أدنا معرفة منهم جحده والمكابرة فيه وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعاعهم وجهالهم

﴿ الوجه الثاني ﴾ أن عبد الله بن سلام قد قابل اليهود ووافقهم بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم على ان ذكره ونعته وصفته فى كتبهم وانهم يعلمون انه رسول الله وقد شهدوا بانه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم فلم يضر قولهم بعد ذلك انه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم كما اذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعدله وقال إنه مقبول الشهادة عدل رضى لايشهد الا بالحق وشهادته جائزة على فلما أدي الشهادة قال انه كاذب شاهد زور ومعلوم ان هذا لايقدح في شهادته واما كعب الاحبار فقد ملأ الدنيا من الاخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى وأذن بها على رؤس الملاء صدقه مسلموا أهل الكتاب عليها وأقروا على ما أخبر به وانه كان أوسعهم علما بما في كتب الانبياء وقد كان الصحابة يمتحنون ماينقله ويزنونه بمايعرفون صحته فيعلمون صدقه وشهدوا له بانه اصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم فهم ونحن اليوم ننوب عن عبدالله بن سلام وقد او جدناكم هذه البشارات فى كتبكم فهي شاهدة لنا عليكم والكتب بايديكم فأتوا بها فاتلوها ان كنتم صادقين وعندنا ممن وفقه الله للاسلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحاققكم عليها والا فاشهدوا علي أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون به عليكم من الكفر والتكذيب والجحد للحق ومعاداة الله ورسوله

تحريف بعض التوراة وكتمان نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته فيها * واما امة الضلال وعباد الصليب والصور المزوقة في الحيطان واخوان الخنازير وشاتموا خالقهم ورازقهم اقبح شتم وجاعلوه مصفعة اليهود وتواطؤهم على ذلك وعلى ضروب المستحيلات وانواع الاباطيل فلا إله إلا الله الذي ابرز للوجود مثل هذه الامة التي هي أضل من الحمير ومن جميع الانعام السائمة وخلى بينهم وبين سبه وشتمه وتكذيب عبده ورسوله ومعاداة حزبه وأوليائه وموالاة الشيطان والتعوض بعبادة الصور والصلبان عن عبادة الرحمن وعن قول الله أكبر بالتصايب على الوجه وعن قراءة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين باللهم اعطنا خبزنا الملائم لنا وعن السجود للواحد القهار بالسجود للصور المدهونة في الحائط بالاحمر والاصفر واللازورد فهذا بعض شأن هاتين الأمتين اللتين عندهما آثار النبوة والكتاب فما الظن بسائر الامم الذين ليس عندهم من النبوة والكتاب حس ولا خبر ولا عين ولا أثر * قال السائل إن قلتم ان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين اسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شاهدة علينا والجواب من وجوه

(أحدها) ان شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة جداً ونعته وصفته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها وجمهور أهل الارض لم يكن اسلامهم من الشواهد والاخبار التي في كتبهم وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها والآيات التي شاهدوها وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية عاضدة من باب تقوية البينة وقد تم النصاب بدونها فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم يتوقف اسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الانصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله عليه وسلم وامته ومخرجه فلما عاينوه وأبصروه وعرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود فسبقوهم اليه فشرق أعداء الله بريقهم وغصوا بمائهم وقالوا ليس هذا الذي كنا نعدهم به فالعلم بنبوة محمد والمسيح وموسى لا يتوقف على العلم بها فاذا عرفت النبي صلى الله عليه وسلم بطريق من الطرق ثبتت نبوته ووجب اتباعه وان لم يكن من قبله بشر به فاذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين فاما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته واما أن لا يكون لازماً فان لم يكن لازماً لم يجب

والجزية ( الثاني ) أنه قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وان كان من جملة الاغراض بل منهم من حمله ذلك ومنهم من حمله الحسد ومنهم من حمله الكبر ومنهم من حمله الهوى ومنهم من حمله محبة الفه للدين الذي نشأ عليه وجبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الانسان ما يطبع عليه وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولى على أكثر بني آدم في إيثارهم مااعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ماهو خير منه وأرفق بكثير ومنهم من حمله التقليد والجهل وهم الاتباع الذين ليس لهم علم ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب فلم ينسب هاتين الامتين الى الغرض المذكور وحده ( الثالث ) إنا قد بينا ان الامم الذين كانوا عليهم كانوا أكثر عدداً وأغزر عقولا منهم وكلهم اختاروا العمى على الهدى والكفر على الايمان وبعد البصيرة فلهاتين الأمتين سلف كثير وهم أكثر الخلق ( الرابع ) ان عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا في وقت شدة من الامر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الارض مطبقون على عداوتهم واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ ذاك قد أووا الى المدينة واعداؤهم يتطلبونهم في كل وجه وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثا في غار تحت الارض ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق الى أن قدموا المدينة والشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه وترك الاغراض التي منعت المغضوب عليهم من الاسلام من الرياسة والمال والجاه بينهم وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم فعلم أنهم إن علموا باسلامه اخرجوه من تلك الرياسة والسيادة فأحب ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أدخلني بعض بيوتك وسلهم عني ففعل وسألهم عنه فاخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على انهم يعلمون انه رسول الله وقابلهم بذلك فسبوه وقدحوا فيه وانكروا رياسته وسيادته وعلمه فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البهت وهكذا شأن من اسلم من اليهود حينئذ واما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته وقال ان هؤلاء القوم قد عظمونا ورأسونا وولونا

﴿ الوجه الثالث ﴾ انه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة بغاية البيان والصراحة لكان في بهتكم وعنادكم وكذبكم مايدفع في وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ماوجد اليه سبيلا فاذا جاءكم مالاقبل لكم به قلتم ليس به ولم يأت بعد وقلتم نحن لانفارق حكم التوراة ولا نتبع نبي الاميين وقد صرح اسلافكم الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاينوه أنه رسول حقا وانه المبشر به الموعود على ألسنة الانبياء المتقدمين وقال من قال له منهم في وجهه نشهد انك نبي فقال ما يمنعكم من اتباعي قالوا إنا نخاف أن يقتلنا يهود وقد قال تعالى ( ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ) وقد جاءكم بآيات هي أعظم من بشارات الانبياء به وأظهر بحيث كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق فلو أنزل الله اليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم الى ماسبق لكم في أم الكتاب وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الانبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً فاسلافكم وقدوتكم في تكذيب الانبياء من الامم لايحصيهم إلا الله حتى كأنكم تواصيتم بذلك وأوصى به الاول للآخر واقتدى به الآخر بالاول وقال تعالى ( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ) وهمنا ضربنا عن أخبار الانبياء المتقدمين به صفحاً أفليس في الآيات والبراهين التي ظهرت على يديه مايشهد بصحة نبوته وسنذكر منها بعد الفراغ من الاجوبة طرفا يقطع المعذرة ويقيم الحجة والله المستعان * قال السائل انكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين الى اختيار الكفر على الايمان للغرض المذكور فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض لأنهم قليلون جداً وأضداده كثيرون لايحصيهم عدد والجواب من وجوه (أحدها) إنا قد بينا أن جمهور هاتين الامتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملأ الارض وهذه الشام ومصر وما جاورها واتصل بهما من أعمالهما والجزيرة والموصل وأعمالهما وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين فالمتخلف من هاتين الامتين عن الايمان به أقل القليل بالاضافة الى من آمن به وصدقه وهؤلاء عباد الاوثان كلهم أطبقوا على الاسلام الا من كان منهم في أطراف الارض بحيث لم تصل اليه الدعوة وهذه أمة المجوس توازي هاتين الامتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا في دينه وبقي من بقي منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة

والفعل والتنفير عنه بكل طريق فما نقل عن أحد منهم سورة واحدة عارضه بها الا مسيلمة الكذاب بمثل قوله ياضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين ومثل والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً فالخابزات خبزاً اهالة وسمناً وأمثال هذه الالفاظ التي هي بالفاظ أهل المجون والمتوهين أشبه منها بالفاظ العقلاء فالمسلمون انما بنوا أساس دينهم ومعالم حلالهم وحرامهم على الكتاب الذي لم ينزل من السماء كتاب أعظم منه فيه بيان كل شيء وتفصيل كل شيء وهدي ورحمة وشفاء لما في الصدور به هدى الله رسوله وأمته فهو أساس دينهم *(الثاني) أن قولكم ان المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة من أعظم البهت وأفحش الكذب فانهم وان كانوا أميين فقد بعث الله فيهم رسوله ذكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وفضلهم في العلم والعمل والهدي والمعارف الالهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الامم فلم تبق أمة من الامم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم فلو قيس ماعند جميع الامم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة الى ماعندهم لم يظهر له نسبة اليه بوجه ما وان كان غيرهم من الامم أعلم بالحساب والهندسة والكم المتصل والكم المنفصل والنبض والقارورة والبول والقسطه ووزن الانهار ونقوش الحيطان ووضع الآلات العجيبة وصناعة الكيميا وعلم الفلاحة وعلم الهيئة وتسيير الكواكب وعلم الموسيقا والالحان وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد * فان أردتم أن الصحابة كانوا عواماً في هذه العلوم فنعم اذاً (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) وإن أردتم أنهم كانوا عواماً في العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ودينه وشرعه وتفاصيله وتفاصيل مابعد الموت وعلم سعادة النفوس وشقاوتها وعلم صلاح القلوب وأمراضها فمن بهت نبيهم بما بهته به وجحد نبوته ورسالته التي هي للبصائر أظهر من الشمس للأبصار لم ينكر له أن يبهت أصحابه ويجحد فضلهم ومعرفتهم وينكر ما خصهم الله به وميزهم على من قبلهم ومن هو كائن من بعدهم الى يوم القيامة وكيف يكونون عواماً في ذلك وهم أذكى الناس فطرة وأزكاهم نفوساً وهم يتلقونه غضاً طرياً ومحضاً لم يشب عن نبيهم وهم أحرص الناس عليه وأشوقهم اليه وخبر السماء يأتيهم على لسانه في ساعات الليل والنهار والحضر والسفر وكتابهم قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين وعلم ما كان من المبدأ والمعاد وتخليق العالم وأحوال الامم الماضية والانبياء وسيرهم وأحوالهم مع أممهم ودرجاتهم في منازلهم عند الله وعددهم وعدد المسلمين منهم وذكر كتبهم وأنواع العقوبات التي عذب الله

فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عياناً ولقد ناظرت بعض علماء النصاري معظم يوم فلما تبين له الحق بهت فقلت له وأنا وهو خاليين مايمنعك الآن من إتباع الحق فقال لى اذا قدمت على هؤلاء الحمير فرشوا الشقاق تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به وأنا لا اعرف صنعة ولا احفظ قرآنا ولا نحواً ولا فقهاً فلو أسلمت لدرت في الاسواق اتكفف الناس فمن الذي يطيب نفساً بهذا فقلت هذا لا يكون وكيف تظن بالله انك اذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويحوجك ولو فرضنا ان ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه اتم العوض عما فاتك فقال حتي يأذن الله فقلت القدر لايحتج به ولوكان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به فقال دعنا الآن من هذا وأمسك (الخامس) ان جوابك في نفس سؤالك فانك أعترفت ان عبد الله بن سلام وذويه كانوا قليلين جداً وأضدادهم لايحصون كثرة ومعلوم ان الغرض الداعي لموافقة الجمهور الذين لايحصون كثرة وهم أولوا القوة والشوكة أقوي من الغرض الداعي لموافقة الأقلين المستضعفين والله الموفق

(فصل) قال السائل تدخل علينا الريبة من جهة عبدالله بن سلام وأصحابه وهو انكم قد بنيتم أ كثر شرائعكم في الحلال والحرام والامر والنهى على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم فابن سلام هو وأصحابه أولى ان يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم لانهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والامر والنهي الا شيئاً يسيراً جداً وهو ضعيف عندكم والجواب من وجوه* (أحدها) ان هذا بهت من قائله فانا لم نبن أساس شريعتنا في الحلال والحرام والامر والنهي الا على كتاب ربنا المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي تحدي به الامم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو في غاية الضعف وأعداؤها طبق الارض أن يعارضوه بمثله فيكونوا أولى بالحق منه ويظهر لديه صدقهم فعجزوا عن ذلك فتحداهم بان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا فتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا هذا وأعداؤه الادنون اليه أفصح الخلق وهم أهل البلاغة والفصاحة واللسن والنظم والنثر والخطب وأنواع الكلام فما منهم من فاه في معارضته ببنت شفة وكانوا احرص الناس على تكذيبه وأشدهم أذي له بالقول

من ربك هو الحق ) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولما حضر معاذ الموت قيل له أوصنا قال أجلسوني ان العلم والايمان عند أربعة رهط عند عويمر أبي الدرداء وعند سلمان الفارسي وعند عبد الله بن مسعود وعند عبد الله بن سلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر عشرة في الجنة * وقال أبو اسحق السبيعي قال عبد الله علماء الارض ثلاثة فرجل بالشام وآخر بالكوفة وآخر بالمدينة فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة والذي بالمدينة لا يسألهما عن شئ * وقيل لعلي بن أبي طالب حدثنا عن أصحاب رسول الله عليه وسلم قال عن أيهم قال عن عبد الله بن مسعود قال قرأ القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى بذلك قالوا فحدثنا عن حذيفة قال أعلم أصحاب محمد بالمنافقين قالوا فأبو ذر قال كنيف ملأ علماً عجز فيه قالوا فعمار قال مؤمن نسي اذا ذكرته ذكر خالط الله الايمان بلحمه ودمه ليس للنار فيه نصيب قالوا فأبو موسى قال صبغ في العلم صبغة قالوا فسلمان قال علم العلم الاول والآخر بحر لا ينزح هو منا أهل البيت قالوا فحدثنا عن نفسك يا أمير المؤمنين قال إياها أردتم كنت اذا سئلت أعطيت واذا سكت ابتديت وقال مسروق شافهت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم ينتهي الى ستة الى علي وعبد الله وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ثم شافهت الستة فوجدت علمهم ينتهي الى علي وعبد الله * وقال مسروق جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا كالاخاذ الاخاذ يروي الراكب والاخاذ يروي الراكبين والاخاذ العشرة والاخاذ لو نزل به أهل الارض لأصدرهم وان عبد الله من تلك الاخاذ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر فقالوا فما أولت ذلك يارسول الله قال العلم * وقال عبد الله أرى أن عمر بن الخطاب قد ذهب بتسعة أعشار العلم * وقال عبد الله إني لأحب عمر ولو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان ووضع علم أهل الارض في كفة لرجح علم عمر * وقال حذيفة بن اليمان كأن علم الناس مع علم عمر دس في جحر * وقال الشعبي قضاة هذه الامة أربعة عمر وعلي وزيد وأبو موسى * وقال قبيصة بن جابر ما رأيت رجلا قط أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله من عمر * وقال علي بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء فقلت انك ترسلني الى قوم يكون فيهم الاحداث وليس لي علم بالقضاء قال فضرب في صدري وقال ان الله سيهديك ويهدي قلبك ويثبت لسانك قال فما شككت في قضاء بين اثنين بعده * وفي

بها أعداءهم وما أكرم به اتباعهم وذكر الملائكة وأصنافهم وأنواعهم وما وكلوا به واستعملوا فيه وذكر اليوم الآخر وتفاصيل أحواله وذكر الجنة وتفاصيل نعيمها والنار وتفاصيل عذابها وذكر البرزخ وتفاصيل أحوال الخلق فيه وذكر اشراط الساعة والاخبار بها مفصلا بما لم يتضمنه كتاب غيره من حين قامت الدنيا والى أن يرث الله الارض ومن علمها كما أخبر به المسيح عنه من قوله في الانجيل وقد بشرهم به فقال وكل شيء أعده الله تعالى لكم يخبركم به وفي موضع آخر منه ويخبركم بالحوادث والغيوب وفي موضع آخر ويعلمكم كل شي وفي موضع آخر منه يحيي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء وأجيئكم بالامثال وهو يجيئكم بالتأويل وفي موضع آخر إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم الى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكلما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فمن هذا علمه بشهادة المسيح وأصحابه يتلقون ذلك جميعه عنه وهم أذكى الخلق وأحفظهم وأحرصهم كيف تدانيهم أمة من الامم في هذه العلوم والمعارف ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبهم حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى وصعد فخطبهم حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى وخطبهم حتى حضرت المغرب فلم يدع شيئاً الى قيام الساعة الا أخبرهم به فكان أعلمهم أحفظهم وخطبهم مرة أخرى خطبة فذكر بدأ الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم وقال يهودى لسلمان لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرأة قال أجل فهذا اليهودي كان أعلم نبينا من هذا السائل وطائفته وكيف يدعى في أصحاب نبينا أنهم عوام وهذه العلوم النافعة المبثوثة في الامة على كثرتها واتساعها وتفنن ضروبها إنما هي عنهم مأخوذة ومن كلامهم وفتاويهم مستنبطة وهذا عبد الله بن عباس كان من صبيانهم وفتيانهم وقد طبق الارض علماً وبلغت فتاويه نحواً من ثلاثين سفراً وكان بحراً لا ينزف لو نزل به أهل الارض لاوسعهم علماً وكان اذا أخذ في الحلال والحرام والفرائض يقول القائل لا يحسن سواه فاذا أخذ في تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع لايحسن سواه فاذا أخذ في السنة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه فاذا أخذ في القصص وأخبار الامم وسير الماضين فكذلك فاذا أخذ في أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك فاذا أخذ في الشعر والغريب فكذلك * قال مجاهد العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وقال قتادة في قوله تعالى ( ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك

الله عليه وسلم أن يزيده الله علماً وفقهاً * وقال عبد الله بن مسعود لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ماعشره منا رجل أي مابلغ عشره * وقال ابن عباس ماسألني أحد عن مسئلة إلا عرفت أنه فقيه أو غير فقيه وقيل له أني أصبت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وكان يسمى البحر من كثرة علمه * وقال طاوس أدركت نحو خمسين من أصحاب رسول الله اذا ذكر لهم ابن عباس شيئاً فخالفوه لم يزل بهم حتى يقررهم * وقال الاعمش كان ابن عباس إذا رأيته قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا حدث قلت أعلم الناس * وقال مجاهد كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه النور * وقال ابن سيرين كانوا يرون أن الرجل الواحد يعلم من العلم مالا يعلمه الناس أجمعون * وقال ابن عون فكأنه رآني أنكرت ذلك قال فقال أليس أبو بكر كان يعلم مالا يعلم الناس ثم كان عمر يعلم مالا يعلم الناس * وقال عبد الله بن مسعود لو وضع علم أحياء العرب في كفة وعلم عمر في كفة لرجح بهم علم عمر قال الاعمش فذكرت ذلك لابراهيم فقال عبد الله إنا كنا لنحسبه قد ذهب بتسعة أعشار العلم * وقال سعيد بن المسيب ماأعلم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من عمر بن الخطاب وقال الشعبي قضاة الناس أربعة عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى الاشعري * وكانت عائشة رضي الله عنها مقدمة في العلم بالفرائض والسنن والأحكام والحلال والحرام والتفسير * قال عروة بن الزبير ماجالست أحداً قط كان أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا طب من عائشة * وقال عطاء كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس * وقال البخاري في تاريخه روى العلم عن أبي هريرة ثمانمائة رجل مابين صاحب وتابع * وقال عبد الله بن مسعود إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه لرسالته ثم نظر في قلوب العباد فاصطفى من بعد قلب محمد قلوب أصحابه فجعلوا وزراءه * وقال ابن عباس في قوله تعالى ( قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن مسعود من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فان الحي لايؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لاقامة دينه وصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم * وقد أثنى سبحانه عليهم بما لم يثنه على أمة من قبلهم من الأمم سواهم فقال تعالى ( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ) أي عدولا خياراً ( لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ) وقال تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس

الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال لي ياغلام هل من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال فهل من شاة لم ينز عليها الفحل قال فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص قال ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول فمسح رأسي قال رحمك الله انك غليم معلم * وقال عتبة بن عامر ما أرى أحداً أعلم بما أنزل على محمد من عبد الله فقال أبو موسى إن تقل ذلك فانه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل * وقال مسروق قال عبد الله ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما انزلت ولو إني أعلم أن رجلا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل والمطايا لأتيته * وقال عبد الله بن بريدة في قوله عز وجل ( حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً ) قال هو عبد الله بن مسعود * وقيل لمسروق كانت عائشة تحسن الفرائض قال والله لقد رأيت الأكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئلونها عن الفرائض * وقال أبو موسى ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً * وقال شهر بن حوشب كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا اليه هيبة له * وقال عليّ بن أبي طالب أبو ذر وعاء ملئ علماً ثم وكى عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض * وقال مسروق قدمت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم ولما بلغ أبا الدرداء موت عبد الله بن مسعود قال أما إنه لم يخلف بعده مثله * وقال أبو الدرداء إن من الناس من أوتى علماً ولم يؤت حلماً وشداد بن أوس ممن أوتي علماً وحلماً ولما مات زيد بن ثابت قام ابن عباس على قبره وقال هكذا يذهب العلم * وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس وقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب * وقال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس لقد مات رباني هذه الأمة * وقال عبد الله بن عتبة ما رأيت أحداً أعلم بالسنة ولا أجلد رأياً ولا أثقب نظراً حين ينظر من ابن عباس * وكان عمر بن الخطاب يقول له قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها ثم يقول عبد الله وعمر عمر في جده وحسن نظره للمسلمين * وقال عطاء بن أبي رباح مارأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاً وأعظم جفنة إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر يصدرهم كلهم في واد واسع * وكان عمر بن الخطاب يسأله مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له رسول الله صلى

من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء * وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى بانهم خير القرون على الاطلاق كما شهد لهم ربهم تبارك وتعالى بانهم خير الأمم على الاطلاق وعلماؤهم وتلاميذهم هم الذين ملأوا الأرض علماً فعلماء الاسلام كلهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وهلم جرا وهؤلاء الأئمة الأربعة الذين طبق علمهم الارض شرقاً وغرباً هم تلاميذ تلاميذهم وخيار ماعندهم ما كان عن الصحابة وخيار الفقه ما كان عنهم وأصح التفسير ما أخذ عنهم ٠٠ وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب فمن وقف عليه وعرف ماقالته الأنبياء عرف انه مشتق منه مترجم عنه وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم وهؤلاء تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم قد طبقت تصانيفهم وفتاويهم الارض فهذا مالك جمعت فتاويه في عدة أسفار وكذلك أبو حنيفة وهذه تصانيف الشافعي تقارب المائة وهذا الامام أحمد بلغت فتاويه وتآليفه نحو مائة سفر وفتاويه عندنا في نحو عشرين سفراً وغالب تصانيفه بل كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وهذا غلامهم المتأخر شيخ الاسلام ابن تيمية جمع بعض أصحابه فتاواه في ثلاثين مجلداً ورأيتها في الديار المصرية وهذه تآليف أئمة الاسلام التي لايحصيها إلا الله وكلهم من أولهم الى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل ويعترف بان علمه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة الى علم نبيهم *وفي الثقفيات حدثنا قتيبة بن سعيد عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه أن كعباً رأى حبر اليهود يبكي فقال له مايبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله أتجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني اجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط حمد الله الصعيد طهورهم والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) وقال ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ) وقال تعالى ( ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) وهم محمد وأصحابه *وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزوجل* وقال تعالى ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ) * وقال مالك عن نافع كان ابن عباس وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج وكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل مايسأل عنه وكان ابن عمر يرد أكثر ممايفتي * قال مالك وسمعت أن معاذ ابن جبل إمام العلماء بربوة يعني يكون أمامهم يوم القيامة برمية حجر* وقال مالك أقام ابن عمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين وقال عمر لجرير يرحمك الله إن كنت لسيداً في الجاهلية فقيهاً في الاسلام * وقال محمد بن المنكدر ماقدم البصرة أحد أفضل من عمران بن حصين * وكان لجابر بن عبد الله حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ عنه العلم وإنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد والقلوب بالعلم والقرآن فملؤا الدنيا خيراً وعلماً والناس اليوم في بقايا أثر علمهم * قال الشافعي في رسالته وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثني عليهم ثم قال وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا ومن أدركنا ممن نرضي أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم ان اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا وكذلك نقول ولم نخرج من أقاويلهم كلهم * وقال الشافعي وقد أثني الله على الصحابة في التوراة والانجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم صلي الله عليه وسلم من الفضل ماليس لأحد بعدهم * وقال أبو حنيفة إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ولم نخرج عنه* وقال ابن القاسم سمعت مالكا يقول لما دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام نظر اليهم رجل

كأنبياء بني اسرائيل وفيه حديث مرفوع لا أعرف حاله * ثم نقول وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصلبان وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم وتسمي هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبياء بني اسرائيل وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم ومعدود في زمرتهم فأما طائفة شبه الله علماءهم بالحمير التي تحمل أسفارا وطائفة علماؤها يقولون في الله مالا ترضاه أمة من الأمم فيمن تعظمه وتجله وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه فمثلها مثل عريان يحارب شاكي السلاح ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ماقال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام فليهن أمة الغضب علم المشنا والتلمود وما فيهما من الكذب على الله وعلى كليمه موسى وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت وليهنهم علوم دلتهم على أن الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه وبكي على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة ودلتهم على أن يناجوا في صلاتهم بقولهم يا إلهنا إنتبه من رقدتك كم تنام يخونه حتى يتحمي لهم وينقذ دولتهم وليهن أمة الضلال علومهم التي فارقوا بها جميع شرائع الأنبياء وخالفوا بها المسيح خلافاً تحققه علماؤهم في كل أمره كما ستمر بك وعلومهم التي قالوا بها في رب العالمين ماقالوا مما كادت السموات تنشق منه والأرض تنفطر والجبال تهد لولا إن أمسكها الحليم الصبور وعلومهم التي دلتهم على التثليث وعبادة خشبة الصلب والصور المدهونة بالسيرقون والزنجفر ودلتهم على قول عالمهم أفريم أن اليد التي جبلت طينة آدم هي التي علقت على الصلبوت وأن البشر الذي ذرعت به السموات هو الذي سمر على الخشبة وقول عالمهم عريقودس من لم يقل ان مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله * قال السائل نري في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه كالزنا واللواط والخيانة والحسد والبخل والغرور والجبن والتكبر والخيلاء وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية وكثرة الهلع والتكالب على الدنيا والكسل في الخيرات وهذا الحال يكذب لسان المقال والجواب من وجوه • أحدها أن يقال ماذا على الرسل الكرام من معاصي أممهم وأتباعهم وهل يقدح ذلك شيئاً في نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم وهل هذا إلا من أقبح التعنت وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب تنال به غاية عافيته فقال لو كنت طبيباً لم يكن فلان

من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسي قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله أتجد في كتاب الله ان موسي نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب فاصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة احمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله أتجد في كتاب الله ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يصفون فى صلاتهم كصفوف الملائكة اصواتهم فى مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد إلا من بريء من الحسنات مثل ما بريء الحجر من ورق الشجر قال موسى فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم فلما عجب موسي من الخير الذي أعطي الله محمداً وأمته قال ليتني من أصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات برضيه بهن ياموسي إني اصطفيتك على الناس الآية * ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق وبه يعدلون * وكتبنا له في الألواح الآية قال فرضي موسي كل الرضا وهذه الفصول بعضها في هذه التوراة التي بايديهم وبعضها في نبوة شعيا وبعضها في نبوة غيره والتوراة أعم من التوراة المعينة وقدكان الله سبحانه كتب لموسي في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فلما كسرها رفع منها الكثير وبقي خير كثير فلا يقدح في هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به فلا زال في العلم الموروث عن الانبياء شيء لايعرفه الا الآحاد من الناس أو الواحد وهذه الامة على قرب عهدها بنبيها في العلم الموروث عنه مالا يعرفه الا الافراد القليلون جداً من أمته وسائر الناس منكر له وجاهل به *وسمع كعب رجلا يقول رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا للحساب فدعي الأنبياء فجاء مع كل نبي أمة ورأيت لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نوراً يمشي بين يديه فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب من حدثك بهذا قال رؤيا رأيتها في منامي قال أنت رأيت هذا فى منامك قال نعم قال والذي نفسي بيده إنها لصفة محمد وأمته وصفة الانبياء وأممهم لكأنما قرأتها من كتاب الله *وفى بعض الكتب القديمة ان عيسي بن مريم صلوات الله وسلامه عليه قيل له ياروح الله هل بعد هذه الامة أمة قال نعم قيل وأية أمة قال أمة أحمد قيل ياروح الله وماأمة أحمد قال علماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضي الله منهم باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله * وقال كعب علماء هذه الامة

والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هرون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم ولما ندبهم الى الجهاد قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وآذوا موسي انواع الأذى حتي قالوا إنه آدر (أي منتفخ الخصية) ولهذا يغتسل وحده واغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرياناً حتي نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه احسن خلق الله متجرداً ولما مات اخوه هرون قالوا إن موسى قتله وغيبه فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء والارض حتى عاينوه ميتاً وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس هكذا عندهم والذي حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك علي المن والسلوي وإنهما كهم على الزنا وموسي بين اظهرهم وعدوهم بازائهم حتي ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم وهذا معروف عندهم وعبادتهم الاصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف وتحيلهم على صيد الحيتان في يوم السبت لا ننسه حتي مسخوا قردة خاسئين وقتلهم الأنبياء بغير حق حتي قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً في أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنما وذلك أمر معروف وقتلهم يحيي بن زكريا ونشرهم أباه بالمنشار وإصرارهم على العظام واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ورميهم لوطاً بانه وطئ ابنتيه وأولدها ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتي انشق الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب وهذا لو رآه أشقى الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتهما الى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان وقتل منهم في معركة واحدة ألوف مؤلفة أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم أولا تستحي ذرية قتلة الانبياء من تعيير المجاهدين لاعداء الله فاين ذرية من سيوف آبائهم تقطر من دماء الانبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين أولا يستحي من يقول في صلاته لربه انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك ينخيه بذلك ويحميه من تعيير من يقول في صلاته الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال والتراب والانفاس ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت الى قول إخوان القرود إن الله فقير ونحن أغنياء وقولهم عزير ابن الله وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم ان الله بكي على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده وقولهم أنه عض أنامله على ذلك وقولهم أنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأي من

وفلان وفلان مرضي وهل يلزم الرسـل أن يشفوا جميع المرضي بحيث لايبقي في العالم مريض هل يمنت أحد من الناس الرسل بمثل هـذا التمنت • الوجه الثاني أن الذنوب والمعـاصي أمر مشـترك بين الأمم لم يزل في العالم من طبقات بني آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم في الدنيا وراغبهم وآمرهم ومأمورهم وليس ذلك أمراً خصصت به هـذه الأمة حتى يقدح به فيها وفى نبيها • الوجـه الثالث أن الذنوب والمعاصي لاتنافى الايمان بالرسل بل يجتمع في العبد الاسلام والايمان والذنوب والمعاصي فيكون فيه هذا وهذا فالمعاصي لاتنافي الايمان بالرسـل وان قدحت في كماله وتمـامه • الوجه الرابع أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصا ثم تاب منها تاب الله عليه قال تعالى ( قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ) فهذا في حق التائب فان التوبة تجب ماقبلها والتائب من الذنب كمن لاذنب له والتوحيد تكفير الذنوب كما فى الحديث الصحيح الالهي ابن آدم لولقيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة فالمسلمون ذنوبهـم ذنوب موحد إن قوي التوحيد على محو آثارها بالكلية وإلا فمـا معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم وأما المشركون والكفار فان شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة ولا يكفر لهم شيء من ذنوبهم قال تعالى ( إن الله لايغـفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ) وقال تعالى في حق الكفار والمشركين ( وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الله أن يقبل من مشرك عملا فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح والتوحيد الخالص والحسنات المـاحية والمصائب المكفرة لها وشـفاعة الشافعين في الموحدين في آخر ذلك إذا عذب بما يبقي عليه منها أخرجه توحيده من النار وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فانه يحبط جميع الحسنات بحيث لاتبقى معه حسنة • الوجه الخامس أن يقال لمورد هـذا السؤال إن كان من الأمة الغضبية إخوان القرود ألا يستحي من إيراد هـذا السؤال من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات مالم يره غـيرهم من الأمم وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتي قالوا لموسي اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ وغلب أخوه هرون معهم ولم يقـدر على الانكار عليهم وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات

بأن تحريم مؤاكلتهم ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة الى المناكحة والمناكحة قد تستتبع الانتقال من دينهم الى دينهم وموافقتهم في عبادة الاوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة اختلقوا كتابا سموه هلكث شحيطا وتفسيره علم الذباحة ووضعوا في هذا الكتاب من الآصار والاغلال ماشغلوهم به عما هم من الذل والصغار والخزي فامروهم فيه أن ينفخوا الرئة حتى يملوءها هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فان خرج منها الهواء حرموه وان كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه وأمروا الذي يتفقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فان وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه طريفا ومعني هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام وهذه التسمية عدوان منهم فان معناها في لغتهم هي الفريسة التي يفترسها السبع ليس لها معني في لغتهم سواه وكذلك عندهم في التوراة ان إخوة يوسف لما جاؤا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب في جملة كلام طاروف طوراف يوسيف تفسيره وحش ردي أكله افتراساً افترس يوسف وفي التوراة ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا فهذا الذي حرمته التوراة من الطريفا وهذا نزل عليهم وهم في التيه وقد اشتد قرمهم الى اللحم فنهوا من أكل الفريسة والميتة ثم اختلفوا في خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة وقالوا ما كان من الذبائح سليما من هذه الشروط فهو دخيا وتفسيره طاهر وما كان خارجاً عن ذلك فهو طريفا وتفسيره نجس حرام ثم قالوا معني قوله في التوراة ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوه للكلاب ألقوه يعني اذا ذبحتم ذبيحة ولم يوجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم قالوا ومعنى قوله للكلاب القوه أي لمن ليس على ملتكم فهو الكلاب فأطعموه إياه بالثمن فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسي وكذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك فقال في السورة المدنية التي خاطب فيها أهل الكتاب ( فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ) وقال في الانعام ( قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ) فهذا تحريم زائد على تحريم الاربعة المتقدمة وقال في

معاصيهم وظلمهم وأعظم من ذلك نسبة هذا كله الى التوراة التي أنزلها علي كليمه فلو بلغت ذنوب المسلمين مابلغت لكانت في جنب ذلك كتفلة في بحر ولا تنس قصة أسلافهم مع شاؤل الخارج على داود فان سوادهم الاعظم انضم اليه وشدوا معه على حرب داود ثم لما عادوا الى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث اختصموا في السبق اليه فنبغ منهم شخص ونادي بأعلى صوته لا نصيب لنا في داود ولاحظ في شاؤل ليمض كل منكم الى خبائه يا اسرائيليين فلم يكن باوشك من أن ذهب جميع عسكر بنى اسرائيل الى أخبيتهم بسبب كلمته ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها الى خدمة داود فما كان القوم الا مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى

﴿فصل﴾ وهذه الامة الغضبية وان كانوا مفترقين افتراقاً كثيرا فيجمعهم فرقتان القرابون والربانيون وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنفوا لهم كتابين أحدهما يسمي المشنا ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة والثاني يسمى التلمود ومبلغه قريب من نصف حمل بغل ولم تكن المؤلفون له في عصر واحد وانما ألفوه في جيل بعد جيل فلما نظر متأخروهم الى ذلك وانه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه وفي الزيادات المتأخرة ماينقض كثيرا من أوله علموا أنهم ان لم يقفلوا باب الزيادة والأدي الى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار وكان فقهاؤهم غيروا ملتهم وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم لانهم علموا أن دينهم لايبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الامم لهم الا أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم وغيروا عليهم مناكحتهم والاكل من ذبائحهم ولم يمكنهم ذلك الابحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله فان التوراة انما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الامم لئلا يوافقون أزواجهن في عبادة الاصنام والكفر بالله وانما حرمت عليهم أكل ذبائح الامم التي يذبحونها قربانا للاصنام لأنه سمي عليها غير اسم الله فاما ماذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بأباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الامم وموسى إنما نهاهم عن مناكحة عباد الاصنام خاصة وأكل مايذبحونه باسم الاصنام قالوا التوراة حرمت علينا أكل الطريفا قيل لهم الطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد والذئب أو غيرهما من السباع كما قال في التوراة ولحم في الصحراء فريسة لاتأكلوا وللكلاب القوه فلما نظر فقهاؤهم الى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الامم عليهم إلا عباد الاصنام وصرحت التوراة

أيما ) وما من جماعــة منهم في بلدة الا اذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيــدة يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في الاحتياط فان كان من فقهائهم شرع في إنكار أشــياء عليهم يوهمهم قلة دينهم وعلمهم وكلما شدد عليهم قالوا هذا هو العالم فأعلمهـــم أعظمهم تشــديداً عليهم فتراه أول ماينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهـــم ويتأمل سكين الذباح ويشرع في الانكار عليــه ببعض أمره ويقول لا آكل الا من ذبيحة يدي فتراهم معه في عذاب ويقولون هذا عالم غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والاغلال ويفتح لهم أبواب المكر والاحتيال وكلما فعل هذا قالوا هــذا هو العالم الرباني والحخــيم الفاضل فاذا رآه رئيسهم قد مشي حاله وقبل بينهم مقاله آزر نفسه معــه لانه اذا ازدري به وطعن عليه لم يقبل منه فان الناس في الغالب يميلون مع الغريب وينسبه أصحــابه الى الجهل وقلة الدين ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيق وكلما كان الرجل أعظم تضييقاً وتشديداً كان أفقه عندهم فينصرف عن هذا الرأي فيأخذ في مدحه وشكره فيقول لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوي ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة وشيد اساسه واحكم سياج الشرع فيبلغ القادم قوله فيقول ماعندكم أفقه منه ولا اعلم بالتوراة واذا لقيه يقول لقد زين الله بك أهل بلدنا ونعش بك هذه الطائفة وان كان القادم عليهم حبراً من أحبارهم فهنالك تري العجب العجيب من الناموس التي تراه يعتمده والسنن التي يحدثها ولا يعترض عليه أحد بل تراهم مسلمين له وهو يحتلب درّهم ويجتلب درهمهم واذا بلغه عن يهودي طعن عليه صبر عليه حتي يرى منه جلوسا على قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه انه يشتري من مســلم لبناً أو خمراً أو خرج عن بعض أحكام المشنا والتلمود فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضــه ونسبه الى الخروج عن اليهودية فيضيق به البلد على هذه الحال فلا يسعه إلاأن يصلح مابينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال فيقول لليهود إن فلاناً قد أبصر رشده وراجع الحق وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودي على الوضع فيودون له بالتعظيم والاكرام * واذكر لك مسئلة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسئلة اليباما والجالوس وهي ان عندهم في التوراة اذا أقام اخوان في موضع واحد ومات أحدها ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت الى رجل أجنبي بل ابن حمها ينكحها وأول ولد يولدها ينسب الى أخيه الدارج فان أبي ان ينكحها خرجت متشكية الى مشيخة قومه قائلة قد أبي ابن حمي أن يستبقي إسما لأخيه في بني اسرائيل ولم يرد نكاحي فيحضره ويكلفه أن يقف

سورة النحل وهي بعد هذه السورة نزولا ( وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل ) فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن فلما نظر القرابون منهم وهم أصحاب عانان وبنيامين الى هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى وان أصحاب التلمود والمشنا كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى وانهم أصحاب حماقات ورقاعات وان أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا اذا اختلفوا في مسئلة من هذه المسائل وغيرها يوحي الله اليهم بصوت يسمعونه الحق فى هذه المسئلة مع الفقيه فلان ويسمون هذا الصوت بث قول فلما نظر القرابون الى هذا الكذب والالحاد قالوا قد فسق هؤلاء ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه فخالفوهم في سائر ما أصلوه من الامور التي لم ينطق بها نص التوراة وأمثالك الترهات التي الفها فقهاؤهم الذين يسمونهم الخخاميم في علم الذباحة ورتبوها ونسبوها الى الله فاطرحها القرابون كلها وألقوها وصاروا لايحرمون شيئاً من الذبائح التى يتولون ذبحها البتة ولهم فقهاء أصحاب تصانيف الا أنهم لا يبالغون فى الكذب على الله وهم أصحاب ظواهر مجردة والاولون أصحاب استنباط وقياسات ٠ والفرقة الثانية يقال لهم الربانون وهم أكثر عددا وفيهم الخخاميم الكذابون على الله الذين زعموا ان الله كان يخاطب جميعهم فى كل مسئلة بالصوت الذي يسمونه بث قول وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم فان الخخاميم أوهموهم بأن الذبائح لايحل منها الا ما كان على الشروط التي ذكروها فان سائر الامم لاتعرف هذا وانه شيء خصوا به وميزوا بهم عمن سواهم وان الله شرفهم به كرامة لهم فصار الواحد منهم ينظر الى من ليس على نحلته كما ينظر الى الدابة وينظر الى ذبائحه كما ينظر الى الميتة واما القرابون فاكثرهم خرجوا الى دين الاسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها الى ان لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعدادا لقبول الاسلام لامرين ٠٠ أحدها اساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم ٠٠ الثاني تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وابطال معانيها واما أولئك الربانون فان فقهاءهم وخخاميمهم حصروهم فى مثل سم الخياط بما وضعوا لهم من التشديدات والآصار والاغلال المضافة الى الآصار والاغلال التى شرعها الله عقوبة لهم وكان لهم في ذلك مقاصد ٠٠ منها انهم قصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الامم حتي لايختلطوا بهم فيؤدي اختلاطهم بهم الى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية ٠٠القصد الثاني أن اليهود مبددون في شرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها كما قال تعالى ( وقطعناهم فى الارض

ما كانوا هناك فلما قام الاسلام واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالاسلام كل ممزق ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن فان الذي نالهم من النصاري والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله وكذلك الذي نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في طلبهم وعبدوا الأصنام وأحضروا من البلاد سدنة الأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها في العبادة وبنوا لها البيع والهياكل وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة فاذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم وكثيراً مامنعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قلفاً وكثيراً مامنعوهم من الصلاة لمعرفتهم بان معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعوهم من الصلاة فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا في منعهم من الصلاة اخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها الخزانة وضعوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها والفرق بين الخزانة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلي فيها وحده والخزانة يلحن يشاركه غيره فيه فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود نحن نغني وننوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك فجاءت دولة الاسلام فأمنوا فيها غاية الأمن وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم واستمرت الخزانة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسخ أسلافهم قردة لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيلهم لأحكامها تقولون في كل يوم في صلاتهم محبة الدهر أحببنا ياإلهنا ياأبانا أنت أبونا منقذنا ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه وأنهم سيقيم الله لهم نبياً من آل داود اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود وهو بزعمهم المسيح الذي وعدوا به وينبهون الله بزعمهم من رقدته في صلاتهم وينخونه ويحمونه تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها

ويقول ماأردت نكاحها فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه ويدعي فيما بعد بالمخلوع النعل ويتنبز بنوه بهذا اللقب وفي هذا كالتلجئة له الى نكاحها لانه اذا علم انه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحيا وخجل من شيل نعله من رجله والبصق في وجهه ونبزه باللقب المستكره الذى يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها فان كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى ان هذا كله أسهل عليه من أن يبتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها لم يكره على نكاحها هذا عندهم فى التوراة ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو أن يكون مريداً للمرأة محباً لها وهى فى غاية الكراهة له فأحدثوا لهذا الفرع حكما فى غاية الظلم والفضيحة فاذا جاءت الى الحاكم أحضروه معها ولقنوها ان تقول ان ابن حمي لا يقيم لاخيه اسما فى بني اسرائيل ولم يرد نكاحي وهو عاشق لها فيلزمونها بالكذب عليه وانها أرادته فامتنع فاذا قالت ذلك ألزمه الحاكم ان يقوم ويقول ماأردت نكاحها ونكاحها غاية سؤله وأمنيته فيأمرونه بالكذب عليها فيخرج نعله من رجله الا انه لا مسك هنا ولا ضرب بل يبصق في وجهه وينادي عليه هذا جزاء من لا يبني بيت أخيه فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخزي وألزموه بالكذب والبصاق فى وجهه والعتاب على ذنب جره غيره كما قيل

وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه ولا يستبعد اصطلاح الامة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال فان الدولة اذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها وتعذر الوقوف على الصواب الذي كان عليه أولها وأسلافها لأن زوال الدولة عن الامة انما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد واحراقها وجلاء أهلها عنها فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها الى ان تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلاشى قواعد دينها وكلما كانت الامة أقدم واختلفت عليها الدول المتداولة لها بالاذلال والصغار كان حظها من اندراس دينها أوفر وهذه الامة الغضبية أوفر الامم حظاً من ذلك فانها من أقدم الأمم عهدا واستولت عليها سائر الأمم من الكنعانيين والكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصاري وما من هذه الامم أمة الا وقصدت استئصالهم واحراق كتبهم وتخريب بلادهم حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن الا بأرض الحجاز وخيبر فأعز

وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها مايسأل الاله من العافية والرزق والمغفرة حتى إن اليعقوبية تقول في مناجاتهم لها يامريم يا والدة الاله كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً والنسطورية تقول ياوالدة المسيح كوني لنا كذلك ويقولون لليعقوبية لا تقولوا ياوالدة الاله وقولوا ياوالدة المسيح فقالت لهم اليعقوبية المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة فأى فرق بيننا وبينكم في ذلك ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد هذا والاوقاح الارجاس من هذه الامة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده وتخطاها كما يتخطي الرجل المرأة قال النظام بعد أن حكى ذلك عنهم وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به وقد قال ابن الاخشيد هذا عنهم في المعونة وقال اليه يشيرون ألا ترى أنهم يقولون من لم يكن والداً يكون عقيما والعقم آفة وعيب وهذا قول جميعهم والى المباضعة يشيرون ومن خالط القوم وطاولهم وباطنهم عرف ذلك منهم فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك أما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة في هذا الكفر العظيم برب العالمين ومسبته هذا السب وقول العظائم فيه فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم اذا لقوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويسأل المسيح على رؤس الاشهاد وهم يسمعون ( ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ) فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرأ منهم ( سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ) فهذا اصل دينهم واساسه الذي قام عليه .. واما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها وا كثر ذلك بشهادتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والاساقفة فان المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة ويوجب غسل الحائض وطوائف

وافتراؤها على الله ودينه وأنبيائه لامزيد عليه وأما أكلهم الربا والسحت والرشا واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت وشدة الحرص على الدنيا وقسوة القلوب والذل والصغار والخزى والتحيل على الاغراض الفاسدة ورمي البرآء بالعيوب والطعن على الأنبياء فأرخص شيء عندهم وماعيروا به المسلمين مما ذكروه ومما لم يذكروه فهو في بعضهم وليس فى جميعهم ونبيهم وكتابه ودينه وشرعه بريء منه وما عليه من معاصي أمته وذنوبهم فالى الله إيابهم وعلى الله حسابهم * وإن كان المعير للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة في الحيطان والسقوف فيقال له ألا يستحي من أصل دينه الذى يدين به اعتقاده أن رب السموات والارض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم طمث ثم خرج الى القماط والسرير كلما بكي ألقمته أمه ثديها ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم في وجهه ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبة في يده استخفافاً به وانتهاكا لحرمته ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب هذا وهو بزعمهم خالق السموات والأرض وقسم الأرزاق والآجال ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه مانالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن فى الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس فان روح آدم وابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه وأما قولهم في مريم فانهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وان الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وإبنه من بين سائر النساء ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطيء الرجال لها ولكن اختصت من النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تعالى والد إبنها وإبنها عن يمينه والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن يكون لهم عند إبنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها ولا ينكرون ذلك عليهم سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ويقولون في دعائهم ياوالدة الاله إشفعي لنا

في ملكوت السماء وما زال هو وأصحابه كذلك الى أن خرج من الدنيا وقال لاصحابه اعملوا بما رأيتموني أعمل وأرضوا من الناس بما رضيتكم به ووصوا الناس بما وصيتكم به وكونوا معهم كما كنت معكم وكونوا لهم كما كنت لكم وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح أنه ساحر مجنون ممخرق ولد زانيـة فقالوا هو إله تام وهو ابن الله ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة ورأوهم يجتنبون مؤاكلة الحائض وملامستها جملة فجامعوها ورأوهم يحرمون الخنزير فاباحوه وجعلوه شعار دينهم ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل الى البعوضة وقالوا كل ماشئت ودع ماشئت لا حرج ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لاساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ماشاؤا ويحللوا ماشاؤا ويحرموا ماشاؤا ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموهم الاحد وأحلوا السبت مع اقرارهم بان المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ورأوهم ينفرون من الصليب فان في التوراة ملعون من تعلق بالصليب والنصاري تقر بهذا فعبدواهم الصليب كما ان في التوراة تحريم الخنزير نصا فتعبدواهم باكله وفيها الامر بالختان فتعبدواهم بتركه مع اقرار النصاري بأن المسيح قال لاصحابه إنما جئتكم لاعمل بالتوراة ووصايا الانبياء قبلي وما جئت ناقضا بل متمما ولان تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شريعة موسي فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومناقضتهم وانضاف الى هذا السبب مافي كتابهم المعروف بافركسيس ان قوماً من النصاري خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس الى دين المسيح الصحيح ودعوهم الى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها والى الختان واقامة السبت وتحريم الخنزير وتحريم ماحرمته التوراة فشق ذلك على الامم واستثقلوه فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الامم فيحببوهم في دين المسيح ويدخلوهم فيه فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم والترخيص لهم والاختلاط بهم وأكل ذبائحهم والانحطاط في أهوائهم والتخلق بأخلاقهم وأنشاء شريعة تكون بين شريعة الانجيل وما عليه الامم وأنشأوا في ذلك كتاباً فهذا أحد مجامعهم الكبار وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعاً وافترقوا فيه على مايريدون

النصارى عنـدهم أن ذلك كله غير واجب وان الانسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر والبول والنجو يحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلا عن أن يفسو أو يضرط ويقولون ان الصلاة بالجنابة والبول والغائط افضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ ابعد من صلاة المسلمين واليهود واقرب الى مخالفة الأمتين ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه وهذه الصلاة رب العالمين بريء منها وكذلك المسيح وسائر النبيين فان هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحواريين والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الانبياء وبنو اسرائيل يقرؤنه في صلاتهم من التوراة والزبور وطوائف النصارى إنما يقرؤن في صـلاتهم كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم يجري مجرى النوح والاغاني فيقولون هـذا قداس فلان وفلان ينسبونه الى الذين وضعوه وهم يصلون الى الشرق • وما صلى المسيح الى الشرق قط وما صلى الى أن توفاه الله الا الى بيت المقدس وهي قبلة داود والانبياء قبله وقبلة بني اسرائيل • والمسيح اختتن وأوجب الختان كما أوجبـه موسي وهرون والانبياء قبل المسيح • والمسيح حرم الخنزير ولعن آكله وبالغ في ذمه والنصارى تقر بذلك والقى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة والنصاري تتقرب اليه بأكله • والمسيح ماشرع لهم هذا الصوم الذى يصومونه قط ولاصامه في عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ولاصام صوم العذارى في عمره ولا أكل في الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه ولا عطل السبت يوماً واحدا حتي لقى الله ولا اتخذ الأحد عيدا قط والنصارى تقر أنه رقى مريم المجدلانية فأخرج منها سبع شياطين وان الشياطين قالت له أين نأوى فقال لها اسلـكي هذه الدابة النجسة يعني الخنزير فهذه حكاية النصارى عنه وهم يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأجملها والمسيح سار في الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الانبياء قبله وليس عنـد النصارى على من زنا أولاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفره لهم فـكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به واذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به • وهم يقرون أن المسيح قال انما جئتكم لاعمل بالتوراة وبوصايا الانبياء قبلي وما جئت ناقضا بل متمما ولأن تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ومن نقض شيئاً من ذلك يدعا ناقضا

هو الذي عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم وهو الذي حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال الأعمى ومن هو حتى أومن به قال هو المخاطب لك أبن مريم فقال آمنت بك وخر ساجداً قالوا فالذي حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله وقالوا وهو الذي ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر وبصق في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لاجل خلاص النصارى من خطاياهم قالوا وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح بل هو رب الانبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة قالوا وليس مع أمه بمعنى الخلق والتدبير واللطف والمعونة فانه لايكون لها بذلك مزية على سائر الاناث ولا الحيوانات ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليه فلهذا فارقت جميع أناث الحيوان وفارق إبنها جميع الخلق فصار الله وابنه الذي نزل من السماء وحبلت به مريم وولدته إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً لايقع بينهما فرق ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لافي حبل ولا في ولادة ولا في حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به في حال الحبل فهو في تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد وفي حال الولادة كذلك وفي حال الصلب والموت كذلك قالوا فمنا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول مريم حبلت بالاله ومات الاله ومنا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها ويعطي معناها وحقيقتها ويقول مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة وولدت المسيح في الحقيقة وهي أم المسيح في الحقيقة والمسيح إله في الحقيقة ورب في الحقيقة وابن الله في الحقيقة وكلمة الله في الحقيقة لاابن لله في الحقيقة سواه ولا أب للمسيح في الحقيقة إلا هو قالوا فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال حبلت بالاله وولدت الاله وقتل الاله وصلب ومات ودفن وان منعوا اللفظ والعبارة قالوا وإنما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا لئلا يتوهم علينا اذا قلنا حبلت بالاله وولدت الاله وألم الاله أن هذا كله حل ونزل بالاله الذى هو أب ولكنا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه فنحن واخواننا في الحقيقة شيء واحد لا فرق بيننا الا في العبارة فقط قالوا فهذا حقيقة ديننا وإيماننا والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا ومهدوه وهم أعلم بالمسيح منا ولا تختلف الثلاثة عباد الصليب من أولهم الى آخرهم أن المسيح ليس بنبي ولا عبد صالح ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه وانه إله تام من إله تام وانه خالق السموات والارضين والاولين والآخرين

إحداثه الى أن اجتمعوا المجمع الذي لم يجتمع لهم أكبر منه في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد وكان عدتهم زهاء الفي رجل فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم وهو أصل الاصول عند جميع طوائفهم لايتم لاحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه سنهودس وهي الأمانة ولفظها نؤمن بالله الاب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد اليسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم وخالق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول وولدته وأخذ وصلب وقتل أيام فيلاطس الرومي ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والاحياء ونؤمن بالرب الواحد روح القدس روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية وبقيام أبداننا والحياة الدائمة الى أبد الآبدين فصرحوا فيها بأن المسيح رب وابن الله وإنه بكر ليس له ولد غيره وأنه ليس بمصنوع أى ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق وانه إله حق انسل وولد من إله حق وانه مساو لأبيه في الجوهر وانه بيده اتقنت العوالم وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم وهذه ألفاظهم قالوا وقد قال القدوة عندنا أن اليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طين آدم وخلقته وهي اليد التي شبرت السماء وهي اليد التي كتبت التوراة لموسى قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم وإنهم لطموا الاله وضربوه على رأسه قالوا وفي بشارة الانبياء به أن الاله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل قالوا وأما سنودس دون الأم قد اجتمع عليه سبعمائة من الاباء وهم القدوة وفيه أن مريم حبلت بالاله وولدته وأرضعته وسقته وأطعمته قالوا وعندنا وإن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه وابن مريم وربها وخالقها ورازقها قالوا وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا اليسوع في البدأ ولم يزل كلمة والكلمة لم تزل الله والله هو الكلمة فذاك الذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله هذه ألفاظهم قالوا فالقديم الازلي خالق السموات والارض

المسيح • وقال في دعائه لما سأل ربه أن يحيي الميت أنا أشكرك وأحمدك لانك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت فأسئلك أن تحيي هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل أنك أرسلتني وانك تجيب دعائي • وفي الانجيل ان المسيح حين خرج من السامرية ولحق بجلجال قال لم يكرم أحد من الانبياء في وطنه فلم يزد على دعوي النبوة • وفي انجيل لوقا لم يقتل أحد من الانبياء في وطنه فكيف تقتلونني • وفي انجيل مرقس ان رجلا أقبل الى المسيح وقال أيها المعلم الصالح أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة فقال له المسيح لم قلت صالحاً إنما الصالح الله وحده وقد عرفت الشروط لا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخن واكرم أباك وأمك • وفي انجيل يوحنا ان اليهود لما أرادوا قتله رفع بصره الى السماء وقال قد دنا الوقت يا إلهي فشرفني لديك واجعل لي سبيلا أن أملك كل من ملكتني الحياة الدائمة وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحداً وبالمسيح الذي بعثت وقد عظمتك على أهل الارض واحتملت الذي أمرتني به فشرفني فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث • وفي انجيل متي لا تنسبوا أباكم الذي على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده ولا تدعوا معلمين فانما معلمكم المسيح وحده والاب في لغتهم الرب المربي أي لا تقولوا إلهكم وربكم في الارض ولكنه في السماء ثم أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه وهو ان غايته انه يعلم في الارض وإلههم هو الذي في السماء • وفي انجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا ان هــذا النبي لعظيم وان الله قد تفقد أمته • وفي انجيل يوحنا إن المسيح أعلن صوته في البيت وقال لليهود قد عرفتموني وموضعي ولم آت من ذاتي ولكن بعثني الحق وأنتم تجهلونه فان قلت إني أجهله كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلونه انه مني وأنا منه وهو بعثني فما زاد في دعواه على ما ادعاه الانبياء فأمسكت المثلثة قوله إني منه وقالوا إله حق من إله حق • وفي القرآن رسول من الله وقال هود ولكني رسول من رب العالمين وكذلك قال صالح ولكن أمــة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المتشابه ويردون المحكم • وفي الانجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له نحن أبناء الله فقال لو كان الله أباكم لأطعتموني لاني رسول منه خرجت مقبلا ولم أقبل من ذاتي ولكن هو بعثني لكنكم لا تقبلون وصيتي وتعجزون عن سماع كلامي انما أنتم أبناء الشيطان وتريدون اتمام شهواته وفي الانجيل ان اليهود أحاطت به وقالت له الى متي تخفي أمرك ان كنت المسيح الذي ننتظره فاعلمنا بذلك ولم تقل ان كنت الله أو ابن الله فانه لم يدع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه • وفي الانجيل أيضاً ان اليهود أرادوا القبض عليـه فبعثوا لذلك الأعوان وان

ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم من القبور وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم والنصاري تعتقد أن الاب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه فهو الذي يخلق ويرزق ويميت ويحي ويدبر أمر السموات والارض ألا تراهم يقولون في أمانتهم ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع الى قولهم بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الى قولهم وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الاموات والاحياء ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فان المسيح قال لهم إن الله ربي وربكم وإلهي وإلهكم فشهد على نفسه أنه عبد مربوب مصنوع كما أنهم كذلك وانه مثلهم في العبودية والحاجة والفاقة الى الله وذكر أنه رسول الله الى خلقه كما أرسل الانبياء قبله ففي انجيل يوحنا أن المسيح قال في دعائه ان الحياة الدائمة إنما تجب للناس بان يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وانك أرسلت اليسوع المسيح وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وقال لبني إسرائيل تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقوله فذكر ماغايته أنه رجل بلغهم ماقاله الله ولم يقل وانا إله ولا ابن الاله على معني التوالد وقال اني لم أجيء لاعمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني وقال ان الكلام الذي تسمعونه مني ليس من تلقاء نفسي ولكن من الذى أرسلني والويل لى إن قلت شيئاً من تلقاء نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول ماجئت لأخدم إنما جئت لأخدم فأنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله الله بها وهي منزلة الخدام وقال لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ولكن الذى أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم كل هذا بالانجيل الذى بأيدى النصارى ٠٠ وفيه أن المسيح قال يارب قد علموا إنك قد أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك فأخبر أن الله ربه وانه عبده ورسوله ٠ وفيه أن الله الواحد رب كل شيء أرسل ابن البشر الى جميع العالم ليقبلوا الى الحق ٠ وفيه انه قال ان الاعمال التى أعمل هي الشاهدات لي بان الله أرسلني الى هذا العالم ٠ وفيه ما أبعدني وأتعبني ان أحدثت شيئاً من قبل نفسي ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي ٠ وقال ان الله مسحني وأرسلني وأنا عبدالله وإنما اعبدالله الواحد ليوم الخلاص ٠ وقال ان الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام وما ولد ولا يلد وما رآه أحد إلا مات وبهذا يظهر لك سر قوله تعالى في القرآن ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام تذكيراً للنصارى بما قال لهم

أيضا اجعلوها إلهاً خامساً لانها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح والله سبحانه قد نوّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وانه يفعل مايشاء فخلق آدم لامن ذكر ولا من أنثي وخلق زوجته حوى من ذكر لا من أنثي وخلق عبده المسيح من أنثي لا من ذكر وخلق سائر النوع من ذكر وأنثي وان قلتم استدللنا على كونه إلهاً بانه أحيا الموتي ولا يحييهم إلا الله فاجعلوا موسي إلهاً آخر فانه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا مايقاربه وهو جعل الخشبة حيواناً عظيما ثعباناً فهذا ابلغ واعجب من اعادة الحياة الى جسم كانت فيه اولا فان قلتم هذا غير احياء الموتي فهذا اليسع النبي اتي باحياء الموتي وكذلك هم يقرون بذلك وايليا النبي ايضاً احيا صبياً باذن الله وهذا موسي قد أحيا باذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه وفي كتبكم من ذلك كثير عن الانبياء والحواريين فهل صار أحد منهم إلها بذلك وان قلتم جعلناه إلها للعجائب التي ظهرت على يديه فعجائب موسى أعجب وأعجب وهذا إيليا النبي بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفد مافى جرابها من الدقيق ومافي قارورتها من الدهن سبع سنين وان جعلتموه إلها لكونه أطعم من الارغفة اليسيرة آلافا من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوي وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملؤا أوعيتهم وسقاهم كلهم من ماء يسير لايملأ اليد حتي ملؤا كل سقاء في العسكر وهذا منقول عنه بالتواتر وان قلتم جعلناه إلها لانه صاح بالبحر فسكنت أمواجه فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقا وقام الماء بين الطرق كالحيطان وفجر من الحجر الصلد إثني عشر عينا سارحة وان جعلتموه إلها لانه أبرأ الاكمه والابرص فأحياء الموتي أعجب من ذلك وآيات موسي ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك وان جعلتموه إلها لانه ادعي ذلك فلا يخلو إما أن يكون الامر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعي العبودية والافتقار وانه مربوب مصنوع مخلوق فان كان كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق فضلا عن أن يكون نبيا كريما وجزاؤه جهنم وبئس المصير كما قال تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكل من ادعي الالهية دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله فاخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال ومن أعظم مايعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعى الالهية فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدي ابن مريم فيقتله ويظهر للخلائق أنه

الأعوان رجعوا الى قوادهم فقالوا لهم لم تأخذوه فقالوا ماسمعنا آدمياً أنصف منه فقالت اليهود وأنتم أيضاً مخدوعون أترون انه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب فقال لهم بعض أكابرهم أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه فقالوا له إكشف الكتب ترى انه لايجيء من جلجال نبي فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكه انه نبي ولو علمت من دعواه الالهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته لان كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء ولقد كان يجب لله سبحانه لو سبق في حكمته أن يبرز لعباده وينزل عن كرسي عظمته ويباشرهم بنفسه أن لايدخل في فرج امرأة ويقيم في بطنها بين البول والنجو والدم عدة أشهر وإذ قد فعل فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من الخرأة إذ هي منقصة ابتلى بها الانسان في هذه الدار لنقصه وحاجته وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال الذى ماوسعته سمواته ولا أرضه وكرسيه وسع السموات والارض فكيف وسعه فرج امرأة تعالى رب العالمين ٠٠ وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام فيامعشر المثلثة وعباد الصليب أخبرونا من كان الممسك للسموات والارض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم فهل بقيت السموات والارض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر أم يقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفســه حيث قال في التوراة ملعون ملعون من تعلق بالصليب أم يقولون هو المدبر لهما في تلك الحال فكيف وقد مات ودفن أم يقولون وهو حقيقة قولكم لاندري ولكن هـذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم فنقول لكم أولا يامعاشر المثلثة عباد الصليب ماالذي دلكم على إلوهية المسيح فان كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه إلى خشــبة الصليب وعلى رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال وضربوا فيها المسامير وهو يستغيث ويقلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه فما أقبحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار على جميع الأنام وان قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بانه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر فان كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح وهو أحق من أن يكون إلهاً له لانه لا أم له ولا أب والمسيح له أم وحواء

الأمم وفي سائر الكتب ومازالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً وفي السفر الأول من التوراة أن بني الله دخلوا على بنات الناس ورأوهن بارعات الجمال فتزوجوا منهن وفي السفر الثاني من التوراة في قصة المخرج من مصر إني جعلتك إلهاً لفرعون وفي المزمور الثاني والثمانين لداود وقام الله في جميع الآلهة هكذا في العبرانية وأما من نقله الى السريانية فانه حرفه فقال قام الله في جماعة الملائكة وقال في هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله كلكم وقد سمى الله سبحانه عبده بالملك كما سمى نفسه بالملك وسماه بالرؤف الرحيم كما سمي نفسه بذلك وسماه بالعزيز وسمي نفسه كذلك واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد كما يقال هذا رب المنزل ورب الابل ورب هذا المتاع وقد قال شعيا عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو اسرائيل يعني من خلقهم

﴿ فصل ﴾ وإن جعلتموه إلهاً لانه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فانه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيما ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت وان قلتم جعلناه إلهاً لشهادة الانبياء والرسل له بذلك قال عزرا حيث سباهم بختنصر الى بابل الى أربعمائة واثنين وثمانين سنة يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح ومن يطيق تخليص الأمم غير الاله التام قيل لكم فاجعلوا جميع الرسل آلهة فانهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار باذن الله وحده ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة كما خلص موسى بني اسرائيل من فرعون وقومه وخلصهم بالايمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة وخلص الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله من الأمم والشعوب مالم يخلصه نبي سواه فان أوجبت بما ذكر الالهية لعيسى فموسى أحق بها منه وان قلتم أوجبنا الالهية لقول أرمياء النبي عن ولادته وفي ذلك الزمان يقوم لداود ابن وهو ضوء النور يملك الملك ويقيم الحق والعدل في في الارض ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل ومن غيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الاله فقد تقدم أن إسم الاله في الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والاب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل أن يقال ويسمى الاله وكان يقول وهو الله فان الله سبحانه لا يعرف

كان كاذبا مفتريا ولو كان إلها لم يقتل فضلا عن أن يصلب ويسمر ويبصق في وجهه وان كان المسيح انما ادعى انه عبد ونبي ورسول كما شهدت به الاناجيل كلها ودل عليه العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالالهية وهذاهو الواقع فلم يأتوا على إلاهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وانه مربوب مخلوق وانه ابن البشر وانه لم يدع غير النبوة والرسالة فكذبتموه في ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه وان قلتم انما جعلناه إلها لانه أخبر بما يكون بعده من الامور فكذلك عامة الانبياء بل وكثير من الناس يخبرك عن حوادث في المستقبل ويكون ذلك كما أخبر به ويقع ذلك كثيراً للكهان والمنجمين والسحرة وان قلتم انما جعلناه إلها لانه سمى نفسه ابن الله في غير موضع من الانجيل كقوله إني ذاهب الى أبي وإني سائل أبي ونحو ذلك وابن الاله إله قيل فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة فان في الانجيل في غير موضع انه سماه أباه وأباهم كقوله أذهب الى أبي وأبيكم وفيه لا تنسبوا أباكم على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده وهذا كثير في الانجيل وهو يدل على أن الاب عندهم الرب وان جعلتموه إلها لان تلاميذه ادعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبتم أناجيلكم التى بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ماادعوا له الا ماادعاه لنفسه من أنه عبد فهذا متى يقول في الفصل التاسع من انجيله محتجاً بنبوة شعيا في المسيح عن الله عز وجل هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذى ارتاحت نفسي له وفي الفصل الثامن من انجيله إني أشكرك يارب يارب السموات والارض وهذا لوقا يقول في آخر انجيله ان المسيح عرض له ولآخر من تلاميذه في الطريق وهما محزونان فقال لهما وهما لا يعرفانه مابالكما محزونين فقالا كانك غريب في بيت المقدس إذ كنت لاتعلم ما حدث فيها فى هذه الايام في أمر اليسوع الناصري فانه كان رجلا نبيا قوياً تقيا في قوله وفعله عند الله وعند الامة اخذوه وقتلوه ومثل هذا كثير جدا في الانجيل وان قلتم انا جعلناه إلها لانه صعد الى السماء فهذا أخنوخ والياس قد صعدا الى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما طامع والمسلمون مجمعون على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صعد الى السماء وهو عبد محض وهذه الملائكة تصعد الى السماء وهذه أرواح المؤمنين تصعد الى السماء بعد مفارقتها الابدان ولا تخرج بذلك عن العبودية وهل كان الصعود الى السماء مخرجا عن العبودية بوجه من الوجوه وان جعلتموه إلهاً لأن الانبياء سمته إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع

يهوداً ويملك عليهم الى الابد . . قيل لـكهيان وجبت له الالهية بهذا فلتجب لابراهيم وغـيره من الانبياء فان عنـد أهل الكتاب وأنتم معهم ان الله تجـلى لابراهيم واستعلن له وترائي له وأما قوله وأحل فيك لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التي لاتسعها السموات والأرض في بيت المقـدس وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيـه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق كيف وقد قال ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك افتري بموافق قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشـبة الصليب ودق المسامير في يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف في غالب أحواله ولو صح مجيء هـذه الألفاظ صحة لاتدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه لكان معناها ان معرفة الله والايمان به وذكره ودينه وشرعه حل في تلك البقعة وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته مالم يكن قبل ذلك وجماع الأمر أن النبوات المتقدمة والكتب الالهية لم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً إله حق من إله حق وانه غـير مصنوع ولا مربوب بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله انه عبـد الله ورسوله وكلمة ألقاها الى مريم وروح منـه وكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسـلم وذلك كله يصـدق بعضه بعضاً وجميع مايستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فانها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته ابناً وكلمة وروح حق وإلهاً وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أوفي مكانه وقد وقع في نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنسوبين الى الاسلام واشتبه عليهم مايحل في قلوب العارفين من الايمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب وقد قال تعالى ( ولله المثل الأعلى ) وقال ( وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ) وهو مافي قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الايمان به ومعرفته ومحبته واجلاله وتعظيمه وهو نظير قوله ( فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتـدوا ) وقوله ( وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعـلم ما تكسبون ) وقوله ( وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو الحكيم العليم ) فأولياء الله يعرفونه ويحبونه ويجاونه ويقال هو في قلوبهم والمراد محبته ومعرفته والمثل الأعلى في قلوبـهـم لانفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم يقول الانسان أنت في قلبي ولا

بمثل هذا وفي هذا الدليل الذي جعلتموه إلهاً أعظم الادلة على أنه عبد وانه ابن البشر فانه قال يقوم لداود ابن فهذا الذي قام لداود هو الذي سمي بالاله فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والارضين وان قلتم انما جعلناه إلهاً من جهة قول شعيا النبي قل لصهيون تفرح وتهلل فان الله يأتي ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الامم المتبددين ويجعلهم أمة واحدة ويبصر جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين أيديهم ويجمعهم إله اسرائيل قيل لكم هذا يحتاج أولا الى أن يعلم أن ذلك في نبوة أشعياء بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه ولا غلط في الترجمة وهذا غير معلوم وان ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على انه إله تام وانه غير مصنوع ولا مخلوق فانه نظير مافي التوراة من قوله جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وليس في هذا مايدل على أن موسى ومحمد إلهين والمراد بذلك مجيء دينه وكتابه وشرعه وهداه ونوره وأما قوله ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين ففي التوراة مثل هذا وأبلغ منه في غير موضع وأما قوله ويبصر جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين أيديهم فقد قال في التوراة في السفر الخامس لبني اسرائيل لا تهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين أيديكم هو محارب عنكم وفي موضع آخر قال موسى ان الشعب هو شعبك فقال أنا أمضي أمامك فقال ان لم تمض أنت أمامنا والا فلا تصعدنا من ههنا فكيف أعلم أنا وهذا الشعب اني وجدت نعمة كذا الا بسيرك معنا وفي السفر الرابع ان اضعت هؤلاء بقدرتك فيقولون لاهل هذه الارض الذين سمعوا منك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك تقيم عليهم ويعود غماماً يسير بين أيديهم نهاراً ويعود نهاراً ليلا وفي التوراة أيضاً يقول الله لموسى اني آت اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك وفي الكتب الالهية وكلام الانبياء من هذا كثير وفيما حكى خاتم الانبياء عن ربه تعالى أنه قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وان قلتم جعلناه إلهاً لقول زكريا في نبوته افرحي يا بيت صهيون لأني آتيك وأحل فيك واترائي ويؤمن بالله في ذلك اليوم الامم الكثيرة ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو فيهم ويعرفني أني أنا الله القوي الساكن فيك ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من

أرباباً ولا آلهة وقال المسيح لتلامذته من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل من أرسلني وقال المسيح لتلامذته أيضاً من أنكرني قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة أغمد سيفك ولا تظن أني لا استطيع أن ادعو الله الاب فيقيم لي اكثر من اثني عشر من الملائكة فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم وان اوجبتم له الالهية بما نقلتموه عن شعيا تخرج عصا من بيت نبي وينبت منها نور ويحل فيه روح القدس روح الله .روح الكلمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله وبه يؤمنون وعليه يتوكلون ويكون لهم التاج والكرامة الى دهر الداهرين . . قيل لكم هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن شعيا وصحة الترجمة له باللسان العربي وانه لم يحرفه المترجم هو حجة على الثلاثة عباد الصليب لا لهم فانه لا يدل على أن المسيح خالق السموات والارض بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن وأن المسيح أيد بروح القدس فانه قال ويحل فيه روح القدس روح الله روح الكلمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلا عن أن يحل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته وهذه روح تكون مع الانبياء والصديقين وعندهم في التوراة ان الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة وروح الفهم والعلم هي مايحصل به الهدى والنصر والتأييد وقوله هي روح الله لا تدل على أنها صفة فضلا عن أن يكون هو الله وجبريل يسمى روح الله والمسيح إسمه روح الله والمضاف اذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك الى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله ليس المراد به بيت يسكنه ولا ناقة يركبها ولا روح قائمة به وقد قال تعالى ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ) وقال تعالى ( كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ) فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين وأما قوله وبه يؤمنون وعليه يتوكلون فهو عائد الى الله لا إلى العصا التي تنبت من بيت النبوة وقد جمع الله سبحانه بين هذين الاصلين في قوله ( قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ) وقال موسى لقومه ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ) وهو كثير في القرآن وقد أخبر انه أيده بروح العلم وخوف الله فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع بينهما القرآن فى قوله تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية وهذا شأن العبد المحض وأما الاله الحق رب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم

زلت فى عيني كما قال القائل

( ومن عجب أني أحن اليهم * وأسئل عنهم من لقيت وهم معى )

( وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعى )

وقال آخر

( خيالك فيعيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبى فأين تغيب )

وقال آخر

( ساكن في القلب يعمره * لست أنساه فأذكره )

وقال الآخر

( إن قلت غبت فقلبي لا يصدقني * إذ أنت فيه فدتك النفس لم تغب )

( أو قلت ماغبت قال الطرف ذا كذب * فقد تحيرت بين الصدق والكذب )

وقال الآخر

( أحن اليه وهو في القلب ساكن * فيا عجباً ممن يحن لقلبه )

ومن غلظ طبعه وكثف فهمه عن فهم مثل هـذا لم يكثر عليه أن يفهم من الفاظ الكتب ان ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج بها ( تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً ) وان قلتم اوجبنا له الالهية من قول شعيا من اعجب الاعاجيب ان رب الملائكة سيولد من البشر قيل لكم هـذا مع انه يحتاج الى صحة هذا الكلام عن شعيا وانه لم يحرف بالنقل من ترجمة الى ترجمة وانه كلام منقطع عما قبله وبعده ببينة فهو دليل على انه مخلوق مصنوع وانه ابن البشر مولود منه لامن الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

﴿ فصل ﴾ وان قلتم جعلناه إلهاً من قول متى فى انجيله ان ابن الانسان يرسل ملائكته ويجمعون كل الملوك فيلقونهم في أتون النار ٠٠قيل هذا كالذي قبله سواء ولم يرد أن المسيح هو رب الارباب ولا انه خالق الملائكة وحاش لله أن يطلق عليه انه رب الملائكة بل هـذا من أقبح الكذب والافتراء بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبي القائل عندهم ان الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك ثم بشهادة لوقا ان الله ارسل له ملكا من السماء ليقويه هـذا الذي نطقت به الكتب فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك ونسبوا الى الانبياء أنهم قالوا هو رب الملائكة واذا شهد الانجيل واتفاق الانبياء والرسل ان الله يوصى ملائكته بالمسيح ليحفظوه علم ان الملائكة والمسيح عبيد لله منفذون لأمره ليسوا

وهداه الله للحق وبصره من عماه وقال أهذا هو القائل أنا الرب ولا إله غيري أنا أحيي وأنا أميت وأخلق وأرزق أم هو القائل لله انك أنت الاله الحق وحدك الذي أرسلت اليسوع المسيح قال والاول باطل قطعاً والثاني هو الذي شهد به الانجيل ويجب تصديق الانجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود قال وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فان عما نويل اسم تسمى به النصاري واليهود أولادها قال وهذا موجود في عصرنا هذا ومعني هـذه التسمية بينهم شريف القدر قال وكذلك السريان يسمون أولادهم عما نويل والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل الله معك فاذا سمى الرجل بقوله الله معك كان هذا تبركا بمعني هذا الاسم ٠٠ وان أوجبتم له الالهية بقول حبقوق فيما حكيتموه عنه ان الله في الارض يترائي ويختلط مع الناس ويمشي معهم وبقول أرميا أيضا بعد هذا الله يظهر في الارض وينقلب مع البشر ٠٠ قيل لكم هذا بعد احتياجه الى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولا والى ثبوت هذا النقل عنهما والى مطابقة الترجمة من غير تحريف وهذه ثلاث مقامات يعز عليكم اثباتها لايدل على ان المسيح هو خالق السموات والارض وإنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ففي التوراة ماهو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على ان موسي إله ولا انه خارج عن جملة العبيد وقوله يترائي مثل تجلى وظهر واستعلن ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية وقد ذكر في التوراة ان الله تجلى وترائي لابراهيم وغيره من الانبياء ولم يدل ذلك على الالهية لاحدمنه ولم يزل في عرف الناس ومخاطبتهم ان يقولوا فلان معنا وهو بين أظهرنا ولم يمت اذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم وكذلك يقول القائل لمن مات والده ما مات من خلف مثلك وأنا والدك واذا رأوا تلميذاً لعالم تعلم علمه قالوا هذا فلان باسم استاذه كما كان يقال عن عكرمة هذا ابن عباس وعن أبي حامد هذا الشافعي واذا بعث الملك نائبا يقوم مقامه في بلد يقول الناس جاء الملك وحكم الملك ورسم الملك * وفي الحديث الصحيح الالهي يقول الله عز وجل يوم القيامة عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يارب كيف أعودك فانت رب العالمين قال اما ان عبدي فلان مرض فلم تعده اما لو عدته لوجدتني عنده عبدي جعت فلم تطعمني فيقول رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه اما لو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي استسقيتك فلم تسقني فيقول رب كيف اسقيك وانت رب العالمين فيقول أما ان عبدي فلانا عطش فاستسقاك فلم تسقه اما لو سقيته لوجدت ذلك عندي وأبلغ من هذا قوله تعالى

القيام ٠٠ وان أوجبتم له الالهية بقول شعيا إن غلاماً ولد لنا وأننا أعطيناه كذا وكذا ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعي اسمه ملكا عظيما عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً قوي السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء ٠ قيل لكم ليس في هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم ٠٠ أما المقام الأول فدلالتها على محمد بن عبد الله أظهر من دلالتها على المسيح فانه هو الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين من جهة أن خاتم النبوة علا نغض كتفيه وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الانبياء وعلامة ختم ديوانهم وكذلك كان في ظهوره ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه اذا ضرب به على عاتقه ويدل عليه قوله رئيس مسلط قوي السلامة وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة وان دينه الاسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سلط محمد صلى الله عليه وسلم بل كان أعداؤه مسلطين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه وهي مطابقة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه وهو الذي سلطانه كامل ليس له فناء الى آخر الدهور ٠٠ فان قيل إنكم لا تدعون محمداً إلهاً بل هو عندكم عبد محض قيل نعم والله أنه لكذلك عبد محض لله والعبودية أجل مراتبه واسم الاله من جهة التراجم جاء والمراد به السيد المطاع لا الاله المعبود الخالق الرازق ٠٠ وان أوجبتم له الالهية من قول شعيا فيما زعمتم هاهي العذراء تحبل وتلد إبناً يدعى اسمه عمانويل وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية إلهنا معنا فقد شهد له النبي انه إله ٠ ٠ قيل لكم بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والارضين فانه قال تلد ابناً وهذا دليل على انه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين وأما قوله ويدعى اسمه عمانويل فانما يدل على انه يسمي بهذا الاسم كما يسمي الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والاسماء والافعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل ومن علمائكم من يقول المراد بالعذراء ههنا غير مريم ويذكر في ذلك قصة ويدل على أن هذا المسيح لا يعرف اسمه عما نويل وان كان ذلك اسمه فكونه يسمي إلهنا معنا أو بالله حسبي أو الله وحده ونحو ذلك وقد حرف بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال معناها الله معنا ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه

ذلك • الخامس انه لا يماثل شيئا من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله • السادس انه لايحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه • السابع انه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة • الثامن أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريده بل هو الفعال لما يريده • التاسع انه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك الا وهو يعلمه على حقيقته • العاشر انه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ونفذت مشيئته في جميع البريات وعمت رحمته جميع المخلوقات ووسع كرسيه الأرض والسموات • الحادي عشر انه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحدا على تدبير ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم • الثاني عشر انه الابدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت • الثالث عشر انه المتكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته • الرابع عشر انه الصادق في وعده وخبره فلا أصدق منه قيلا ولا أصدق منه حديثا وهو لا يخلف الميعاد • الخامس عشر انه تعالى صمد بجميع الصمدية فيستحيل عليه ما يناقض صمديته • السادس عشر انه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص • السابع عشر انه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه • الثامن عشر انه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلا فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله وتمسكوا بالمتشابه من المعاني والمجمل من الالفاظ وأقوال من ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله اشد المخالفة وتباينه اعظم المباينة

(فصل) في أنه لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق فارساله من آيات الأنبياء

( ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ومن هذا قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله )فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلالهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لافرق بينهما ٠ ٠ وان أوجبتم له الالهية بقوله في السفر الثالث من أسفار الملوك والآن يارب إله اسرائيل لتحقق كلامك لداود لأنه حق أن يكون انه سيسكن الله مع الناس على الارض اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً ويخرجه من موضعه وينزل ويطأ على مشارق الارض في شأن خطيئة بني يعقوب ٠ ٠ قيل لكم هذا السفر يحتاج فيه أولا الى أن يثبت وان الذي تكلم به نبي وان هذا لفظه وان الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم وبعد ذلك فالقول في هذا الكلام كالقول في نظائره مما ذكرتموه ومالم تذكروه وليس في هذا الكلام مايدل على ان المسيح خالق السموات والارض وانه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق فان قوله ان الله سيسكن مع الناس في الارض هو مثل كونه معهم واذا صار في الارض نوره وهداه ودينه ونبيه كانت هذه سكناه لا انه بذاته المقدسة نزل عن عرشه وسكن مع اهل الارض ولو قدر تقدير المحالات ان ذلك واقع لم يلزم أن يكون هو المسيح فقد سكن الرسل والانبياء قبله وبعده فما الموجب لأن يكون المسيح هو الاله دون اخوانه من المرسلين أترى ذلك للقوة التي كانت له وهو في الارض وقد قلتم انه قبض عليه وفعل به مافعل من غاية الاهانة والاذلال والقهر فهذا ثمرة سكناه في الارض هو ظهوره في ناسوت المسيح قيل لكم اما الظهور الممكن المعقول وهو ظهور محبته ومعرفته ودينه وكلامه فهذا لافرق فيه بين ناسوت المسيح وناسوت سائر الانبياء والمرسلين وليس في اللفظ على هذا التقدير مايدل على اختصاصه بناسوت المسيح وأما الظهور المستحيل الذى تأباه العقول والفطر والشرائع وجميع النبوات وهو ظهور ذات الرب في ناسوت مخلوق من مخلوقاته واتحاده به وامتزاجه واختلاطه فهذا محال عقلا وشرعا فلا يمكن أن تنطق به نبوة أصلا بل جميع النبوات من أولها الى آخرها متفقة على أصول ٠ أحدها ان الله سبحانه وتعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ولا ندولاضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع الا من بعد اذنه ٠ الثاني انه لاوالد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة ٠ الثالث انه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه ٠ الرابع انه لايتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو

يحصون وهذه البشارة انما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمته فان بني اسحق كانوا
لم يزالوا مطرودين مشردين خولا للفراعنة والقبط حتي أنقذهم الله بنبيه وكليمه
موسى بن عمران وأورثهم أرض الشام فكانت كرسي مملكتهم ثم سلبهم ذلك وقطعهم
في الارض أمماً مسلوباً عزهم وملكهم قد أخذتهم سيوف السودان وعلتهم أعلاج
الحمران حتى اذا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم تمت تلك النبوات وظهرت تلك
البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو اسماعيل على من حولهم فهشموهم هشما
وطحنوهم طحناً وانتشروا في آفاق الدنيا ومدت الأمم أيديهم اليهم بالذل والخضوع
وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصي وبلاد الترك والصقالبة
والخزر وملكوا مابين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين وظهر ذكر ابراهيم
على ألسنة الأمم فليس صبي من بعد ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرأة ولا
حر ولا عبد ولاذكر ولا أنثي إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم وأما النصرانية
وان كانت قد ظهرت في أمم كثيرة جليلة فانه لم يكن لهم في محل اسماعيل وأمه هاجر
سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ولا صارت أيدى هذه الأمة فوق أيدى الجميع ولا
امتدت اليهم أيدي الأمم بالخضوع وكذلك سائر ماتقدم من البشارات التي تفيد بمجموعها
العلم القطعي بأن المراد بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأمته فانه لو لم يقع تأويلها
بظهوره صلى الله عليه وسلم لبطلت تلك النبوات ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب
أنه لايمكن الايمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالايمان بالنبي الذي بشروا به قالوا نحن
في انتظاره ولم يجئ بعد ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم ان هذا النبي في
ولد اسماعيل أنكروا أن يكون لابراهيم ولد اسمه اسماعيل وان هذا لم يخلقه الله ولا
يكثر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك كما لم يكثر على المثلثة عباد
الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا وينتقصوا نبينا صلى الله
عليه وسلم ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية
ولا معجزة إلا باقرارهم أن محمداً رسول الله وإلا فمع تكذيبه لايمكن أن يثبت للمسيح
شيء من ذلك البتة ٠٠ فنقول إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد صلى
الله عليه وسلم فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسي فضيلة أو معجزة ومن نقل اليكم عنه آية
أو معجزة فانكم إنما نبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم
عن منام رؤي فأسرعتم إلى تصديقه وكان الاولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود
عيسي في العالم لانه لايقبل قول اليهود فيه ولا سيما وهم أعظم أعدائه الذين رموه

قبله وقد اشار سبحانه الى هذا المعنى بعينه في قوله ( بل جاء بالحق وصدق المرسلين) فان المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه فمجيئه هو نفس صدق خبرهم فكأن مجيئه تصديقا لهم إذ هو تأويل ما اخبروا به ولا تنافي بين هذا وبين القول الآخر أن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وايمانه بهم فانه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه وشهد بصدقهم بقوله ومثل هذا قول المسيح ومصدقا لما بين يديه من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فان التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقا لها ثم بشر برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا له كما كان ظهوره تصديقا للتوراة فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق واللاحق يصدق السابق فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الانبياء قبله والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره وقد كان بشر ابراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت الا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بشرت هاجر من ذلك بما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بشرت به مرة واحدة وبشرت هاجر باسماعيل مرتين وبشر به ابراهيم مرارا ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الانبياء ففي التوراة ان الله قال لابراهيم قد اجبت دعاءك في اسماعيل وباركت عليه وكبرته وعظمته جداً جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله لأمة عظيمة هكذا في ترجمة بعض المترجمين واما فى الترجمة التي ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود فانه يقول وسيلد اثنى عشر امة من الأمم وفيها لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملك الله وقال يا هاجر امة سارة من اين اقبلت والى اين تذهبين قالت اهرب من سيدتي فقال لها الملك ارجعي الى سيدتك واخضعي لها فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها انت تحبلين وتلدين ابنا تسميه اسماعيل لأن الله قد سمع بذلك خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته وفى موضع آخر قصة إسكانها وابنها اسماعيل فى برية فاران وفيها فقال لها الملك يا هاجر ليفرج روعك فقد سمع الله تعالى صوت الصبي قومي فاحمليه وتمسكي به فان الله جاعله لأمة عظيمة وان الله فتح عليها فاذا ببئر ماء فذهبت وملأت المذادة منه وسقت الصبي منه وكان الله معها ومع الصبي حتى تربى وكان مسكنه في برية فاران فهذه أربع بشارات خالصة لأم اسماعيل نزلت اثنتان منها على ابراهيم واثنتان على هاجر وفي التوراة أيضاً بشارات أخر باسماعيل وولده وانهم أمة عظيمة جداً وأن نجوم السماء تحصى ولا

زوجها يوسف بن يهودا وجد البنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال إنما أبوه يوسف بن يهودا الذى كان زوجاً لمريم ويذكرون أن السبب في استفاضة إسم الزنا عليه أنه بينا هو يوماً مع معلمه يهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سفر فنزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى بزعمهم لولا عور في عينها فصاح يهشوع وقال له ياممزار ترجمته يا زنيم أتزني بالنظر وغضب غضباً شديداً وعاد الى بيت المقدس وحرم إسمه ولعنه في أربعمائة قرن فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر بتاريوش وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها الى أن كان من أمره ما كان وطوائف من اليهود يقولون غير هذا ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ فقوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها فقالوا له مانظنك إلا زنيماً ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذى كان خطب مريم يوسف بن يهودا النجار وبعضهم يقول إنما هو يوسف الحداد والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وان زوجها يوسف بن يعقوب وبعضهم يقول يوسف بن آل وهم يختلفون أيضاً في آبائه وعددهم الى ابراهيم فمن مقل ومن مكثر فهذا ماعند اليهود وهم شيوخكم فى نقل الصلب وأمره والا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وانما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فان صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه وان كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافا فى معبودها ونبيها ودينها منكم فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول وانه إله في الحقيقة وأنه هو خالق السموات والارض والملائكة والنبيين وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات

وأمه بالعظائم فأخبار المسيح والصليب انما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم اختلاف وأنتم مختلفون معهم في أمره فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً وقالوا ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه الا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لانه كان يداخله في صناعة الطب عندهم وفي الاناجيل التى بأيديكم انه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه فمتي تتوافقون مع اليهود في خبره واليهود مجتمعة أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه في طيرانه فسقط الى الارض بزعمهم وفي الانجيل الذي بأيديكم في غير موضع مايشهد أنه لا معجزة له ولا آية •• فمن ذلك أن فيه منصوصاً أن اليهود قالوا له يوماً ماذا تفعل حتى تنتهي به الى أمر الله تعالى فقال أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه فقالوا له وما آيتك التي ترينا ونؤمن بك وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوي بالمفاوز قال ان كان أطعمكم موسي خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً يريد نعيم الآخرة فلو عرفوا له معجزة ماقالوا ذلك •• وفي الانجيل الذي بأيديكم أن اليهود قالت له ما آيتك التى نصدقك بها قال اهدموا البيت أبنيه لكم في ثلاثة أيام فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ •• وفي الانجيل الذي بأيديكم أيضاً أنهم جاؤا يسألونه آية فقذفهم وقال ان القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية فلا تعطى ذلك •• وفيه أيضاً أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم إن كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك يطلبون بذلك آية فلم يفعل فاذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يحقق لعيسى بن مريم آية ولا فضيلة فان أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها لاختلافكم في شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدع شيئاً من الالهية التي نسبتم اليه أنه ادعاها وكان أقصى مرادهم أن يدعي فيكون أبلغ في تسلطهم عليه وقد ذكر السبب في استفاضة ذلك عنه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره خافوا أن تصير عامتهم اليه إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم فشنعوا عليه أموراً كثيرة ونسبوا اليه دعوى الالهية تزهيداً للناس في أمره ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره فمنهم من يقول أنه كان رجلا منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التي لم يقرعها فحل قط قاتلهم الله أنى يؤفكون ويسمون أباه الزاني البنديرا الرومي وأمه مريم الماشطة ويزعمون أن

قولهم وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه فاليعقوبية أطردوا لكفرهم لفظاً ومعناً ٠٠ وأما النسطورية فذهبوا الى القول بان المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وان طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما ارادة واحدة واللاهوت لايقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشئ والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بذلك إلها وانسانا فهو الاله بجوهر اللاهوت الذي لايقبل الزيادة والنقصان وهو انسان بجوهر الناسوت الذى يقبل الزيادة والنقصان وقالوا ان مريم ولدت المسيح بناسوته وان اللاهوت لم يفارقه قط وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله وهو لم يستنكف من ذلك ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلا منازله عبودية الله ومحمد وابراهيم خير منه وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك ٠٠ وقالت الاريوسية منهم وهم اتباع أريوس ان المسيح عبد الله كسائر الانبياء والرسل وهو مربوب مخلوق مصنوع وكان النجاشي على هذا المذهب واذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلوه شر قتلة وفعلوا به مايفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لاتفهم مقالة خواصهم على حقيقتها بل يقولون ان الله تخطي مريم كما يتخطي الرجل المرأة وأحبلها فولدت له ابناً ولا يعرفون تلك الهذيانات التي وضعها خواصهم فهم يقولون الذى تدندنون حوله نحن نعتقده بغير حاجة منا الى معرفة الاقانيم الثلاثة من الطبيعتين والمشيئتين وذلك للتهويل والتطويل وهم يصرحون بان مريم والدة الاله والله أبوه وهو الابن فهذا الزوج والزوجة والولد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً إدّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) فهذه أقوال اعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصاري المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أزال الشبهة من أمره وكشف الغمة وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم وكذبهم عليهما ونزه رب العالمين خالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب فانزل المسيح أخاه بالمنزلة التي أنزله الله بها وهي أشرف منازله فآمن به وصدقه وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين فى زمانها وقرر معجزات المسيح وآياته واخبر عن ربه تعالى بتخليد

والآيات وأن للعالم إلهاً هو أب والد لم يزل وان ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وإياها الناسوتي إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً وحبلت به مريم وولدته وأخذ وصلب وألم ومات ودفن وقام بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه قالوا والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله فالقديم الأزلي خالق السموات والارض هو الذى حبلت به مريم وأقام هنالك تسعة أشهر وهو الذي ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه ثم اختلفوا •• فقالت اليعقوبية اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين أحداها طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت وانهما تين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو إله كله وإنسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا إن مريم ولدت الله وان الله سبحانه قبض عليه وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك

﴿ فصل ﴾ وقالت الملكانية وهم الروم نسبة الى دين الملك لا إلى رجل يدعى ملكانيا هو صاحب مقالتهم كما يقوله بعض من لا علم له بذلك ان الابن الازلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملا كسائر أجساد الناس وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس وانه صار انسانا بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس وإلها بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل وهو انسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسى وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه ابن مريم وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداود وقالوا إن مريم ولدت المسيح وهو إسم يجمع اللاهوت والناسوت وقالوا إن الذي مات هو الذى ولدته مريم وهو الذى وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن قالوا وهو إله تام بجوهر لاهوته وانسان تام بجوهر ناسوته وله المشيئتان مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الاله الا أنهم بزعمهم نزهوا الاله عن الموت واذا تدبرت

لهم ٠ ٠ فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقي شبهه على غيره فصلبوا الشبه وقيل المعنى ولكن شبه للنصارى أى حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بانه قتل ولا صلب ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الارض وقعت الشبهة في أمره وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم وكيف ما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقينا لا شك فيه ثم تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه على دينه ومنهاجه يدعون الأمم الى توحيد الله ودينه والايمان بعبده ورسوله ومسيحه فدخل كثير من الناس في دينه مابين ظاهر مشهور ومختف مستور وأعداء الله اليهود في غاية الشرور والشدة على أصحابه والأذى لاتباعه ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكا عليهم وكتب نائب الملك ببيت المقدس الى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذته ثم مات وولى بعده آخر وفي زمنه كتب مرقس انجيله بالعبرانية وفى زمانه صار الى الاسكندرية فدعا الى الايمان بالمسيح وهو أول شخص جعل بتركا على الاسكندرية وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني اسرائيل في زمن موسى وأمرهم اذا مات البترك أن يختاروا من الاثنى عشر واحداً يجعلونه مكانه ويضع الاثنى عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ثم يختارون رجلا فاضلا قسيساً يصيرونه تمام العدة ولم يزل أمر القوم كذلك الى زمن قسطنطين ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أى بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ثم سموه بابا ومعناه ابو الآباء وخرج مرقس الى برقة يدعو الناس الى دين المسيح ثم ملك آخر فأهاج على اتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقس عنه بالرومية ونسبه الى مرقس وفى عصره كتب لوقا انجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم وكتب له الابركسيس الذى فيه أخبار التلاميذ وفى زمنه صلب بطرس وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لئلا أكون مثل سيدى المسيح فانه صلب قائما وضرب عنق بولس بالسيف وأقام بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة وأقام مرقس بالاسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس الى الايمان بالمسيح ثم قتل بالاسكندرية وأحرق جسده بالنار ثم استمرت القياصرة ملوك الروم

من كفر بالمسيح في النار وان ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزهه وصانه أن ينال اخوان القردة منه مازعمته النصارى أنهم نالوه منه بل رفعه اليه مؤيدا منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة ولا نالته أيديهم باذي فرفعه اليه وأسكنه سماءه وسيعيده الى الارض ينتقم به من مسيح الضلال واتباعه ثم يكسر به الصليب ويقتل به الخنزير ويعلى به الاسلام وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليه الصلاة والسلام فاذا وضع هذا القول في المسيح في كفة وقول عباد الصليب المثلثة في كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل مابينهما من التفاوت وأن تفاوتهما كتفاوت مابينه وبين قول المغضوب عليهم فيه وبالله التوفيق ٠٠ فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا فان هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل لايمكن وجوده في عقل ولا فطرة ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لاحد ثقة بمعقول أصلا فان استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ولو صح مايقول لبطل العالم واضمحلت السموات والارض وعدمت الملائكة والعرش والكرسي ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ولا يستعجب من اطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من الانعام على ذلك فكل باطل في الوجود ينسب الى أمة من الامم فانها مطبقة عليه وقد تقدم ذكر إطباق الامم العظيمة التي لا يحصيها الا الله على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البينات فلعباد الصليب إسوة باخوانهم من أهل الشرك والضلال

(فصل) في ذكر استنادهم في دينهم الى أصحاب المجامع الذين كفر بعضهم بعضاً وتلقيهم أصول دينهم عنهم ونحن نذكر الآن الأمر كيف ابتدأ وتوسط وانتهي حتى كأنك تراه عيانا كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه من لدن موسى الى زمن داود ومن بعده من الانبياء واكثر الانبياء تبشيراً به داود وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه فلما بعث كفروا به بغيا وحسدا وشردوه في البلاد وطردوه وحبسوه وهموا بقتله مرارا الى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله فصانه الله وأنقذه من أيديهم ولم يهنه بأيديهم وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) وقد اختلف في معني قوله ولكن شبه

يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح لأنه لما اعتمد بالاردن خرج الى البرية فأقام بها أربعين يوما وكان النصاري اذا أفصح اليهود عيدوا هم الفصح فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح وكان المسيح يعيد مع اليهود فى عيدهم واستمر على ذلك أصحابه الى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم الى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر وفي زمنه كان جالينوس وفي زمنــه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس وتملك أزدشير بن بابك في اصطخر وهو أول ملك ملك على فارس في المدة الثانية ثم مات قيصر وقام بعده آخر ثم آخر وكان شديداً على النصاري عذبهم عذابا وقتل خلقا كثيرا منهم وقتل كل عالم فيهم ثم قتل من كان بمصر والاسكندرية من النصارى وهدم الكنائس وبني بالاسكندرية هيكلا وسماه هيكل الآلهة ثم قام بعده قيصر آخر ثم آخر وكانت النصارى في زمنه فى هدو وسـلامة وكانت أمه تحب النصارى ثم قام بعده آخر فأثار على النصاري بلاء عظيما وقتل منهم خلقا وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من الاساقفة خلقا كثيرا وقتل بترك انطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك وقام بعده آخر ثم آخر وفي أيام هذا ظهر ماني الكذاب وزعم أنه نبي وكان كثير الحيل والمخاريق فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين وأخذ من أتباعه مائتى رجل فغرس رؤسهم فى الطين منكسين حتي ماتوا ثم قام من بعده فيلبس فآمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله ثم قام بعده دانقيوس ويسمي دقيانوس فلقى النصاري منه بلاء عظيما وقتل منهم مالا يحصي وقتل بترك رومية وبنى هيكلا عظيما وجعل فيه الاصنام وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل فقتل خلقا كثيراً من النصاري وصلبوا على الهيكل واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنــده وكانوا لا يسجدون للاصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم وخرج الى مخرج له وأخذ الفتية كل مالهم فتصدقوا به ثم خرجوا الى جبل فيه كهف كبير فاختفوا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالاموات وأمر الملك أن يبني عليهم باب الكهف ليموتوا فأخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها في صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده ثم مات الملك ثم قام بعــده قيصر آخر وفى زمنــه جعل فى انطاكية بتركا يسمي بولس الشميساطي وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصاري قبله كلهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف

علي هذه السيرة الى أن ملك مصر قيصر يسمى طيطش فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم وقتل من كان بها من ذكر وأنثي حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون بأطفالهن الصخور وخرب المدينة وأضرم فيها النار وأحصي القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جداً فبلغوه أن النصاري يقولون إن المسيح ملكهم وان ملكه يدوم الى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصاري وأن لا يبقى في ملكه نصراني وكان يوحنا صاحب الانجيل هناك فهرب ثم امر الملك باكرامهم وترك الاعتراض عليهم ثم ملك بعده آخر فأثار على النصاري بلاء عظيما وقتل بترك انطاكية برومية وقتل اسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة وامر باستعباد النصاري فاشتد عليهم البلاء الى أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه أن لهم ديناً وشريعة وانه لايحل استعبادهم فكف عنهم وفي عصره كتب يوحنا انجيله بالرومية وفي ذلك العصر رجع اليهود الى بيت المقدس فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر قيصر فوجه اليهم جيشاً فقتل منهم من لايحصي ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من النصاري خلقاً كثيراً ثم ملك بعده ابنه وفي زمانه قتل اليهود ببيت المقدس قتلا ذريعاً وخرب بيت المقدس وهرب اليهود الى مصر والى الشام والجبال والاغوار وتقطعوا في الأرض وأمر الملك أن لا يسكن بالمدينة يهودي وأن يقتل اليهود ويستأصلوا وأن يسكن المدينة اليونانيون وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين والنصارى ذمة تحت أيديهم فرأوهم يأتون الى مزبلة هناك فيصلون فيها فمنعوهم من ذلك وبنوا على المزبلة هيكلا باسم الزهرة فلم يمكن النصاري بعد ذلك قربان ذلك الموضع ثم هلك هذا الملك وقام بعده آخر فنصب يهودا أسقفا على بيت المقدس قال ابن البطريق فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الاول الى يهودا أسقفه هذا كانت الاساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مختونين ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاء شديداً وحرباً طويلا ووقع في أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصاري أن يبتهلوا الى الههم فدعوا وابتهلوا الى الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء قال ابن البطريق وفى زمانه كتب بترك الاسكندرية الى أسقف بيت المقدس وبترك انطاكية وبترك رومية فى كتاب فصح النصاري وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود فوضعوا فيها كتبا على ماهي اليوم قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود المسيح اذا عيدوا عيد الفطاس من الغد

للنصاري بنتا جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه وكان النصارى في جهد جهيد معه فبلغه خبر قسطنطين وانه غلام هاد قليل الشر كثير العلم وأخبره المنجمون والكهنة انه سيملك ملكا عظيما فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها ووصل الى أبيه فسلم اليه الملك ثم مات أبوه وصب الله على عليانوس أنواعاً من البلاء حتى تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به فرجع الى نفسه وقال لعل هــذا بسبب ظلم النصارى فكتب الى جميع عماله أن يطلقوا النصاري من الحبوس وان يكرموهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم فوهب الله له العافية ورجع الى أفضــل ماكان عليه من الصحة والقوة فلما صح وقوي رجع الى شر مما كان عليه وكتب الى عماله أن يقتلوا النصاري ولا يدعوا في مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية فكان القتلى يحملون على العجل ويرمي بهم في البحر والصحاري وأما قيصر الآخر الذى كان معه فكان شديداً على النصاري واستعبد من كان برومية من النصاري ونهب أموالهم وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وانه مبغض للشر محب للخير وان أهل مملكته معه في هدو وســلامة كتب رؤساهم اليه يسئلونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيراً لايدري كيف يصنع * قال سعيد بن البطريق فظهر له على ما يزعم النصاري نصف النهار في السماء صليب من كوكب مكتوباً حوله بهذا تغلب فقال لأصحابه رأيتم مارأيت قالوا نعم فآمن حينئذ بالنصرانية فتجهز لمحاربة قيصر المذكور وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند وخرج بأصحابه فأعطي النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه فخرج أهل رومية الى قسطنطين بالاكاليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحا عظيما فلما دخــل المدينة أكرم النصاري وردهم الى بلادهم بعد النفي والتشديد وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك والصليب فلما ســمع عليانوس جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين فلما وقعت العين في العين انهزموا وأخذتهم السيوف وأفلت عليانوس فلم يزل من قرية الى قرية حتي وصل الى بلده فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين وأمر ببناء الكنائس وأقام في كل بلد من بيت المــال الخراج فيما يعمل به أبنية الكنائس وقام بدين النصرانية حتى ضرب بجرانه في زمانه فلما تم له خمس عشر ســنة من ملكه حاج النصارى في أمر المسيح واضطربوا فأمر بالمجمع في مدينة نيقية وهي التي رتبت فيها الأمانة بعد هذا المجمع كما

فيه اثنان منهم فقال بولس هذا وهو أول من أفسد دين النصارى ان سيدنا المسيح
خلق من اللاهوت انسانا كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وانه
اصطفي ليكون مخلصا للجوهر الانسي وصحبته النفحة الالهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة
ولذلك سمى ابن الله وقال ان الله جوهر واحد واقنوم واحد * وقال سعيد بن
البطريق وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة
بولس فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا ثم قام قيصر آخر
فكانت النصاري في زمنه يصلون في المطامير والبيوت فزعا من الروم ولم يكن بترك
الاسكندرية يظهر خوفا أن يقتل فقام بارون بتركا فلم يزل يداري الروم حتى بني
بالاسكندرية كنيسة ثم قام قياصرة أخر منهم اثنان تملكا على الروم احدى وعشرين
سنة فأثارا على النصارى بلاء عظيما وعذابا أليماً وشدة تجل عن الوصف من القتل
والعذاب واستباحة الحريم والاموال وقتل ألوف مؤلفة من النصاري وعذبوا
مارجرجس أصناف العذاب ثم قتلوه وفي زمنهما ضربت عنق بطرس بترك الاسكندرية
وكان له تلميذان وكان في زمنه أريوس يقول ان الأب وحده الله الفرد الصمد والابن
مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن فقال بطرس لتلميذيه إن المسيح
لعن أريوس فاحذرا أن تقبلا قوله فأني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت
ياسيدى من شق ثوبك فقال لي أريوس فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة
وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذيه بتركا على الاسكندرية فأقام ستة
أشهر ومات ولما جري على أريوس ماجري أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله
هذا البترك وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارى
ويقتلهم حتى صب الله عليه النقمة فهلك شر هلكة ثم قام بعده قيصران أحدهما
ملك الشأم وأرض الروم وبعض الشرق والآخر رومية وما جاورها وكانا كالسباع
الضارية على النصارى فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء مالم يفعله بهم ملك قبله
وملك معهما قسطنطين أبو قسطنطين وكان ديناً يبغض الأصنام محباً للنصارى فخرج
الى ناحية الجزيرة والرها فنزل في قرية من قري الرها فرأى هناك امرأة جميلة يقال
لها هيلانة وكانت قد تنصرت على يدى أسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها
قسطنطين من أبيها فزوجه إياها فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربي بالرها وتعلم حكمة
اليونان وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة وكان عليانوس ملك الروم حينئذ
رجلا فاجراً شديد البأس مبغضاً للنصاري جداً كثير القتل فيهم محبا للنساء لم يترك

الأديان * فمنهم من يقول المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية * ومنهم من يقول المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الاولى لايقاد الثانية منها * ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة الباد وأشياعه * ومنهم من كان يقول ان المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وان ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الانسية صحبته النعمة الالهية فحلت منه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمى ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهذه مقالة بولس وأشياعه * ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقالة مرقيون وأشياعه * ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً قال إبن البطريق ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالاكرام والضيافة وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأي واحد وناظروا بقية الاساقفة المختلفين ففلجوا عليهم في المناظرة وكان باقي الاساقفة مختلفي الآراء والاديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيما وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك اليهم وقال لهم قد سلطتكم على المملكة فاصنعوا مابدالكم وما ينبغي لكم أن تضيعوا مافيه قوام الدين وصلاح الامة فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له اظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الاسكندرية وبترك انطاكية وأسقف بيت المقدس ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن أريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته ووضعوا الامانة وقالوا ان الابن مولود من الاب قبل كون الخلائق وان الابن من طبيعة الاب غير مخلوق واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الاحد ليكون بعد فصح اليهود وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وذلك أن الاساقفة منذ وقت الحواريين الى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء لأنهم كانوا اذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تنتح عنه ماخلا البتاركة فانهم لم يكن

سيأتي فأراد أريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الاسكندرية وقال ان بطرسا قال لهم ان الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة وكان على مدينة أسيوط من عمل مصر أسقف يقول بقول أريوس فلعنه أيضا وكان بالاسكندرية هيكل عظيم على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس يسمى ميكائيل وكان أهل مصر والاسكندرية في اثني عشر يوما من شهر هتور وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون له فامتنع عليه أهلها فاحتال عليهم بحيلة وقال لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله لكان أولى فان هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه الى ذلك فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل فلما منع بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا الى قسطنطين وقال أريوس انه تعدى عليّ وأخرجني من الكنيسة ظلما وسئل الملك أن يشخص بترك الاسكندرية يناظره قدام الملك فوجه قسطنطين برسول الى الاسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره فقال قسطنطين لاريوس اشرح مقالتك قال أريوس اقول ان الأب كان إذ لم يكن الابن ثم انه احدث الابن فكان كلمة له إلا انه محدث مخلوق ثم فوض الأمر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال في انجيله إذ يقول وهب لي سلطاناً على السماء والارض فكان هو الخالق لهما بما اعطي من ذلك ثم ان الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد الا أنهما جميعاً مخلوقان فأجابه عند ذلك بترك الاسكندرية وقال تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خالقنا أو عبادة من لم يخلقنا قال أريوس بل عبادة من خلقنا فقال له البترك فان كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقاً فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق بل نصير عبادة الأب الذي خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيماناً وذلك من أقبح الاقاويل فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك وشنع عندهم مقالة أريوس ودارت بينهما أيضاً مسائل كثيرة فأمر قسطنطين البترك أن يكفر أريوس وكل من قال بمقالته فقال له بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر أريوس ويشرح الدين ويوضحه للناس فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان فجمع البتاركة والاساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً فكانوا مختلفي الآراء مختلفي

من حظ الخالق فيه وذلك ان هذا اراد وفعل وذاك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظا في فعله من ذلك ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ويكون حكمه كحكمه في الخير والاختيار فان كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل وان كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصي وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب وهذا أشنع في القول ورد عليه أيضاً وقال إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به والمحتاج الى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله قال فلما دحض بترك الاسكندرية حجج المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم وتحيروا وخجلوا فوثبوا على بترك الاسكندرية فضربوه حتى كاد يموت فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين وهرب بترك الاسكندرية وصار الى بيت المقدس من غير حضور أحد من الاساقفة ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون وسار الى الملك فأعلمه الخبر فصرفه الى الاسكندرية * قال ابن البطريق وأمر الملك أن لا يسكن يهودي ببيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق فقيل للملك إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم فقال كيف لنا أن نعلم ذلك منهم فقال يونس البترك ان الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية فقال الملك اذا كان الخنزير في التوراة حراماً فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس فقال له يونس إن سيدنا المسيح قد أبطل كل مافي التوراة وجاء بنواميس أخر وبتوراة جديدة وهو الانجيل وفي إنجيله أن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس وإنما ينجس الانسان مايخرج من فيه وقال يونس أن بطرس رئيس الحواريين بينما هو يصلي في ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر الى السماء قد تفتحت واذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الارض وفيه كل ذي أربع قوائم على الارض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء وسمع صوتاً يقول له يا بطرس قم واذبح وكل فقال بطرس يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا دنساً قط فجاء صوت بأن كل ماطهره الله فليس بنجس وفي نسخة أخرى ماطهره الله فلا تنجسه أنت ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ثم ان الزاد ارتفع الى السماء فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه فامر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً وتصير على

لهم نساء ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركا قال وانصرفوا مكرمين محظوظين وذلك في سبعة عشر سنة من ملك قسطنطين الملك ومكث بعد ذلك ثلاث سنين إحداها كسر الاصنام وقتل من يعبدها والثانية أمر أن لا يثبت في الديوان الا أولاد النصارى ويكونون هم الامراء والقوادوالثالثة أن يقيم الناس جميعهم جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب وتقدم قسطنطين الى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس ويبدأ ببناء القمامة فقالت هيلانة امه إني نذرت أن أسير الى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها فدفع اليها الملك أموالا جزيلة وسارت مع أسقف بيت المقدس فبنت كنيسة القمامة في موضع الصليب وكنيسة قسطنطين ثم اجتمعوا بعد هذا مجمعاً عظيما ببيت المقدس وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الاسكندرية وكان هذا الرجل لما رجع الى الملك أظهر أنه مخالف لاريوس وكان يرى رأيه ويقول بمقالته فقام الرجل وقال ان أريوس لم يقل ان المسيح خلق الانسان ولكن قال به خلقت الاشياء لأنه كلمة الله التي خلقت السموات والارض وانما خلق الله الاشياء بكلمته ولم تخلق الاشياء كلمته كما قال المسيح في الانجيل كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء وقال به كانت الحياة والحياة نورالبشر وقال العالم به يكون فأخبر أن الاشياء به تكونت * قال ابن البطريق فهذه كانت مقالة أريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا تعدوا عليه وحرموه ظلماً وعدوانا فرد عليه بترك الاسكندرية وقال أما أريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال الابن خالق الاشياء دون الاب واذا كانت الاشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الاب لها خالقاً فقد أعطي انه ماخلق منها شيئاً وفي ذلك تكذيب قوله الاب يخلق وأنا أخلق وقال إن أنا لم أعمل عمل ابي فلا تصدقوني وقال كما ان الاب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته قالوا فدل على انه يحيي ويخلق وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الاشياء به دون أن يكون خالقاً واما قولك إن الاشياء كوّنت به فانا لما قلنا لا شك أن المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله إني أفعل الخلق والحياة كان قولك به كونت الاشياء إنما هو راجع في المعنى الى أنه كونها وكانت به مكونة ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان قال واما قول من قال من اصحاب أريوس ان الاب يريد الشيء فيكونه الابن والارادة للاب والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضاً اذا كان الابن عنده مخلوقا فقد صار حظ المخلوق في الخلق أو في

وثلاث خواص وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية فانفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفهم وأشياعهم ٠٠ ثم بعد احدي وخمسين سنة من هذا المجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس وكان رأيه أن مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة ولذلك كان إثنان أحدهما الاله الذي هو موجود من الاب والآخر انسان وهو الموجـود من مريم وان هذا الانسان الذي يقول إنه المسيح متوحد مع ابن الاله ويقال له إله وابن الاله ليس على الحقيقة ولكن لوهبه واتفاق الأسمين على طريق الـكرامـة فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطيئته واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة أفسيس وهي مدينة دقيانوس وأرسلوا اليه للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فاجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلهاً وان المسيح إله حق من إله حق وهو انسان وله طبيعتان فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك انطاكية فجمع الاساقفة الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاقم أمرهم فلم يزل الملك حتي أصلح بينهم فـكتب أولئك صحيفة أن مريم القديسـة ولدت إلهاً وهو ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وأقروا بطبيعتين وبوجه واحـد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفي سار الى مصر وأقام في أخميم سبع سنين ومات ودفن بها وماتت مقالته إلى أن أحياها إبن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فاكثر نصاري المشرق والعراق نسطورية فانفض ذلك المجمع الرابع أيضاً وقد اطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته ٠٠ ثم كان لهم بعد هذا مجمع خامس وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب يقال له أو طيـوس يقول إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة وان المسيح قبـل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحـدة وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية فرحل اليه بعض الاساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته ثم صار الى قسطنطينية فاخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فارسل بترك القسطنطينية اليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيما وناظره فقال أوطيسوس إن قلنا أن المسيح طبيعتين فقـد قلنا بقول نسطورس ولكننا نقول إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة واقنوماً واحداً فقال له بترك القسطنطينية إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة لواحدة هي الطبيعة القديمة وهي الطبيعة المحدثة وان كان القديم هو المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث

أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك كثير ثم هلك قسطنطين وفي أيامه اجتمع أصحاب أريوس ومن قال بمقالته اليه فحسنوا لهم دينهم ومقالتهم وقالوا إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم إن الابن متفق مع الاب في الجوهر فأمر أن لايقال هذا فأنه خطأ فعزم الملك على فعله فكتب اليه أسقف بيت المقدس أن لايقبل قول أصحاب أريوس فانهم حائدون عن الحق وكفار وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله * قال ابن البطريق وفي ذلك الوقت أعلنت مقالة أريوس على قسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك أريوسي ثم بعده آخر مثله قال وأما أهل مصر والاسكندرية وكان أكثرهم أريوسيين ومانيين فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها ووثبوا على بترك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى ثم ذكر جماعة من البتاركة والاساقفة من طوائف النصارى وما جرى لهم مع بعضهم بعضاً وما تعصبت به كل طائفة لبتركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصاري أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين ٠٠ فكان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الاول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد الى الملك وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة أريوس ومقدونيس فاكتب الى جميع الاساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الى سائر بلاده فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً فنظروا وبحثوا في مقالة أريوس فوجدوها أن روح القدس مخلوق ومصنوع ليس باله فقال بترك الاسكندرية ليس روح القدس عندنا غير روح الله وليس روح الله غير حياته فاذا قلنا ان روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة واذا قلنا حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي وذلك كفر به فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبتاركتهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق من إله حق من طبيعة الاب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزادوا في الامانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر ونؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الاب منبثق الذي مع الاب والابن وهو مسجود وممجد وكان في تلك الامانة وبروح القدس فقط وبينوا ان الابن والاب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاث وجوه

فأجابه الملك الى ذلك فلما بلغ ذلك إيليا بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا أنسطاس الملك وسورس ومن يقول بمقالتهما فبلغ ذلك أنسطاس ونفاه الى أيلة وبعث يوحنا بتركا على بيت المقدس لان يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الخلقدوني الستمائة وثلاثين فلما قدم الى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الخلقدوني ونحن معك فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك فبلغ ذلك الملك فأرسل قائداً وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الخلقدوني فأن لم يفعل ينفيه عن الكرسي فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار اليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بان يضمن للقائد أن يفعل ذلك فاذا حضر فليقر بلعنة من من لعنه الرهبان ففعل ذلك واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومنهم بدرس وسابا ورؤساء الديارات فلعنوا أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الخلقدوني وفزع رسول الملك من الرهبان وبلغ ذلك الملك فهم بنفي يوحنا فاجتمع الرهبان والاساقفة فكتبوا الى أنسطاس الملك أنهم لايقبلون مقالة سورس ولا أحد من المخالفين ولو أهرقت دمائهم وسألوه أن يكف اذاه عنهم وكتب بترك رومية الى الملك يقبح فعله ويلعنه فانفض هذا المجمع أيضاً وقد تلاعنت فيه هذه الجموع على ماوصفنا وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالة سورس وكان يسمى يعقوب البرادعي واليه تنسب اليعاقبة فافسد أمانة النصاري ثم مات أنسطاس وولي قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك الى موضعه واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً بزعمهم واثبتوا المجمع الخلقدوني بالستمائة وثلاثين أسقفاً ثم ولي ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية وقتلوا بتركا لهم يقال له بولس كان ملكيا فارسل قائداً ومعه عسكر عظيم الى الاسكندرية فدخل الكنيسة في ثياب البترك وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتي كادوا يقتلونه فانصرف ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الاحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالاسكندرية حتي حضر لسماع كتاب الملك وقد كان جعل بينه وبين جنده علامة اذا هو فعلها وضعوا السيف في الناس فصعد المنبر وقال يامعشر أهل اسكندرية إن رجعتم الى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة والا لن تأمنوا أن يرسل الملك اليكم من يسفك دمائكم فرموه بالحجارة حتي خاف على نفسه أن يقتل فاظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من فى الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لاتحصي كثرة حتي خاض الجند في الدماء وهرب منهم خلق

لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد فأبي أن يرجع عن مقالته فلعنوه فاستعدي الي الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب الى جميع البتاركة للمناظرة فاستحضر الملك البتاركة والاساقفة من سائر البلاد الى مدينة أفسيس فثبت بترك الاسكندرية مقالة أوطيسوس وقطع بتارك القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وسائر البتاركة والاساقفة وكتب إلى بترك رومية والى جماعة الكهنة يحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس ففسدت الامانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والاسكندرية وهو مذهب اليعقوبية فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته ٠٠ ثم كان لهم بعد هذا مجمع سادس في مدينة حلقدون فأنه لما مات الملك ولي بعده مرقيون فاجتمع اليه الاساقفة من سائر البلاد فاعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الانصاف وان مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية فأمر الملك باستحضار سائر البتاركة والمطارنة والاساقفة الى مدينة حلقدون فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة أوطيسوس وبترك الاسكندرية الذي قطع جميع البتاركة فافسدا لجميع مقالتهما ولعنوهما وأثبتوا أن اليسوع المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا بالناسوت يعرف بطبيعتين تام باللاهوت وتام بالناسوت مسيح واحد وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وقبلوا قولهم بان الابن مع الله في المكان نور من نور إله حق من إله حق ولعنوا أريوس وقالوا إن روح القدس إله وان الاب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسيس أعني المائتي أسقف على نسطورس وقالوا ان مريم العذراء ولدت إلها ربنا اليسوع المسيح الذى هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة وشهدوا ان للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ولعنوا نسطورس وبترك الاسكندرية ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بافسيس ثم المجمع المائتي أسقف بمدينة أفسيس أول مرة ولعنوا نسطورس وبين نسطورس الى مجمع حلقدون أحد وعشرون سنة فانفض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدميهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرؤا منهم ومن مقالاتهم ٠٠ ثم كان لهم بعد هذا المجمع مجمع سابع في أيام أنسطاس الملك وذلك ان سورس القسطنطيني كان على رأي أوطيسوس فجاء الى الملك فقال إن المجمع الحلقدوني الستمائة وثلاثين قد أخطأوا في لعن أوطيسوس وبترك الاسكندرية والدين الصحيح ماقالا فلا تقبل دين من سواهما ولكن أكتب الى جميع عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين وبأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد

واحد ووجه واحد يعرف تاما بلاهوته تاما بناسوته وأشهد كما شهد مجمع الخلقدونية على ماسبق أن الاله الابن في آخر الايام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً انسانا بنفسين وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الانسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الاله أن يعمل في طبيعته الذى هو الابن الوحيد والكلمة الازلية المتجسدة الى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الازلى وليست بمتغيرة لكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهي والشيء الذي يكون بهما القول الحق وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين ولكن مع المشيئة الانسية في المشيئة الالهية القادرة على كل شيء هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الخلقدوني وثبتوا امانة الابن مع المجامع التي كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه وبين المجمع الخامس الى هذا المجمع مائة سنة .. ثم كان لهم مجمع عاشر لما مات الملك وولى بعده ابنه واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم وثبتوا قول المجامع الخمسة ولعنوا من لعنوا وانصرفوا فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصاري وقدماؤهم وناقلوا الدين الى المتأخرين واليهم يستند من بعدهم وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الاساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون فاذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخيارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لايثبت لهم قدم ولا يحصل لهم قول في معرفة معبودهم بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه فما الظن بحسالة الماضين وبقاية الغابرين وذبالة الحائرين وذرية الضالين وقد طال عليهم الامد وبعد العهد وصار دينهم مايتلقونه عن الرهبان وقوم اذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالانعام وإن كانوا في صور الانام بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلا ( إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ) وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله ( ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا

كثير وظهرت مقالة الملكية • • ثم كان لهم بعد ذلك مجمع عظيم ثامن بعد المجمع الخلقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين وذلك ان أسقف منبج وهي بلدة شرقي حلب بالقرب منها وهي مخسوفة الآن كان يقول بالتناسخ وان ليس قيامة وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة فحشرهم الملك الى قسطنطينية فقال لهم بتركها إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يعاين لاحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك وقال لأسقف منبج إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة وقال في انجيله لن تأتي الساعة حتى ان كل من في القبور اذا سمعوا قول ابن الله يحيوا فكيف تقولون ليس قيامة فاوجب عليهم الخزي واللعن وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه واستحضر بتاركة البلاد فاجتمع في هـذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة وثبتوا على قول أسقف الرها أن جسد المسيح حقيقة لاخيال وانه إله تام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد وثبتوا المجامع الاربعة التي قبلهم بعد المجمع الخلقدونى وان الدنيا زائلة وان القيامـة كائنة وان المسيح يأتي بمجد عظيم فيدين الاحياء والاموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر • • ثم كان لهم مجمع تاسع في أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له مقسلمس وله تلميذان فجاء الى قسطا الوالى فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره فأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه وفعل باحد التلميذين مثله وضرب الآخر بالسياط ونفاه فبلغ ذلك ملك قسطنطينية يومئذ فارسل اليه ان يوجه اليه من أفاضل الاساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذي كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الاباء القديسين كل من استحق اللعنة فبعث اليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاث شمامسة فلما وصلوا الى قسطنطينية جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فصاروا ثلاثمائة وثمانية واسقطوا الشمامسة في البرطحة وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية ولم يكن لبيت المقدس والاسكندرية بترك فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الامانة المستقيمة بزعمهم فقالوا نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الازلية الدائم المستوي مع الاب الاله في الجوهر الذي هو ربنا اليسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم

يمكن تصديق نبي من الانبياء قبله ( الوجه الثالث ) ان الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل فليس لنبي من الانبياء آية يجب الايمان بها إلا ولمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها وان لم يكن من جنسها فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل والعلم بنقلها قطعي لقرب العهد وكثرة النقلة واختلاف أمصارهم وأعصارهم واستحالة تواطئهم على الكذب فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده بحيث لا يمكن المكابرة والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت كالمكابر في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والاقاليم والجبال والانهار فان جاز القدح في ذلك كله فالقدح في وجود موسى وعيسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز وان امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته أشد وكذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الايمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد ابداً كفر بالجميع وقال ما أنزل الله على بشر من شيء كما قال تعالى ( وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ) قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً سميناً فغضب عدو الله وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله عز وجل قوله ( وما قدروا الله حق قدره ) الآية وهذا قول عكرمة قال محمد ابن كعب جاء ناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا ياأبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله عز وجل فأنزل الله عز وجل ( يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ) الآية فجثي رجل من اليهود فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ما أنزل الله على بشر من شيء فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد وذهب جماعة منهم مجاهد الى أن الآية نزلت في مشركي قريش فهم الذين جحدوا أصل الرسالة وكذبوا بالرسل وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى وهذا

كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ) وأمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا هذا والكتاب واحد والرب واحد والنبي واحد والدعوي واحدة وكلهم تمسك بالمسيح وانجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين فمنهم من يقول إنه إله ومنهم من يقول ابن الله ومنهم من يقول ثالث ثلاثة ومنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة ومنهم من يقول أقنومان وطبيعتان الى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم وكل منهم يكفر صاحبه فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلها ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله فوازن بين هذا وبين ماجاء به خاتم الرسل والانبياء تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها ان الدين عند الله الاسلام

( فصل ) في أنه لايمكن الايمان بنبي من الانبياء أصلامع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الانبياء أشد جحداً وهذا يتبين بوجوه ( أحدها ) أن الانبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالايمان به ومن جحد نبوته فقد كذب الانبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الايمان به والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم واذا انتفى اللازم انتفي ملزومه قطعاً وبيان الملازمة ماتقدم من الوجوه الكثيرة التي يفيد مجموعها القطع على انه صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الكتب الالهية على ألسن الانبياء واذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه ( الوجه الثاني ) أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم الى آخرهم فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم فان جميع الرسل جاؤا بما جاء به فاذا كذبه المكذب فقد زعم أن ماجاء به باطل وفي ذلك تكذيب كل رسول ارسله الله وكل كتاب أنزله الله ولا يمكن أن يعتقد ان ماجاء به صدق وانه كاذب مفتر على الله وهذا في غاية الوضوح وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم وقال هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون ثم أن آخر شهد على شهادتهم سواء فقال الخصم هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها وذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً ولا يخبيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وانها شهادة حق مع قوله ان الشاهد بها كاذب فيما شهد به فكما أنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوات الانبياء قبله فكذلك إن لم يصدق لم

واخفوا كثيراً منه وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحي من الله ولا يلزم ان يكون قوله تجعلونه قراطيس خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بل هــذا استطراد من الشيء الى نظيره وشبهه ولازمه وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من ســلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنــا العلقة مضغة ) الى آخر الآية فاســتطرد من المخلوق من الطــين وهو آدم الى النوع المخلوق من النطفة وهم اولاده واوقع الضمير على الجميع باللفظ واحد ومثله قوله تعالى ( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ) الى آخر الآيات ويشبه هذا قوله تعــالى ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهاداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها ) الى آخر الآيات وعلى التقــديرين فهؤلاء لم يتم لهم إنكار نبوة النبي صــلى الله عليه وسلم ومكابرتهم إلا بهــذا الجحد والتكذيب العــام ورأوا أنهم إن اقروا ببعض النبوات وجحدوا نبــوته ظهــر تناقضهم وتفــريقهم بين المتماثلين وأنهــم لا يمكنهم الايمان بنبي وجحد نبوة من نبــوته اظهر وآياتها اكثر واعظم ممن اقروا به واخبر سبحانه أن من جحد ان يكون قد ارســل رســله وانزل كتبه لم يقدره حق قدره وانه نسبه الى مالا يليق به بل يتعالى ويتنزه عنه فان في ذلك انكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته والظن السيء به أنه خلق خلقه عبثا باطلا وانه خلاهم ســدًى هملا وهذا ينافي كماله المقدس وهو متعال عن كل ماينافي كماله فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرســل الى خلقه فما قدره حق قــدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته كما ان من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ولعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه ولا عظمه حق عظمته وكذلك كان جحد نبوة خاتم انبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه انكارا للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له فلا يمكن الاقرار بربوبيته وإلهيته وملكه بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقد أشرنا الى ذلك في المناظرة التي تقدمت فلا يجامع الكفر برسول الله صــلى الله عليه وسلم الاقرار بالرب تعــالى وصفاته

اختيار ابن جرير قال وهو أدنى الأقاويل بالصواب لأن ذلك في سياق الخبر عنهم فهو أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولم يجر لهم ذكر يكون هـذا به متصلا مع مافي الخبر عن من أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب وليس ذلك ما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف موسى وابراهيم وزبور داود والخبر من السورة الى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبـدة الأوثان وقوله وما قدروا الله حق قدره موصول به غـير مفصول عنه قلت ويقوى قوله أن السورة مكية فهي خـبر عن زنادقة العرب المنكرين لأصل النبوة ولكن بقي أن يقال فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من إنزال الكتاب الذي جاء به موسى وكيف يقال لهـم يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ولا سيما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب وهل ذلك صالح لغير اليهود فانهم كانوا يخفون من الكتاب مالا يوافق أهوائهم وأغراضهم ويبدون منه ما سواه فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية وذلك إخفاء لها وكتمان الى جحـد ما أقروا به من كتابهم باخفائه وكتمانه فتلك سـجية لهم معروفة لا تنكر إذ من أخفى بعض كتابه الذي يقر بأنه من عند الله كيف لا يجحد أصل النبوة ثم احتج عليهم بأنهم قد علموا بالوحي مالم يكونوا يعلمونه هم ولا آباؤهم ولولا الوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا اليه ثم أمر رسوله أن يجيب عن هذا السؤال وهو قوله من أنزل الكتاب الذي جاء به موسي فقال قل الله أي الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وجواب هذا السؤال أن يقال ان الله سبحانه احتج عليهم بما تقر به أهل الكتابين وهم اولوا العلم دون الامم التي لا كتاب لها أي إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله انزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسي تقر به اهل الكتاب وهم اعلم منكم فاسئلوهم عنه ونظائر هـذا في القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكري النبوات والتوحيد والمعنى إنكم إن انكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسي فان لم تعلموا ذلك فاسـألوا أهل الكتاب وأما قوله تعالى يجعلونه قراطيس يبـدونها ويخفون كثيرا فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك أي يجعله من انزل عليه كذلك وهذا من أعلام نبوته أن يخبر اهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم وانهم جعلوه قراطيس وابدوا بعضـه

وجنها وملكها فكل من في السموات عبده وملكه وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً واما اليهود فقد حكي الله لك عن جهل أسلافهم وعبادتهم للعجل وضلالهم مايدل على ماوراءه من ظلمات الجهل التي بعضها فوق بعض ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعته أيديهم من ذهب ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة ابلد الحيوان وأقله فطانة الذى يضرب المثل به فى قلة الفهم فانظر الى هذه الجهالة والعبادة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من ادلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله مالم يشاهده سواهم وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله فاتخذوه ونبيهم حي بين اظهرهم لم ينتظروا موته وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الاحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الارض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لاتكون إلا تحت الارض والصخور والأحجار عالية عليها وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من جوهر يستغني عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج الى نيل الأيدى له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوي لاتناله الأيدى بل على تمثال حيوان ارضي وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال اشرف الحيوانات واقواها واشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يحرث عليه الارض ويسقى عليه بالسواقى والدواليب ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير فأي معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجودات وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولا بعد ماشاهد تلك الامارات الباهرات أن لايعرف حقيقة الاله ولا اسماءه وصفاته ونعوته ودينه ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة ولا قالوا له إذهب انت وربك فقاتلا ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على ابواب البرآء من قتله ونبيهم حي بين اظهرهم وخبر السماء والوحي يأتيه صباحاً ومساء فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له ياابانا انتبه من رقدتك كم تنام ولو عرفوه لما سارعوا الى محاربة انبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم ولما

أصلا كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الاقرار بوجود الصانع أصلا وقد ذكر سبحانه ذلك في موضعين من كتابه في سورة الرعد في قوله ( وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم ) والثاني في سورة الكهف في قوله تعالى ( ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ) فالرسول صلوات الله وسلامة عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده فمن أنكر رسالاته فقد أنكر الرب الذي دعا اليه وحقوقه التي أمر بها بل نقول لايمكن الاعتراف بالحقائق على ماهي عليه مع تكذيب رسوله وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم فان الفلاسفة لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات بل والحقائق المشاهدة التي لايمكن إنكارها لم يثبتوها على ماهي عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ماهي عليه البتة وهذا ثمرة إنكارهم النبوات فسلبهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في ادراكها فلم يدركوا منها شيئاً على ماهو عليه حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وان عرفوا من ذلك بعض ماخفى على غيرهم وأما المجوس فأضل وأضل وأما عباد الأصنام فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبيثة وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به وأما النصاري فقد عرفت ماالذي أدركوه من معبودهم وما وصفوه به وما الذى قالوه في نبيهم وكيف لم يدركوا حقيقته البتة ووصفوا الله بما هو من اعظم العيوب والنقائص ووصفوا عبده ورسوله بما ليس له وجه من الوجوه ولا عرفوا الله ولا رسوله والمعاد الذي اقروا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته إذ لا أكل عندهم في الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال كلذاتهم في الدنيا ولا عرفوا حقيقة أنفسهم وما تسعد به وتشقى ومن لم يعرف ذلك فهو اجدر أن لايعرف حقيقة شيء كما ينبغي البتة فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها ولا لمن جعله الله سبباً في فلاحها وسعادتها ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميها

وليه ومحبة بني اسرائيل له قال فاختاروا سبعين رجلا فوقفوا على قبر هرون فقال موسى ياهرون أقتلت أم مت قال بل مت وما قتلني أحد فحسبك من جهلة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه الى قتل أخيه فقال موسى ماقتلته فلم يصدقوه حتى أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به ومن جهلهم أن الله سبحانه شبههم في حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار يحمل أسفاراً وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة منها أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يضرب بها المثل في البلادة ومنها أنه لو حمل غير الاسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الاسفار ومنها أنهم حملوها لا أنهم حملوها طوعا واختيارا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً ومنها أنهم حيث حملوها تكليفاً وقهراً لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا واختيارا وقد علموا أنهم لابد لهم منها وأنهم إن حملوها اختيارا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة ومنها أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فاعراضهم عن التزام مافيه سعادتهم وفلاحهم الى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض المن والسلوى اللذين هما أطيب الأطعمة وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل ومن رضي باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالايمان والضلالة بالهدى والغضب بالرضي والعقوبة بالرحمة وهذه حال من لم يعرف ربه ولا كتابه ولا رسوله ولا نفسه وأما نقضهم ميثاقهم وتبديلهم أحكام التوراة وتحريفهم الكلم عن مواضعه وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم الرشا واعتداؤهم في السبت حتى مسخوا قردة وقتلهم الانبياء بغير حق وتكذيبهم عيسى بن مريم رسول الله ورميهم له ولامه بالعظائم وحرصهم على قتله وتفردهم دون الامم بالخبث والبهت وشدة تكالبهم على الدنيا وحرصهم عليها وقسوة قلوبهم وحسدهم وكثرة سحرهم فاليه النهاية وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته فأي شئ عرف من لم يعرف الله ورسله وأي حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة وأي علم أو عمل حصل لمن فاته العلم بالله والعمل بمرضاته ومعرفة الطريق الموصلة اليه ومآله بعد الوصول اليه بأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي الا من أشرق عليه نور النبوة كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق خلقه في ظلمة والقي عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك

تحيلوا على تحليل محارمه واسقط فرائضه بأنواع الحيل ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وانهم من الاغبياء ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشيء في وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به في وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه وينهي عنه ثم يبيحه في وقت آخر لاختلاف الاوقات والاحوال في المصالح والمفاسد كما هو مشاهد في احكامه القدرية الكونية التي لا يتم نظام العالم ولا مصلحته الا بتبدلها واختلافها بحسب الاحوال والاوقات والاماكن فلو اعتمد طبيب أن لا يغير الادوية والاغذية بحسب اختلاف الزمان والاماكن والاحوال لأهلك الحرث والنسل وعد من الجهال فكيف يحجر على طبيب القلوب والاديان أن تتبدل احكامه بحسب اختلاف المصالح وهل ذلك إلا قدح في حكمته ورحمته وقدرته وملكه التام وتدبيره لخلقه ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة التي فتحها الله عليهم سجداً ويقولوا حطة فيدخلوا متواضعين لله سائلين منه أن يحط عنهم خطاياهم فدخلوا يزحفون على أستاهم بدل السجود لله ويقولون هنطا سقمانا أى حنطة سمراء فذاك سجودهم وخشوعهم وهذا إستغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم ومن جهلهم وغباوتهم أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم سلطانه وصدق رسوله مالامزيد عليه ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه وعهد اليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبدوه بما فيه كما خلصهم من عبودية فرعون والقبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه فنتق الجبل العظيم فوق رؤسهم على قدرهم وقيل لهم ان لم تقبلوا أطبقته عليكم فقبلوه من تحت الجبل * قال ابن عباس رفع الله الجبل فوق رؤسهم وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم البحر من تحتهم ونودوا إن لم تقبلوا أوضحتكم بهذا وأحرقتكم بهذا وأغرقتكم بهذا فقبلوه وقالوا سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ماأطعناك ولما أمنوا بعد ذلك قالوا سمعنا وعصينا ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التي يؤمن على بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن يختار من خيارهم سبعين رجلا لميقاته فاختارهم موسي وذهب بهم الى الجبل فلما دني موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتي تغشى الجبل وقال للقوم ادنوا ودني القوم حتي اذا دخلوا في الحجاب وقعوا سجداً فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد اليه فلما انكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة ومن جهلهم أن هرون لما مات ودفنه موسي قالت بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته حسدته على خلقه

﴿ يقول العبد المسكين محمد بدر الدين النعساني الحلبي ﴾

بحمد من بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا
محمد أشرف البريات وآله وصحبه ذوي النفوس الزكيات
وتم طبع هذا الكتاب الجليل الذى ليس له في
بابه مثيل بنفقة أحمد ناجي الجمال ومحمد أمين
الخانجي وأخيه في مطبعة التقدم بمصر
وذلك في منتصف شهر جمادي
الاولى سنة ١٣٢٣
هجريه والحمد لله
رب العالمين

أقول جف القلم على علم الله ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور فمن أجابهم خرج الى الفضاء والنور والضياء ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل وظلمة الهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد فبعث الله رسله لاخراجه منها الى العلم والمعرفة والايمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البتة فمن أخطأه هذا النور اخطأه حظه وكماله وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله وقلبه مظلم ووجهه مظلم لأنه بقي على الظلمة الاصلية ولا يناسبه من الاقوال والاعمال والارادات والعقائد الا ظلماتها فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة أشراق الشمس على بصر الخفاش

بصائر أغشاها النهار بضوءه * ولاءمها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يعمي تلك البصائر ويخطفها لشدته وضعفها فتهرب الى الظلمات لموافقتها لها وملاءمتها إياها والمؤمن عمله نور وقوله نور ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور فهو يتقلب في النور في جميع أحواله قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم في الظلمات فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) والحمد لله أولا وآخر وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين